يُهْدَى وَلا يُبَاعُ

عَالَمِيَّةُ الإِسْلامِ

الجزء الرّابع

١– تعليقات على محاضرات عالميّة الإسلام ٢– كمال الإنسان في البحث عن الحقائق
٣– البحث عن الحقيقة المطلقة ٤– حاجة المؤمن والملحد إلى الدّليل
٥– الموقف من أدلّة المؤمن والملحد ٦– الملحدون اللّاأدريّون
٧– تنظيم السّلوك على أساس الاعتقادات ٨– الملحدون الرّبوبيّون
٩– هل الإلحاد ظاهرة إنسانيّة ؟ ١٠– من هو الملحد ؟
١١– الإلحاد النّظريّ والعمليّ ١٢– هل الإلحاد دين ؟
١٣– ما هو الدّين ؟ ١٤– أقسام العلم النّظريّ
١٥– اتّجاهات النّافين لوجود الإله ١٦– اتّجاهات منكري النّبوّة
١٧– من هم اللّاأدريّون ؟ ١٨– أهمّ الأدلّة الّتي يتمسّك بها الملحدون
١٩– أقسام اللّاأدريّين ٢٠– خطوات البحث العلميّ
٢١– أخلاقيّات البحث العلميّ ٢٢– تطبيق خطوات البحث العلميّ على وجود الإله
٢٣– العوامل الدّخيلة في الحكم الشّرعيّ ٢٤– الرّسائل العقائديّة والأخلاقيّة والعمليّة

الشّيخ محمّد أشكناني

الطّبعة الأولى

١٤٤١ هـ - ٢٠٢٠ م

حقوق الطّبع محفوظة للمؤلّف

السّلام عليكم جميعًا

أرجو ممّن يقرأ هذا الكتاب أن يرسل رأيه عن الكتاب إلى الإيميل

mohashk14@hotmail.com

أو الواتساب على رقم

00965-99644250

يبدي رأيه في الكتاب وفي مشروع عالميّة الإسلام ، فآراؤكم تهمّنا وترشدنا إلى الأفضل ، وستنشر الآراء مع أسماء أصحابها في الجزء التّالي من الكتاب ، وأكون لكم من الشّاكرين .

الشّيخ محمّد أشكناني

موقع الشّيخ محمّد أشكناني
www.alashkanani.com

YouTube
Ashkanani Channel

Instagram
@alashkanani

البريد الإلكترونيّ للمؤلّف
mohashk14@hotmail.com

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ الطَّاهِرِينَ

اللَّهُمَّ كُنْ لِوَلِيِّكَ الحُجَّةِ ابْنِ الحَسَنِ صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِ

وَعَلَى آبَائِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ وَفِي كُلِّ سَاعَةٍ وَلِيًّا

وَحَافِظًا وَقَائِدًا وَنَاصِرًا وَدَلِيلًا وَعَيْنًا حَتَّى تُسْكِنَهُ

أَرْضَكَ طَوْعًا وَتُمَتِّعَهُ فِيهَا طَوِيلًا

بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ الطَّاهِرِينَ

تعليقات على محاضرات
عالميّة الإسلام

الدّكتور أحمد الوايل – الكويت ٢٠٢٠/٥/١١ م

تابعت في الفترة السّابقة الكثير من محاضرات الشّيخ محمّد أشكناني حول (عالميّة الإسلام) على قناته في اليوتيوب ، وتميّز هذا البحث بمجموعة واسعة من الأفكار ، منها ما هو جديد بالنّسبة لي ، حيث لمست التّجرّد الفكريّ لدى المحاضر ، فلا تثبت فكرة إلّا مع دليل معتبر ، ولا يطرح رأيًا إلّا مع حجّة رصينة ، ولا تقبل الموروثات إلّا إذا ثبتت وتبلورت جذورها .

وقد أصرّ المحاضِر في بعض المواضع على عدم تضييع العمر بالتّوافه من الأمور ، أو قضاء جلّ الوقت بما لا ينفع ، خصوصًا مع وجود التّقنيات الحديثة والتّواصل الاجتماعي ، ومتابعة كلّ ما هو غثّ وسمين ، فهي سلاح ذو حدّين ، منها ما يهلك ، ومنها ما يحيي القلوب ، فجزيل الشّكر للشّيخ الجليل على هذا المجهود الكبير ، مع دعائنا وتمنّياتنا لأن يؤتي هذا الزّرع ثماره في قلوب النّاس .

عبدالكريم التّميمي – الكويت ٢٠٢٠/٥/١٩ م

الصّديق العزيز الشّيخ محمّد أشكناني المحترم

لقد قرأت كتابك "عالميّة الإسلام – الجزء الثّالث" ، وإذ أثمّن لكم هذا المجهود الكبير الّذي بُذِلَ في إخراج الكتاب بهذه الصّورة ، والأفكار الجريئة الّتي تمّ بحثها ، أتقدّم إليكم ببعض الملاحظات والتّعليقات بهذا الشّأن :

١– مكانة المرأة في الإسلام ص٣٨ :

قولك : "إنّ دليل إشكالات المستشكلين بأنّ الإسلام لم يُعْطِ مكانةً للمرأة . . ." .

إنّ هؤلاء المستشكلين لم يبنوا آراءهم بسبب ما رأوه من معاملة الرّجال المسلمين السّيّئة للنّساء ، بل يستدلّون بكتب التّراث وآراء الفقهاء والمتصدّين للدّين ، فهم – أي العامّة – لم يجتهدوا ولم يتجاوزوا ، بل هو ما يُمْلَى عليهم .

فلا يزال هناك علماء يردّدون بأنّ المرأة ناقصة عقل ودين ، ولذلك لم تُعْطَ حقّ الشّهادة إلّا بحضور امرأة أخرى ، ولم يبيّن الشّرع الإسلاميّ للعامّة أسبابًا مُقْنِعَةً لذلك التّمييز .

وقولك في ص٤١ : "نقول نحتاج إلى شاهدتين وتنتهي القضيّة ، ولا نحتاج أن نقول إنّها ناقصة عقل ودين" .

يؤسفني القول بأنّ هذا لن ينهي القضيّة ، فالنّاس تحتاج أن تعرف لماذا من الأصل امرأتان تساويان رجلًا واحدًا في الشّهادة وعلى

الإطلاق ودون قيود ، في الوقت الّذي يرون فيه نساء كثيرات يتفوّقن على الرّجال في كثير من المجالات وأكثر حكمةً منهم ؟!

أمّا آية النّشوز فلا يزال المفسّرون والعلماء في حيرة من أمرهم في كيفيّة تفسير هذه الآية ، وإظهارها بشكلها الحضاريّ لتتناسب مع رقيّ الإسلام والقرآن ، وأنّ ضرب المرأة مبرّر – حتّى ولو أحيانًا – لتقويمها لم يعد مقبولًا من المجتمعات كافّة .

وعلى الرّغم من أنّنا نردّد دائمًا أنّ الزّواج "مودّة ورحمة" ، لكنّنا نقرّ بأنّ المرأة يجب عليها أن تكون مهيّأةً لرغبات الرّجل الجنسيّة في أيّ وقت وعدم الرّفض وإلّا اعتبرت عاصيةً – وتعتبره بعض التّشريعات اغتصابًا حتّى وإن كانت زوجةً – .

كذلك إعطاء المهر للمرأة نظير الاستمتاع بها ، ألا يعدّ ذلك امتهانًا للمرأة ؟!

وأيضا لا يزال الاستشهاد بالرّواية : "شاوروهنّ وخالفوهنّ" – استدلالًا عند الكثيرين في إقصاء المرأة عند اتّخاذ القرار .

ولا يزال الشّرع لم يجد إجابات مقنعة لاستمرار فتاوى الزّواج والاستمتاع بالطّفلة .

وعليه فالرّجال لم يبنوا آراءهم من فراغ أو اجتهادات من عندهم ، بل استندوا إلي آراء العلماء بل أحيانًا إجماعهم .

وحتّى هذه اللّحظة لا توجد فتوى واضحة وصريحة في حرمة العبيد والجواري والإماء ، يجب أن يوفّر العلماء إجابات صريحة وواضحة

بحرمة ذلك ، وليس محاولات خجولة وتبريرات على استحياء ، فالقول بأنّ هذه الحالات لم تعد موجودةً أصلًا – غير كافٍ ، نعم غير موجودة لأنّنا أمّة ضعيفة ولا نستطيع غزو الأمم الأخرى ، فماذا لو أصبح المسلمون قوّة عظيمة وقامت بغزو الأمم الأخرى ؟! هل لدينا إجابة ؟!

٢- ص٧٨ : إنّ بحث الإنسان بنفسه ليصل إلى الاقتناع بمذهب أو دين يشبه في مضمونه بحث المسلم عن الأعلم لتقليده ، نعم نظريًّا ممكن ، ولكن عمليًّا فالمسألة ليست بهذه البساطة والوضوح بحيث يختار الشّخص دينًا أو يغيّر دينه الّذي نشأ عليه ، بل الأمر يتطلّب قدرات معيّنة فضلًا عن سنوات من البحث ، وإذا سلّمنا بهذه الطّريقة فلن نجد طبيبًا أو مهندسًا ، ولا حتّى أيّ تخصّص ممكن أن يستفيد المجتمع منه ، فليس من المعقول أن يصبح الجميع منشغلين في البحث الدّينيّ .

وعليه فلا أعتقد أنّ على الانسان البحث بهذه الطّريقة الشّاقّة والطّويلة والمؤرِّقة بقدر ما يجب عليه التّفكير وعدم التّكفير ، التّفكير في الإله الخالق الواحد ويوم الحساب ، وعدم تكفير المخالفين .

٣- قتل المرتدّ ص١٠٠ :

إنّ قتل المرتدّ إجماع بين العلماء على الرّغم من أنّه لم يَرِدْ في القرآن كما تفضّلت .

والحديث الّذي تمّ الاستناد إليه يعتبر من الآحاد ، ويستندون إلى

راوٍ واحد وهو عكرمة ، وهو كما قال عنه الإمام مالك صاحب المذهب بأنّه كذّاب .

فالسّؤال الّذي يحيّرنا جميعًا : كيف اعتمد العلماء على مصادر غير مؤكَّدة وبالإجماع أيضًا ؟!

وما فتئ المسلم مقرًّا لهم بالفقاهة والعلم الغزير ، ومقدِّسًا لكتبهم على مدى أكثر من ١٤٠٠ سنة ، أليس غريبًا أن نأتي الآن لنقول للنّاس أنّ السّابقين كانوا مخطئين ؟ ألا يُعْتَبَرُ ذلك طعنًا بكلّ هؤلاء الّذين سبقونا ؟ هل ترى سيصدّقنا النّاس ؟

الخلاصة :

هناك حلّ واحد للتّخلّص من هذه الإشكاليّة في نظري ، فكما أنّ هناك مفاهيم مثل تاريخ الفلسفة وتاريخ نظريّات الاقتصاد ، لماذا لا يسري ذلك على كتب التّراث أيضًا ؟

فتدرس كتب التّراث باعتبارها تاريخًا ، فيكون عندنا "تاريخ الفقه" و"تاريخ التّفسير" وهكذا ، فقط للتّدريس من باب العلم بالشّيء ، فبذلك لا نطعن في السّابقين ، ولكن نقول بأنّهم اجتهدوا بما كان يناسب فهمهم وزمانهم ومجتمعهم ، أمّا نحن فنجتهد كما اجتهدوا اجتهادًا يتناسب مع عقليّة النّاس وتفكيرهم وظروف مجتمعاتهم .

أسئلة :

١- ص١٣ الآية : **"وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ**

مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا" [1] .

هل يعني ذلك أنّ الّذين يعملون الصّالحات وهم غير مؤمنين سيدخلون النّار ؟

٢- ما هو الحدّ الفاصل للمسلم في رفض أو قبول مسألة مطروحة من قبل العلماء ؟ بمعنى من يحقّ له الرّفض ؟ هل هو أيّ مسلم طالما لديه دليل أو أنّه فقط للعلماء أو لطلّاب العلوم الدّينيّة ؟

وإذا كان باب البحث مفتوحًا فهو لمن بالتّحديد ؟ وإذا كان الإسلام يريد من النّاس الاقتناع فكيف يوفّق المسلم بين رأي المرجع غير المقنع بالنّسبة له ورأيه الشّخصيّ الّذي يعتبره منطقيًّا ؟

٣- ص٢١٢ : "فإذا كان مفوّضًا إلى الإمام أو الحاكم الشّرعيّ فيكون من الأحكام الولائيّة الحكوميّة لا من الأحكام الشّرعيّة" .

هل تعني أنّ مخالفة هذه الأحكام لا تعتبر مخالفةً شرعيّة ؟

مع خالص الشّكر والامتنان

عبدالكريم التّميمي

تعليقات الشّيخ محمّد أشكناني :

أشكرك وأشكر جميع المعلّقين على محاضرات "عالميّة الإسلام" والكتب الّتي صدرت ، والنّقاط الّتي تطرحونها نقاط مهمّة جدًّا تحتاج إلى أجوبة ، وبعض النّقاط الّتي يذكرها المعلّقون أجيب عنها ضمن

---

[1] النّساء : ١٢٣-١٢٤ .

المحاضرات في مواضع متفرّقة ، وبعض النّقاط الّتي ذكروها ستأتي في بحوث لاحقة ، كأبحاث الفقه العمليّ ، ونحن نسير في بحوثنا على أساس البدء بالفقه العقائديّ ثمّ بالفقه الأخلاقيّ ثمّ بالفقه العمليّ .

سأذكر هنا أجوبة وتعليقات سريعة على ما ذكرتم في تعليقاتكم ، والتّفاصيل ستأتي في بحوث لاحقة ، ولا أريد أن أستبق الأحداث بطرح جميع الآراء ، وإنّما أريد أن أتدرّج في الأبحاث إلى أن نصل إلى أبحاث الفقه العمليّ :

١- نعم كيفيّة معاملة الرّجال للنّساء انعكاس لما يوجد في كتب التّراث من الرّوايات المنقولة وأقوال العلماء والتّفسير الخاطئ للقرآن الكريم ، وإذا بحثنا سنجد أنّ هناك فرقًا كبيرًا بين طرح القرآن وبين طرح الرّوايات المنقولة وأقوال العلماء لأحكام المرأة .

٢- قولكم : "فالنّاس تحتاج أن تعرف لماذا من الأصل امرأتان تساويان رجلًا واحدًا في الشّهادة وعلى الإطلاق ودون قيود" .

بالنّسبة لشهادة امرأتين القرآن بيّن وقيّد الحكم ، ولم يجعل الحكم مطلقًا ، ولكنّنا أغفلنا هذا القيد ولم نأخذ به ، وجعلنا الحكم مطلقًا . لنرجع إلى قول القرآن الكريم لنرى هذا القيد :

"وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى" [١] .

---

[١] البقرة : ٢٨٢ .

"**أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى**" ، وهذا قيد لم يؤخذ بعين الاعتبار في تفسير الآية ، وهو قيد مهمّ جدًّا ، فالحكم ليس على إطلاقه ، فالقرآن ذكر السّبب وقيّد الحكم .

٣- حينما قُلْتُ : "نحتاج إلى شاهدتين وتنتهي القضيّة ، ولا نحتاج أن نقول إنّ المرأة ناقصة عقل ودين" .

كان هذا رَدًّا على قولهم بأنّها ناقصة عقل ودين ، ولم يكن رَدًّا على القول بالحاجة إلى شاهدتين .

٤- آية النّشوز ستأتي في أبحاث الفقه العمليّ ، ونسأل : هل يمكن أن نأتي بتفسير آخر للآية أو لا ؟

وهنا توجد نظرتان في تفسير القرآن الكريم :

النّظرة الأولى :

وهي مبنيّة على استقطاع الآية الكريمة من سياقها بدون الرّجوع إلى الظّروف المحيطة بالآية الكريمة ، وبدون الرّجوع إلى القواعد العامّة في الدّين ، والدين عبارة عن منظومة كاملة ، وليست أجزاءً متفرّقةً لا رابط بينها .

النّظرة الثّانية :

وهي مبنيّة على أخذ الآية ضمن سياقها القرآنيّ والظّروف المحيطة بالآية ، والرّجوع إلى القواعد العامّة في الدّين ، والأخذ بنظريّة دخالة الزّمان والمكان في الأحكام ، والقواعد العامّة في الدّين ليست مرتبطةً بالفقه العمليّ فقط ، بل نأخذ القواعد العامّة الموجودة في الدّين

ضمن الفقه الدّينيّ المكوّن من الفقه العقائديّ والفقه الأخلاقيّ والفقه العمليّ ، وإذا نظرنا إلى الدّين كمنظومة دينيّة كاملة فإنّ بعض الأحكام في الفقه العمليّ قد تتغيّر إلى أحكام أخرى .

٥- المهر أمر عرفيّ موجود في جميع المجتمعات ، ولكن يختلف من مجتمع إلى آخر ، ففي بعض المجتمعات الرّجل يعطي المهر ، وفي مجتمعات أخرى المرأة تعطي المهر ، وفي مجتمعات ثالثة يكون المهر على الرّجل وتجهيز البيت على المرأة .

٦- الزّواج بالطّفلة والاستمتاع بها أجاب عنها القرآن الكريم ، وقبل الرّجوع إلى الرّوايات لا بدّ أن نرجع إلى القرآن لنرى قوله تعالى :

"وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا" [١] .

يوجد سنّ لبلوغ وقت الزّواج ، وهو مرتبط ببلوغ الرّشد ، ويختلف عن السّن الشّرعيّ لأداء العبادات ، وفي التّفسير يجعلون سنّ البلوغ الشّرعيّ وسنّ الزّواج شيء واحد ، لذلك يقال بصحّة زواج الطّفل الصّغير والطّفلة الصّغيرة ، وهذه الآية من الآيات المغفول عنها .

٧- إجماع العلماء بذاته ليس دليلًا ، وإنّما إذا سبّب اليقين عند الفقيه ، فيأخذ به ، وإذا لم يسبّب اليقين للفقيه فلا يأخذ بهذا الإجماع ، وهذا رأي السّيد الشّهيد محمّد باقر الصّدر رضوان الله تعالى عليه ، وأشرت إليه في المحاضرة (٢٣) تحت عنوان "حرّيّة البحث العلميّ" ، وفي كتاب "عالميّة الإسلام" الجزء الثّاني ص١٩٢ .

---

[١] النّساء : ٦ .

٨- حكم العبيد والجواري يأتي الجواب عنه في أبحاث الفقه العمليّ بناءً على نظريّة دخالة الزّمان والمكان في الأحكام ، وحكم العبيد والجواري لم يشرّعه الإسلام ، بل كان موجودًا قبل الإسلام ، وتدخّل الإسلام لتنظيمه ، ولكنّه في نفس الوقت شجّع على تحرير العبيد في عدّة أحكام شرعيّة ، كما في الإفطار المتعمَّد في يوم من أيّام شهر رمضان حيث جعل الكفّارة عتق رقبة أو صيام شهرين أو إطعام ستّين مسكينًا .

٩- البحث عن الفقيه الأعلم للتّقليد ليس أمرًا صعبًا ، ولقد طرحت الحلّ العمليّ في محاضرات "التّقليد والأعلميّة" بحيث يمكن الوصول إلى الأعلم بطريقة بسيطة ، والمحاضرات موجودة على اليوتيوب .

١٠- لماذا يتّخذ الإنسان دينًا معيّنا أو مذهبًا معيّنًا ؟

لا يمكن القبول بأنّه يكون عن طريق الوراثة ، بل لا بدّ أن يكون على أساس التّفكير ، والتّفكير مطلوب من كلّ إنسان بحسب مستوى عقله ، فالتّفكير المطلوب من الإنسان العاديّ غير التّفكير المطلوب من العالم ، وكما أنّ الطّبيب يبذل جهده ويدرس سبع سنوات ليكون طبيبًا عامًّا ، وبعد ذلك يدرس عدّة سنوات ليكون طبيبًا متخصّصًا ، فنقول لكلّ إنسان ابحث لمدّة سنة عن الدّين والمذهب لتختار عن اقتناع ، وإذا وصلت إليه باقتناع فلا تكفّر من يخالفك الرأي ، فنحن بين التّفكير والتّكفير ، فمن يفكّر لا يكفّر ، ومن يكفّر لا يفكّر .

١١- قتل المرتدّ سيأتي في مباحث الفقه العمليّ ، ونبدأ بسؤال : هل يشترط أن يذكر القرآن الأحكام الدينيّة الرّئيسة أو لا ؟

وذكرنا أنّ أحكام الدّين على نوعين : أحكام تعبّديّة وأحكام تنظيميّة إداريّة ، وأنّ الأحكام الّتي تصدر من النّبيّ صلّى الله عليه وآله تكون على عدّة أقسام : أحكام شرعيّة وأحكام ولائيّة سياسيّة وأحكام قضائيّة وغيرها ، وإذا لم يذكر الحكم في القرآن فقد يكون حكمًا ولائيًّا سياسيًّا وليس حكمًا شرعيًّا تعبّديًّا ، وسيأتي بحث تفصيليّ عن "قتل المرتدّ" من القرآن والرّوايات ، وسيأتي البحث في أنّ حكم القتل هل هو مترتّب على عنوان الارتداد لذات هذا العنوان أو لعنوان آخر كالتّعاون مع الأعداء مثلًا ، كما هو موجود اليوم بما يسمّى الطّابور الخامس وخيانة الدّولة ، والّذي حكمه الإعدام عند جميع الدّول .

١٢- كلّ عالم يحدّد مصادر بحثه من البداية ، وفي حالة الإجماع يأتي العالم الباحث إلى رأي عالم عالم ليرى ما هو الدّليل على رأيه ، والعلماء المجمعون على رأي واحد لا بدّ أن نعرف أدلّتهم ، وإذا قَبِلَ الباحث دليل العالم فيأخذ برأيه ، وإذا لم يقبل الدّليل فيرفض رأيه ، والإجماع بذاته ليس حجّة إلّا إذا سبّب اليقين عند العالم الباحث كما مرت الإشارة إليه في النّقطة السّابعة .

١٣- مناقشة الآراء موجودة في جميع العلوم ، وعدم قبول الرّأي لا يعني الطّعن بصاحب الرّأي ، فإذا وصل العالم الباحث إلى دليل يدلّ

على رأي آخر فإنّه يسير كما يوجّهه الدّليل ، وكلّ عالم من العلماء السّابقين كان يعطي رأيه بناءً على الدّليل الّذي يقتنع به ، وكان العالم الآخر الّذي يكون من العلماء السّابقين أيضًا يردّ رأي العالم الّذي قبله لأنّه لم يقبل الدّليل ، فاختلاف الآراء كان موجودًا عند العلماء السّابقين ، وكذلك قد تختلف آراء العلماء الحاليّين عن آراء العلماء السّابقين ، والعلماء الحاليّون يبحثون عن أدلّة آراء العلماء السّابقين ، ويقيّمون الأدلّة ، ومن ثمّ يقبلون الرّأي أو يرفضونه وتكون لهم آراء أخرى ، وعدم قبول العالم لرأي العالم الآخر لا يدلّ على طعنه بشخص العالم .

واختلاف الآراء موجود حتّى في العلوم الدّنيويّة ، ولا يمكن الجمود على آراء العلماء السّابقين سواء في العلوم الدّينيّة أو العلوم الدّنيويّة ، وكما يقال : نحن أبناء الدّليل ، أينما مال نميل .

وباب الاجتهاد والبحث العلميّ مفتوح على الدّوام عند أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السّلام ، والمهمّ هو وجود الدّليل عند العالم حينما يعطي رأيًا .

١٤- قولكم في الخلاصة : "هناك حلّ واحد للتّخلّص من هذه الإشكاليّة في نظري" .

أقول إنّ الحلّ لا يقتصر على ما ذكرتموه ، فإنّ نظرية دخالة الزّمان والمكان في الأحكام ستحلّ كثيرًا من الإشكالات الواردة على أحكام الفقه العمليّ ، بالإضافة إلى الحاجة إلى تنقيح كتب التّراث من كتب

الرّوايات وتفسير القرآن وأقوال العلماء ، ومثل هذا العمل الجبّار احتاج عبر التّاريخ إلى علماء مبدعين مجدّدين يقومون بإنجازه ، وكما قام العلماء السّابقون بهذا العمل ، سيقوم العلماء الحاليّون به أيضًا .

وعمليّة التّنقيح عمليّة مستمرّة عبر التّاريخ ، وكما تتطوّر العلوم الدّنيويّة ، كذلك فإنّ العلوم الدّينيّة تتطوّر بقراءات جديدة وأفهام جديدة للنّصوص الدّينية قائمة على نظريّات مستقاة من الدّين ، وقادرة على مواكبة العصر الحاليّ وجميع العصور .

١٥- في الآية الكريمة : **"وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا"** [١] .

طرحت في الجزء الثّالث من كتاب "عالميّة الإسلام" ص١١٧ بحثًا تحت عنوان "بحث لغويّ مهمّ : متعلَّق الإيمان ومتعلَّق الكفر" ، فحينما يقال "إيمان" أو "كفر" فلا بدّ أن نعرف ما هو متعلَّق الإيمان ومتعلَّق الكفر ، وهذا يحتاج إلى بحث قرآنيّ في معنى "الإيمان" ومعنى "الكفر" ، وفي القرآن نرى بأنّه في بعض المواضع يذكر متعلَّق الإيمان ومتعلَّق الكفر ، وفي بعض الآيات لا يذكر المتعلَّق بل يكون "الإيمان" و"الكفر" مطلقين غير مقيَّدين بأيّ قيد .

وسيأتي بحث تحت عنوان "معاني الإيمان والكفر في القرآن" ، وإن كانت هناك بعض البحوث والإشارات في بعض المحاضرات إلى هذا الموضوع ، مثل بحث "من هو الكافر في القرآن ؟" .

---

[١] النّساء : ١٢٣-١٢٤ .

بالإضافة إلى أنّ ما سيجري يوم القيامة سيكون بيد الله تعالى ، ونحن لسنا ممّن أعطانا الله التّفويض والوكالة لنكون قسيمي الجنّة والنّار ، فنقول إنّ هذا يدخل الجنّة وذاك يدخل النّار ، فعلينا جميعًا العمل في الدنيا ، والحساب على الله تعالى في الآخرة .

١٦- باب البحث العلميّ مفتوح لكلّ أحد ، ولكن بشرط أن يوفّر في نفسه مقدّمات البحث ، فلا نتوقّع من شخص لا يتقن اللّغة العربيّة أن يبحث في النّصوص الدّينيّة من الآيات والرّوايات .

١٧- مخالفة الأحكام الولائيّة السّياسيّة الصّادرة من المعصوم أو الحاكم الشّرعيّ تعتبر مخالفة شرعية كما هو الحال في الأحكام الشّرعيّة والأحكام القضائيّة وغيرها .

عالميّة الإسلام

(٤٠)

الإله الخالق للكون

كمال الإنسان في البحث عن الحقائق [١]

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

كان البحث في الإله الخالق للكون ، أخذنا مقدّمتين ، وندخل في المقدّمة الثّالثة .

المقدّمة الثّالثة : كمال الإنسان في البحث عن الحقائق :

كمال الإنسان – بما هو إنسان – أنّه يطلب الحقائق والواقع ، ولكن بواسطة الأدلّة ، والإنسان يبحث دائمًا عن الحقيقة ، ولكنّ الطّريق للوصول إلى الحقائق يكون بواسطة الأدلّة ؛ لأنّ الحقيقة والواقع غير مكشوف للإنسان ، فإذا انكشف الواقع للإنسان فلا يحتاج إلى الدّليل ، فهو يرى الواقع مباشرة بلا واسطة .

---

[١] أُلْقِيَتْ هذه المحاضرة في الدّيوانيّة الأسبوعيّة في منطقة بيان ، الجمعة ٩ جمادى الآخرة ١٤٤٠ هـ ، الموافق ٢٠١٩/٢/١٥ م .

عن أمير المؤمنين عليه السّلام قال : "لو كُشِفَ الغطاء ما ازددت يقينًا" [١] .

أمّا نحن فلا يمكن لنا أن نصل إلى معرفة الحقيقة والواقع بشكل مباشر ، فنحتاج إلى الدّليل ، والإنسان يبحث دائمًا عن الأدلّة ، أيّ فكرة يحاول أن يصل إليها فإنّه يتحرّك مع الدليل ، فالدّليل يعطيك نتيجة ، ويحاول الإنسان أن يصل إلى الأدلّة القطعيّة الّتي تعطيه القطع واليقين بالواقع ، ولكن مع الدّليل القطعيّ قد يصل إلى الواقع وقد لا يصل ، لذلك تجد اختلاف الآراء ووجهات النّظر بين العلماء ، مع أنّ الدّليل واحد ، ولكنّ النتائج مختلفة .

سؤال : لماذا يريد الإنسان أن يصل إلى معرفة الحقائق ؟

الجواب :

هدف الإنسان تنظيم حياته وسلوكه على أساس الحقائق الّتي يصل إلى معرفتها ، فالهدف هدف عمليّ ، نعم بعض الحقائق قد تكون حقائق نظريّة ، ويريد أن يصل أيضًا إلى معرفة الحقيقة النّظريّة .

مثلًا علماء الفلك أو علماء الكون يحاولون أن يصلوا إلى معرفة عدد الكواكب في المجموعة الشّمسيّة ، الكواكب البعيدة لا يستطيعون الوصول إليها من ناحية عمليّة في الوقت الحالي ، ولكن معرفة الحقيقة مهمّة عندهم ، يريدون أن يعرفوا ذلك من ناحية نظريّة ، أنت كإنسان عاديّ لا يهمّك معرفة أنّ الكواكب تسعة أو

---

[١] شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٧ ص٢٥٣ .

أحد عشر أو خمسة عشر كوكبًا ، ولكنّ العلماء يريدون أن يعرفوا الآن ولو كحقيقة نظريّة ، ولعلّهم في المستقبل يستطيعون أن يصلوا إلى تلك الكواكب البعيدة ، لذلك فالعلوم الطّبيعيّة تتطوّر ويستفيد منها العلماء .

إذن :

الإنسان يطلب الحقيقة ، ولكنّه لا يعلم أنّ هذه الحقيقة أصابت الواقع أو لم تصبه ، وأنّها مطابقة للواقع أو غير مطابقة للواقع ؛ لأنّ الواقع مجهول غير مكشوف له ، وهو وصل إلى ما يعتقد أنّه حقيقة مطابقة للواقع ، ولو كان الواقع مكشوفًا له فلا يحتاج إلى البحث عن الدّليل الّذي يوصله إلى الواقع .

إنّ دور الإنسان أن يتّبع الدّليل الثّابت عنده بالمنهج العلميّ لا على أساس العناد للآخرين ، ولا على أساس هوى النّفس ، أو أيّ سبب آخر ، وعلى الإنسان أن يتجرّد عن العناد والأهواء حينما يبحث عن الحقيقة ، فيقبل الدّليل ، ولا بدّ أن يكون الدّليل دليلًا علميا ، وإذا رأيت عند أيّ دين أو مذهب حقًّا فقل إنّ هذا حقّ ، ولا تعاند حتّى لو كان الدّين دينًا وضعيًّا غير سماويّ ، فهم إذا طرحوا شيئًا من الحقيقة فلا بدّ أن تقبل هذا الحقّ ؛ لأنّ الحقّ هدف الإنسان المؤمن أينما كان هذا الحقّ ، ولا يهمّه من أين يأتي الحقّ ، فالعلم والحكمة والحقّ والمعرفة ضالّة المؤمن ، يحاول أن يعرف ويعلم من أيّ طريق أتى العلم والمعرفة والحكمة والحقّ ، والآن العلوم الطّبيعيّة

يأخذها المسلمون من علماء الغرب ، هذه العلوم علوم حقّ ، وما وصلوا إليه بالدّليل يعتبر حقًّا .

وكلّ إنسان إذا كان يتّبع الدّليل فإنّه يعتقد أنّه مصيب للواقع ، فأنت الّذي تتّبع الدّليل العلميّ تعتقد أنّك مصيب للواقع وأنّك قد وصلت إلى الحقيقة الواقعيّة ، ولكن يوجد احتمال أنّك لم تُصِبِ الواقع ، وهذا الاحتمال لا يمكن التّخلّي عنه لأنّ الواقع غير مكشوف ، والشّخص الآخر الّذي يتّبع الدّليل يعتقد أيضًا أنّه مصيب للواقع وأنّه قد وصل إلى الحقيقة الواقعيّة ، ويوجد أيضًا احتمال أنّه لم يُصِبِ الواقع ، ولكنّ الحجّة عليك هو الدّليل ، والحجّة عليه هو الدّليل ، فالحجّة على جميع الأفراد هو الدّليل ، وأنت تبحث عن الدّليل ، وكلا المؤمن والملحد إذا كانا يتّبعان الدّليل فإنّهما يعتقدان أنّهما قد أصابا الواقع ، فالملحد يعتقد أن لا وجود لإله خالق للكون ، ويعتقد بأنّه يوجد عنده الدّليل ، والمؤمن يعتقد بوجود إله خالق للكون ، ويعتقد بأنّه يوجد عنده الدّليل ، ولا بدّ أن يكون المؤمن والملحد من المفكّرين الباحثين عن الحقيقة ، لا من النّاقلين لأفكار الآخرين بدون تفكّر وتأمّل وتدبّر .

ومن يأخذ من الآخرين فإمّا أن يأخذ من الأجداد والآباء وإما أن يأخذ من المفكّرين الآخرين فهؤلاء لا نقاش معهم لأنّ النّقاش معهم لا يؤدّي إلى نتيجة ولا يكون نافعًا ، واسأل أكثر المسلمين : ما هو الدّليل على وجود الله عزّ وجلّ ؟

سيقولون لك إنّ القرآن يقول ذلك ، وهذا الاستدلال لا يكفي حينما تناقش شخصًا لا يعتقد بالقرآن ، فلا يمكن أن تأتي إليه من طريق القرآن ، نعم تأتي إليه عن طريق الأدلّة العقليّة ؛ لأنّ العقل متّفق عليه بين جميع النّاس .

فنسأل المؤمن : ما هي الأدلّة العقليّة الّتي تثبت وجود الإله الخالق ؟

كذلك نسأل الملحد : ما هي الأدلّة العقليّة الّتي تثبت عدم وجود الإله الخالق ؟

ومن يريد أن يجيب على هذه الأسئلة لا بدّ أن يكون مفكّرًا ، ولا بدّ أن يفكّر كلّ إنسان في هذه الأمور ، وكثير من الأشخاص لا يهمّهم هذا الموضوع ، يقول أنا أعتقد بوجود الله ، فلا أحتاج إلى دليل ، ولكن في يوم القيامة يُسْأَلُ الإنسان عن الدّليل ؛ لأنّ المسلمين اليوم على مذاهب ومدارس واتّجاهات ، فلا يُسْأَلُ فقط : لماذا اخترت الإسلام ؟

وإنّما يُسْأَلُ أيضًا : لماذا اخترت هذا المذهب وهذه المدرسة وهذا الاتّجاه ؟

يقول الله تعالى في كتابه الكريم :

"وَوُضِعَ الكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا" [1] .

---

[1] الكهف : ٤٩ .

إنّ كلّ شيء موجود عندك سَتُسْأَلُ عنه ، الأفكار الموجودة عندك تُحَاسَبُ عليها ، الاعتقادات تُحَاسَبُ عليها ، سَتُسْأَلُ عن دليلك على هذه الاعتقادات ، وهذا مهمّ لكلّ إنسان لا المسلم فقط .

إذن :

حينما نناقش المؤمن والملحد لا بدّ أن يكونا من المفكّرين ، وأمّا من يكون انطلاقه من العناد حتّى لو كان مسلمًا فلا نناقشه ، ومن الممكن أنّ مسلمًا يرى الحقّ عند الطّرف الآخر ، ولكنّه يعاند ، فالمعاند ومن يريد الانفلات من أيّ ضوابط لا نقاش معهما ، لا يوجد عندهما فكر لكي تناقشه ، وحينما تُطْرَحُ مسألة الإلحاد فإنّنا ننظر إلى ما يقوله الملحدون المفكّرون ، هم يؤلّفون كتبًا لإثبات مدّعاهم ، ويبيّنون أدلّتهم ، ويناقشون أدلّة المؤمنين ، المؤمن من أيّ دين كان ، فمن يعتقد بوجود إله خالق للكون فيعتبر من المؤمنين ، والمسلم واليهوديّ والمسيحيّ يعتقدون بوجود إله خالق للكون ، والرّبوبيّون يعتقدون أيضًا بوجود إله ، ولكنّهم لا يعتقدون بالأنبياء والأديان ، واللّاأدريّون يقولون لا ندري ، يمكن أن يوجد إله خالق ، ويمكن أن لا يوجد إله خالق ، فيوجد عندهم احتمال ٥٠% بوجود الإله ، و ٥٠% بعدم وجود الإله .

إنّ كلّ شخص من هذه الأقسام ننظر إلى المفكّرين منهم ، المسلم المفكّر ، واليهوديّ المفكّر ، والمسيحيّ المفكّر ، والملحد المفكّر ، والرّبوبيّ المفكّر ، واللّاأدريّ المفكّر ، والبوذيّ المفكّر ، وكلّ من يكون

عنده قدرة على النّقاش والحوار .

إنّ هؤلاء الّذين عندهم الأدلّة على إثبات مدّعاهم كلّ واحد منهم يعتقد بصوابه وخطأ الآخر ، فالمسلم يعتقد أنّه على حقّ والطرف الآخر على باطل ، والطّرف الآخر يعتقد أنّه على حقّ والآخرون على باطل ، فالملحد يقول إنّ المؤمنين على باطل فلا وجود لخالق لكي تؤمنوا به .

ونحن اعتقادنا كمسلمين أنّ الملحد على باطل ، والمشرك على باطل ، مع أنّه يقول بوجود الدّليل عنده ، هذا هو اعتقادنا ، نحن نعتقد أنّ الإسلام على حقّ ، ولولا هذا الاعتقاد لما صرنا مسلمين ، واليهوديّ يعتقد أنّ اليهوديّة على حق ، والمسيحيّ يعتقد أنّ المسيحيّة على حق ، والملحد يعتقد أنّه على حقّ ، وكذلك كلّ من يؤمن بدين يعتقد أنّ دينه على حقّ ، ونحن كمسلمين اعتقادنا أنّ الكفر والإلحاد والشّرك وباقي الأقسام والأديان على باطل ، كما أنّه بين المذاهب والمدارس المسلمة أتباع كلّ مذهب ومدرسة يعتقدون أنّهم على حقّ والأطراف الأخرى على باطل ، فكلّ طرف يقول بأنّه على حقّ والأطراف الأخرى على باطل .

"قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالبَغْيَ بِغَيْرِ الحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ" [1] .

---

[1] الأعراف : ٣٣ .

الشّـرك بالله مـن المحرّمـات ، هـذا مـا يعتقـده المسـلمون ، ولكـنّ المشرك لا يعتقد بأنّه على باطل ، بل يعتقد أنّه على حقّ .

نسأل :

بين هـذه الأقـوال المختلفـة كيـف يمكـن للإنسـان أن يصـل إلى معرفـة الحـقّ وخاصّـة مـع وسـائل التّواصـل الّـتي تنقـل الأفكـار بسرعة ؟

لذلك نرى بأنّ كثيرًا من المسلمين ينتقلون إلى الإلحاد ، فبين هذه الآراء كيف يمكن الوصول إلى معرفة الحقّ ؟

الجواب :

يأتي هنـا دور الحـوار وفـتح باب النّقـاش للوصـول إلى صـحّة أحـد الأدلّة ، فلا بدّ أن تنظر إلى الأدلّة المطروحة ، والمفروض أنّ الإنسان المسـلم لا يخـاف مـن البحـث العلمـيّ في الأدلّـة ؛ لأنّ النّقـاش في الإسـلام مفتـوح دائمًـا ، ولا توجـد خطـوط حمـراء ، حـتّى النّقـاش في وجود الله سبحانه ، لذلك نجد في كتبنا سؤالًا عن الدّليل على وجود الله ، والسّؤال عن الدّليل على كون النّبيّ صلّى الله عليه وآله رسولًا ، والسّـؤال عـن الـدّليل على إمامـة الأئمّـة عليهم السّـلام ، وجميـع هـذه الـمسائل تُنَـاقَشُ ، ولا يوجـد خـطّ أحـمر ، وكـلّ سـؤال يحتـاج إلى جواب ، نعم في بعض المذاهب تجد أنّ علماءهم يقولون لا تسأل ، ولكـن في مدرسـة أهـل البيـت علـيهم السّـلام لا يوجـد عنـدنا هـذا التّخوّف من السّؤال ، فالمحافظة على عقائد النّاس تكون من خلال

الأدلّة ، لا نقول اعتقد فقط ولا تفكّر ، بل نقول اعتقد وفكّر وناقش واقتنع ، اقتنع بالدّليل ، واعتقد عن طريق الدّليل ؛ لكي يكون اعتقادك اعتقادًا راسخًا ، وإذا كان الشّخص يعتقد بلا دليل فإنّ أقلّ شبهة تهزّ اعتقاده .

مثلًا : لماذا تسجد على التّربة أثناء الصّلاة ؟

البعض من خلال هذا السّؤال قد يترك مدرسة أهل البيت عليهم السّلام ، مع أنّ السّؤال بسيط والجواب سهل ، فهو كان يقوم بالأعمال بلا تفكّر وبلا دليل ، لا يدري لماذا يسجد على التّربة ، يفعل لأنّه رأى أباه يسجد على التّربة ، فأقلّ شبهة لا يملك لها جوابًا ؛ لأنّه لا يعرف المسألة ، ولا يعرف أنّه يجب السّجود على كلّ ما لا يُؤْكَلُ ولا يُلْبَسُ ، فلا يعرف هذه المسألة الفقهيّة العمليّة البسيطة .

والآن أكثر أسئلة النّاس تكون في مسائل الفقه العمليّ ، مسائل بسيطة جدًّا ، ترى شخصًا عمره خمسون سنةً ما زال يسأل أسئلة بسيطة ، وهذه المسائل لا بدّ أن يكون قد تعلّمها حينما كان في الخامسة عشر من عمره ، والمسلمون بشكل عام لا يدرسون الرّسالة العمليّة والكتب الّتي تتعلّق بالفقه العمليّ .

لا بدّ على كلّ مسلم حينما يبلغ أن يدرس العقائد والأخلاق والفقه العمليّ ، ترى البعض لا يوجد عنده أيّ اطّلاع على دينه ، ومع ذلك يقول أنا مسلم ، تسأله عن بعض الأشياء البسيطة في

الإسلام فلا يعرفها ، يعتقد بإسلام مجهول عنده ، ولا يوجد عنده اطّلاع على معالم الإسلام .

وأغلب المسلمين عندهم اعتقاد بأنّ الحقّ معهم في كلّ شيء ، وعندما تسألهم عن الأدلّة يقولون لا نعرف ، وكلّ دين وكلّ مذهب يدّعي أنّ الحقائق المطلقة عنده وأنّ الطّرف الآخر لا يملك شيئًا من الحقيقة ، وكلّ مذهب يقول إنّ الحقّ عندي ، فقط شعارات بدون أدلّة ، شعار : الحقّ معي والباطل مع غيري .

لو نسأل أيّ إنسان شيعيّ : ما هو الدّليل على إمامة الأئمّة عليهم السّلام ؟

أول ما يأتي بالرّوايات ، لا بدّ أن تكون الانطلاقة من القرآن ؛ لأنّ القرآن لا بدّ أن يكون قد طرح أصول المسائل الدّينيّة وأصول العقائد ، نعم التّفاصيل موجودة في الرّوايات .

"ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ" [(١)] .

التّوراة فيها تفصيل كلّ شيء ، فالقرآن بطريق أولى فيه تفصيل كلّ شيء .

". . . مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ" [(٢)] .

[(١)] الأنعام : ١٥٤ .

[(٢)] يوسف : ١١١ .

". . . **وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ**" [١] .

القرآن فيه تبيان كلّ شيء يحتاجه الإنسان في حركته إلى الله عزّ وجلّ ، ولا بدّ أن تكون أصول المسائل الدّينيّة موجودة في القرآن ، وإذا لم تكن فيه جميع أصول المسائل الدّينيّة فالقرآن يكون ناقصًا .

إذن :

كلّ دين وكلّ مذهب يدّعي أنّ الحقائق المطلقة عنده وأنّ الأطراف الأخرى لا تملك شيئًا من الحقيقة ، مع أنّه في ضمن المذهب الواحد يوجد اختلاف بين العلماء في كلّ أمر تقريبًا ، كلّ مسألة تجد فيها اختلاف آراء العلماء ، تجد رأيين أو ثلاثة أو أربعة آراء ، ففي المذهب الواحد يوجد اختلاف الآراء ، وضمن الدّين الواحد يوجد اختلاف الآراء أيضًا ، وضمن الأديان يوجد اختلاف الآراء أيضًا .

مثلًا جميع المسلمين يعتقدون بوجود الله ، هو أصل من أصول الدّين ، بل هو الأصل الأول ، والبعض منهم يقول بأنّ الله جسم ، ويأتي بآيات قرآنيّة تدل على صحّة رأيه ، مثل :

"**يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ**" [٢] .

"**فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ**" [٣] .

---

[١] النّحل : ٨٩ .

[٢] الفتح : ١٠ .

[٣] البقرة : ١١٥ .

يقولون هو جسم لا كالأجسام ، وله يد لا كالأيدي ، وله وجه لا كالوجوه .

والبعض الآخر ينكر الجسميّة .

وهذا ضمن الدّين الواحد ، فالحقّ مع مَنْ ؟

كلّ منهم يقول بأنّ الحقّ معه والطّرف الآخر خارج عن الدّين ، فمن يقول بالجسميّة يكفّر من لا يقول بالجسميّة لأنّه يعتقد أنّ جسميّة الله من أصول الدّين ، وهذا هو اعتقاده ، والاعتقاد يُدْخِلُ وَيُخْرِجُ ، يُدْخِلُ من يعتقد ، وَيُخْرِجُ من لا يعتقد ، وبالعكس ، فمن يعتقد بأنّ الله ليس بجسم يعتقد بأنّ عدم الجسميّة من أصول الدّين ، فيكون الطّرف الآخر خارجًا عن الإسلام من حيث هذا الاعتقاد .

إنّ الاختلاف موجود بين الأديان ، وموجود في ضمن الدّين الواحد ، وموجود في ضمن المذهب الواحد ، ومن طبيعة خلق الإنسان الاختلاف .

في هذا المكان لو نراجع آراءنا نجد اختلافًا كثيرًا موجودا بيننا ، حتّى في الأمور الدّينيّة توجد اختلافات ، وبين العلماء اختلاف الآراء واضح ، ولو كان العلماء متّفقين على رأي واحد لما احتجنا إلى رسائل عمليّة تعدّ بالمئات أو الآلاف ، فكلّ فقيه يطرح آراءه في رسالته العمليّة بحسب استنباطاته من الأدلّة ، هذا رأي الفقيه الأوّل ، وذاك رأي الفقيه الثّاني ، وهكذا .

يقول القرآن الكريم :

"وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ" [1] .

إنّ الاختلاف طبيعة الحياة ، فمن طبيعة الإنسان أنّه يختلف عن الإنسان الآخر ، لا يوجد تطابق كامل بين أيّ شخصين ، قد يكون الاتّفاق في الآراء بين شخصين بنسبة ٩٠% ، فتوجد نسبة ١٠% من الاختلاف ، قد يكون الاختلاف بين دينين بنسبة ٩٠% ، ولكن يوجد اتّفاق بنسبة ١٠% .

أنت المسلم تعتقد بوجود إله خالق ، كذلك اليهوديّ والمسيحيّ يعتقدان نفس الاعتقاد ، نعم يوجد اختلاف في تصوير الإله ، فأنت تعتقد أنّه واحد ولا ينقسم إلى ثلاث ، والمسيحيّ يعتقد أنّ الإله ثلاثة ، يقول هو واحد مركّب من ثلاث ، فيوجد اتّفاق على أصل وجود الإله الخالق ، ولكنّ الاختلاف في التّفاصيل ، وأمّا مع الملحد الّذي لا يعتقد بوجود إله ، فيكون الاختلاف معه في أصل وجود الإله .

يقول جيمس كولينز في كتابه "الله في الفلسفة الحديثة" : دولباك يعبَّر عنه بأنّه كان يتباهى بأنّه العدوّ الشّخصيّ للإله . . . وكان الدّليل على لاوجود الله في نظر هذه الجماعة من القوّة والوضوح بحيث لا يصدّق بمذهب الألوهيّة إلّا جبان ، بل إنّها تُدِينُ من يتّخذ

---

[1] هود : ١١٨-١١٩ .

موقف التّحفّظ والشّكّ في وجود الإله [1] .

يقول : "تُدِينُ من يتّخذ موقف التّحفّظ والشّكّ في وجود الإله" أي تدين اللّاأدريّ أيضًا كما أنّه يدين المؤمنين بوجود الإله .

طبعًا هذا الكلام ليس كلامًا علميًّا حين النّقاش ، أنّه يتّهم الطّرف الآخر ، إذا كان يوجد عنده شيء فليناقش الدّليل ، وليترك القضايا الشّخصيّة في الطّعن .

ويقول : "كان الدّليل على لاوجود الله في نظر هذه الجماعة من القوّة والوضوح" .

نقول حتّى من يعتقد بوجود الإله يقول أيضًا بقوّة ووضوح دليله ، فالملحد عنده قوّة ووضوح في أدلّته على عدم وجود الإله ، كذلك من يعتقد بوجود إله يكون دليله عنده قويًّا وواضحًا .

إذن لا توجد حاجة للطّعن في الآخرين ، ناقش دليله ، أنت انقض الدّليل الّذي عنده ، وهذا أفضل ردّ على الطّرف الآخر ، وأمّا الطّعن فيه فيجعله يعاندك أكثر ، وقد يصير عنده أتباع أكثر .

والمسلمون ضعفاء في الحوار تراهم يطعنون في شخص حينما يريدون مناقشته ، فإذا كان في مقابلة على قناة فضائيّة وطرح الملحد

---

[1] الله في الفلسفة الحديثة God in Modern Philosophy ، تأليف : جيمس كولينز James Collins ، ترجمة : فؤاد كامل ، ص٢١٨ تحت عنوان "الإلحاد العلميّ عند دولباك d'Holbach " ، والصّحيح أن يترجم إلى "الإله في الفلسفة الحديثة" ، فهم لا يتحدّثون عن الله عز وجلّ .

أدلّته ترى المسلم الّذي يناقشه يقول له أنت مريض نفسيًّا واعرض نفسك على طبيب نفسيّ ، كما يحدث في بعض المقابلات ، هو لم يرد على أدلّته ، وبدأ بالطّعن بشخصه ، والملحد يستطيع أن يقول له أيضًا أنت مريض نفسيّ ، بنفس الأسلوب ، فيكون الاتّهام متبادلًا بين الأطراف ، هو طرح أدلّته وأنت اطرح أدلّتك وناقش أدلّته ، أنت في قناة فضائيّة أمام العالم ، أو ترى أنّ هذا الملحد يُطْرَدُ من الحلقة ، فنسأل : إذن لماذا من البداية دعوتموه إلى اللّقاء وأنتم تعلمون أنّه ملحد ؟!

هو ضيف في برنامجك ، أو من البداية لا تدعوه إلى اللّقاء ، تطرده لمجرّد أنّه طرح بعض الأدلّة الّتي لا تعجبك ، وأنت قبل اللّقاء تعلم أنّه ملحد ، فهو سيطرح الأدلّة الّتي عنده وينقض أدلّتك ، وإذا فتحت باب الأدلّة فناقشها ، وهكذا سيظهر أنّ أدلّة المسلمين ضعيفة ، ولا يعرفون كيفيّة النّقاش ، وأنّهم يطردون ضيوفهم ، بالعكس أنت تثبّت موقفه أكثر ويكثر أتباعه ، ولن يشعر الملحد بالضّعف ، ويخرج من النّقاش ويقول لأتباعه رأيتم بأنّ المسلمين لا يعرفون النّقاش ولا يحترمون ضيوفهم ، يقول طرحت أدلّة فطعنوا بشخصي .

حينما تريد أن تناقش ناقش الدّليل واترك الشّخص ، خذ الدّليل وانقضه ؛ فهم يتشبّثون بالأدلّة ، وأمّا إذا طعنت في شخصه فلن تخرج بنتيجة ، ويمكنك تأليف كتاب عن أحد الملحدين وتقول فيه هو

جبان ولا يفهم هو كافر هو ملحد ، بهذا الكتاب لن تصل إلى أيّ نتيجة إيجابيّة ، بل ستحصل على نتائج سلبيّة عليك وعلى الإسلام .

إذن :

الإنسان يبحث عن الحقيقة ، وكماله يكمن في البحث عن الحقيقة ، ويبحث عن الحقيقة عن طريق الدّليل ، في كلّ فكرة تريد أن تعتقد بها لا بدّ أن يكون عندك الدّليل على صحّة هذه الفكرة ، من أيّ دين كان الشّخص ، من أيّ مذهب كان ، حتّى لو كان ملحدًا ، اطرح أدلّتك وناقش أدلّة الآخرين ، ولكن توقّع أنّ الآخرين سيناقشونك أدلّتك ، ألّف كتابًا في العقائد وانشره وستجد من يردّ على كتابك ، إذا كان الإنسان قويًّا في أدلّته فلا يخاف من طرحها ، قل إنّ هذا دليلي وأنا أعتقد بصحّة دليلي ، وإذا أشكل الطّرف الآخر بإشكال قويّ فلا بدّ أن تردّ على إشكاله بجواب قويّ ، وإذا كان جوابك ضعيفًا فإن دليلك يُفَنَّدُ .

يقولون إنّ وجود الشّرور في العالم يدلّ على عدم وجود إله ، أجب عن هذا الإشكال ، يقول أنتم تقولون إنّ الإله مصدر للخير ، ونرى الشّرور في العالم من البراكين والزّلازل والفيضانات الّتي تقتل الآلاف من الرّجال والنّساء والأطفال ، فما هو جوابكم أيها المسلمون ؟

كلّ سؤال يحتاج إلى جواب .

هل الله خلق الخير والشّر أو خلق الخير فقط ؟

يقول القرآن الكريم :

"كُـلُّ نَفْـسٍ ذَائِقَـةُ الـمَوْتِ وَنَبْلُـوكُمْ بِالشَّـرِّ وَالخَـيْرِ فِتْنَـةً وَإِلَيْنَـا تُرْجَعُونَ" [1] .

إنّ الخير والشّرّ من الله عزّ وجلّ .

فيأتي السّؤال : كيف يمكن أن يصدر الشّرّ من الله ؟

هناك فلسفة من وجود الخير والشّرّ ، وهي الفتنة ، يريد الله أن يرى أنّ الإنسان صادق في إيمانه أو لا ، ولكن يشكلون علينا أنّ أصل الشّرّ كيف يمكن أن يصدر من الإله الخالق ؟

هذا السّؤال بل كلّ سؤال يحتاج إلى جواب ، وسنأتي إلى مشكلة الشّرور ، ونجيب عليها في بحوث قادمة في محلّها المناسب إن شاء الله تعالى ، وتوجد خمسة أجوبة لردّ هذا الإشكال ، ونضيف عليها جوابًا سادسًا إن شاء الله حينما نأتي إلى بحث الإشكالات الّتي تَرِدُ على وجود الإله ، وهذا الإشكال مطروح بقوّة ، ومن أقوى الأدلّة الّتي يستدلّون بها على عدم وجود الإله .

أنت كإنسان مسلم أمام هذا العالم المملوء بالأديان وبالإلحاد لا بدّ أن يكون عندك القدرة على النّقاش ، والآن العالم مفتوح على بعضه البعض ، ولا يمكن أن يضع الإنسان رأسه في الرّمال ؛ لأنّ الإشكالات تنتشر في العالم خلال خمس دقائق ، انشر الآن شيئًا مُهِمًّا وسترى أنّه ينتشر في العالم خلال دقائق معدودة ، وأنت المرسِل ستصل إليك نفس الرّسالة الّتي أرسلتها خلال دقائق .

---

[1] الأنبياء : ٣٥ .

لا بدّ أن تكون أدلّة جميع الأديان عند العلماء ، والعلماء يجب أن يهتمّوا بهذا الأمر ، في الجامعات نرى أنّ هناك قسمًا للأديان والمذاهب ، ولا بدّ أن يكون عندنا في الحوزة العلميّة قسم الأديان والمذاهب بحيث إنّ بعض طلبة العلوم يبدءون من البداية بالاهتمام بالأديان والمذاهب ، ويبحثون عن كلّ دين في العالم ، ويأتون بأدلّة هذه الأديان من خلال كتبهم ، ويناقشون هذه الأدلّة ، والآن بحوث عن اليهوديّة والمسيحيّة لا توجد عندنا بالشّكل الكافي ، مع أنّ القرآن يذكر أهل الكتاب كثيرًا ، ومع ذلك لا توجد عندنا بحوث كافية ، وآراء اليهود والمسيحيّين في مختلف المسائل لا نعرفها ، فما بالك بالأديان الأخرى ؟!

البوذيّة ما هي عقائدهم ؟ وما هي أدلّتهم ؟ وما هي كتبهم الّتي يعتمدون عليها ؟

لا يوجد عندنا اطّلاع كاف عليها .

وهكذا السّيخ والهندوس ، وفي العالم توجد مئات الأديان ، فلا بدّ أن يكون عندنا أشخاص متخصّصون في هذه الأديان ، وحينما نريد أيّ بحث في أيّ دين نأتي إلى كتب المتخصّصين في الأديان ، وأنت تعتقد بالإسلام ، ولكنّك لم تناقش الأديان الأخرى ، أنت تعتقد أنّ الحقّ معك بسبب تكرار قول ذلك ، فأنت منذ الصّغر تسمع من أبيك وأمّك أنّ المسلمين على حقّ ، ثمّ تسمع ذلك في المدرسة ، ثمّ تقرأ في وسائل الإعلام ، ونكرّر عبارة الإسلام صالح لكلّ زمان

ومكان ، ولكن لو نسأل عن تفاصيل هذه العبارة فلا توجد عندنا هذه التّفاصيل ، نقول إنّ الإسلام صالح لكلّ زمان ومكان ، وصالح لحلّ مشاكل البشريّة ، فيأتي إشكال : أنتم أيّها المسلمون لم تحلّوا مشاكلكم ، فإذا كان الإسلام صالحًا لحلّ مشاكل البشريّة فأين حلولكم لمشاكلكم ؟ وأين بحوثكم في حلّ مشاكل البشريّة ؟

لا بد أن يوجد عند المسلمين بحوث عن حلول للمشاكل العالميّة من مشاكل سياسيّة ومشاكل اقتصاديّة ومشاكل اجتماعيّة وغيرها ، ما هي نظريّة الإسلام في السّياسة ؟ ما هي نظريّة الإسلام في الاقتصاد ؟ ما هي نظريّة الإسلام في علم الاجتماع ؟

نرى في الغرب كتبًا كثيرةً في جميع المجالات والتّخصّصات ، وإذا وُجِدَتْ عندنا بحوث فالكتب معدودة جدًّا ، وبجهود فرديّة ، ونحتاج في زماننا أن تنفتح عندنا أبواب البحوث ، ولا بدّ أن نرى ما هي المشاكل الفكريّة الموجودة في العالم ، ونناقش هذه المشاكل الفكريّة ، ونطرح الحلول من الإسلام ، ولا بدّ أن يتصدّى علماء الدّين ضمن منهج ، ولا بدّ أن يتخصّص بعض طلبة الحوزة في مثل هذه المسائل ، لا فقط فقه عمليّ وأصوله ، لا بدّ أن يتوزّع الطّلبة على جميع التّخصّصات ، فمثل ما نحتاج إلى الفقه العمليّ وأصوله ، نحتاج إلى العقائد ، وإلى الأخلاق ، ومناقشة الأديان الأخرى ، ونحتاج إلى متخصّصين في الفلسفة وفي التّاريخ والتّفسير وبقيّة العلوم ، نحتاج إلى متخصّصين في جميع العلوم والتّخصّصات ، لا على جهود فرديّة ، بل

على جهود جماعيّة ؛ لأنّ الفرد لا يستطيع أن يغطّي جميع الجوانب ، فلا بدّ أن توجد جهود جماعيّة في طرح حلول للمشاكل العالميّة ، وبهذه الجهود الجماعيّة يمكن أن نناقش الأطراف الأخرى ، والمسلم العاديّ مطلوب منه أيضًا لا العالم فقط ، المسلم العاديّ لا بدّ أن يفكّر بهذه المسائل ، لا أنّه يقبل المسائل على أساس الوراثة وتقليد الآباء والأجداد ، يحتاج أن يفكّر ، نحن الآن في زمن متلاطم الأمواج ، وبأقلّ شبهة يترك الإنسان دينه ، فإذا لم تكن عقائده راسخةً فيمكن أن يتركها بكلّ سهولة ، وهذا حاصل الآن مع بعض المسلمين ، يتركون عقائدهم بكلّ سهولة لأنّهم لا يملكون الخلفيّة الفكريّة والأدلّة على هذه العقائد ، وهم لا يستطيعون الإجابة على الأسئلة .

نحن الآن في عصر الغيبة الكبرى ، وهناك تكليف عليك كإنسان مسلم ، وهو أن تكون إنسانًا قويًّا من حيث الدّليل والفكر والثّقافة ، نعم الجوّ العام الآن ليس جوًّا فكريًّا ثقافيًّا ، ولو قمنا بإحصائيّة عن :

ما هي صفحات الإنستغرام الّتي يدخل عليها النّاس في بلدان المسلمين ؟

وما هي القنوات على اليوتيوب والقنوات الفضائيّة الّتي يتابعها المسلمون ؟

الأوّل هو الأغاني ، المطرب ينزل أغنيّة ، وخلال دقائق يصل عدد المتابعين إلى عشرين أوثلاثين أو أربعين ألفًا ، وخلال أيّام يصل العدد

إلى عدّة ملايين ، والعلماء والمفكّرون ينزلون محاضراتهم ، وقد يسمعها مائة شخص أو أقلّ أو أكثر بقليل ، وهذا يدلّ على أنّ النّاس لا يهتمّون بالعلم والفكر والثّقافة ، وإحدى النّدوات الثّقافيّة قبل عدّة سنوات كتبوا في الجريدة : ألغيت النّدوة الثّقافيّة لعدم حضور أحد .

ضع مطربًا في ملعب ترى أنّ الملعب يمتلئ بالنّاس ، والعلماء والمفكّرون يفتتحون النّدوات والحوارات والنّقاشات ، ولكنّ المتابعين قليلون ، فالنّاس لا يوجد عندهم اهتمام بالعلم والفكر والثّقافة .

والغرب يعلمون بهذا الأمر عن المسلمين ؛ لأنّ لكلّ دولة إحصائيّة عن المواقع الّتي يدخلونها والصّفحات التي يرونها ، عندهم إحصائيّات عن كلّ دولة ، فيعرفون أنّ هذا البلد يهتمّ بهذه الأمور ، فيعرفون كيف يدخلون إليها ، ومن أيّ طريق يدخلون ، وعندهم اطّلاع على توجّهات النّاس في كلّ بلد ، والمسلمون عندهم الاهتمام الأوّل هو الاستماع إلى الأغاني ، فيأتون إليهم عن هذا الطّريق ، وترى أنّه في كلّ يوم يظهر مطرب ومطربة جديدين ، فينشغل النّاس بالأغاني والطّرب ، ومن الطّبيعي أنّ من يستمع إلى الأغاني والطّرب يستحيل أن يصير من المفكّرين ، طوال اليوم يستمع إلى الأغاني فقط .

ونسأل : الشّباب الشّيعة بماذا يهتمّون ؟

يهتمّون باللّطميات والأناشيد ، قدّم له القرآن أو لطميّة ، محاضرة أو لطميّة ، فيختار اللّطمية ، وفي القنوات الفضائيّة لو ظهرت له قناة فيها القرآن فإنّه ينتقل مباشرةً إلى قناة أخرى ، وعندما يرى قناة

تعرض لطميّة فإنّه يستمع إليها ، ففي الغرب يعرفون أنّ شباب الشّيعة هذا اهتمامهم ، لذلك دخلوا إلينا من هذا الطّريق ، سابقًا كانت اللّطميّات في المناسبات فقط ، والآن في كلّ يوم تعرض اللّطميّات ، وتوجد قنوات فضائيّة متخصّصة تعرض اللطميّات طوال أربعة وعشرين ساعة ، عرفوا أنّ هذا هو المدخل إلى شباب الشّيعة ، فشغلوا الشّباب باللّطميّات ، كثرة رواديد وكثرة شعراء ، والشّابّ طوال اليوم يستمع إليها ، في السّيارة وفي البيت ، وفي نقاله يجمع مئات اللّطميّات ، وشغله طوال اليوم هو الاستماع إليها فقط ، ولكنه في المقابل لا يوجد عنده أدنى اهتمام بالفكر والثّقافة وتعلّم دينه ، كلّ هذا الوقت يستمع فيه إلى اللّطميّات فقط ، ولو تطلب منه أن يقرأ صفحةً من القرآن في اليوم فلا يوجد عنده استعداد ويقول لا يوجد عندي وقت فأنا مشغول طوال اليوم .

كم عدد المسلمين الّذين يقرءون القرآن الكريم يوميًّا ويتأمّلون في معاني آياته الكريمة ؟

عدد القرّاء قليل ، وانتظر إلى شهر رمضان .

كم من المسلمين يتدبّرون ويتأمّلون في معاني القرآن الكريم ؟

"وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْءَانَ مَهْجُورًا" [1] .

القرآن اليوم مهجور ، تقول توجد مسابقات قرآنيّة كثيرة ، نقول هي اهتمام بألفاظ القرآن لا بالمعاني ، التّجويد اهتمام بالألفاظ ،

---

[1] الفرقان : ٢٦-٣٠ .

وكلّ الاهتمام على التّجويد ومخارج الحروف ، وهذا اهتمام بألفاظ القرآن ، قد ترى شخصًا من قرّاء القرآن ، ولكن زوجته حجابها غير شرعيّ ، فهو لا يهتمّ بفهم معاني القرآن ، والقرآن عنده عبارة عن كلمات ينطقها ، والمسابقات تقام لأجل ألفاظ القرآن ، وقم باستقراء بين قرّاء القرآن واسألهم عن معنى "الصَّمَد" ، كم قارئ يمكنه أن يجيب على هذا السّؤال ؟

لا فقط قارئ القرآن مطلوب منه المعاني ، بل حتّى المسلم العاديّ مطلوب منه معاني القرآن ، ففي الصّلاة يقرأ سورة التّوحيد يوميًّا ، كم مسلم يعرف معنى "الصَّمَد" ؟

هذا في كلمة واحدة ، فما بالك بالتّحقيق في كلمات القرآن ؟!

نحن نقرأ القرآن فقط ، وأكثر المسلمين اتّخذوا القرآن مهجورًا ، وإلى شهر رمضان فالله كريم .

لا بدّ أن نقرأ القرآن في كلّ يوم ولو صفحة واحدة ، ولكن مع التّدبّر في معاني الآيات ، اقرأ صفحة واحدة واستخرج المعاني الموجودة في هذه الصّفحة ، وضع عناوين جانبيّة على الصفحة ، هذه الآية تتحدّث عن هذا الموضوع ، وتلك الآية تتحدّث عن موضوع آخر ، واكتب ما تفهمه من الآية في كرّاس ، وتدريجيًّا مع الأيّام وخلال سنة واحدة تكون قد قرأت ٣٦٥ صفحة من القرآن ، واجعلها صفحتين يوميًّا ، وتكون بذلك قد ختمت القرآن في سنة واحدة مع التّدبّر في جميع الآيات ، ويمكنك أن تجمع الآيات الّتي تتحدّث عن نفس

الموضوع ، وبذلك يصير عندك بحوث قرآنيّة في مختلف المواضيع ، وهي جهود يوميّة ، والصّفحة مع التّدبّر قد تأخذ منك عشر دقائق ، ولكن تتراكم المعلومات ، وتبدأ بفهم القرآن ، والأساس هو القرآن ، ولا بدّ أن يكون عند جميع المسلمين اهتمام بالقرآن ، ولكنّ المسلمين مشغولون عن القرآن ، ذاك مشغول بالأغاني ، وهذا مشغول باللّطميّات ، لا بد أن يكون عندنا اهتمام أكثر بالقرآن ، لا قراءة فقط ، بل قراءة وفهم ، والمسلمون يقولون إنّ القرآن دستور حياتنا ، ولكن لا يوجد عندهم أيّ اطّلاع على دستور حياتهم ، فكيف يكون دستور حياتك وأنت لا تقرأ صفحة واحدة يوميًّا ؟!

هل حياتنا اليوم مبنيّة على القرآن ؟

لا .

حينما نرجع ونهتمّ بالقرآن ونفهم المعاني ونطبّق هذه المعاني نصير سادة العالم .

والقرآن الكريم يقول :

"وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُمْ مِن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ" [1] .

نصير أمّةً لها هيبة ، لا أمّة مستضعفة ، أمّة لا تُعْطَى أيّ قيمة ، أمّة في ذيل الأمم ، والعالم يتّفقون على مجريات الأمور في دولنا ، ونحن لا رأي لنا ، فإذا تمسّكنا بالقرآن وبنينا حياتنا على أساس

---

[1] الأنفال : ٦٠ .

القرآن مع التّطبيق نصير سادة العالم ، وبدون تطبيق القرآن لا يمكن أن نصل إلى سيادة العالم .

إذن القرآن أوّلًا القرآن أوّلًا القرآن أوّلًا .

وبعد ذلك نأتي إلى الرّوايات ، وكلّ مذهب وكلّ مدرسة عندهم رواياتهم الخاصّة بهم ، فنأتي إلى المقياس القرآنيّ ، والرّوايات تُعْرَضُ على القرآن ، فما وافق القرآن نأخذ به ، وما خالف القرآن نتركه ، فنرجع إلى كتاب الله والسّنّة القطعيّة لرسول الله صلّى الله عليه وآله والّتي نأخذها من رسول الله صلّى الله عليه وآله وعترته الطّاهرة عليهم السّلام ، وجميع الرّوايات لا بدّ أن تُعْرَضَ على القرآن ، وحينذاك تقوم حياتنا على القرآن والنّبيّ صلّى الله عليه وآله وعترته الطّاهرة ، وإذا قامت على القرآن والنّبيّ صلّى الله عليه وآله والعترة الطّاهرة عليهم السّلام فإنّ حياتنا ستتغيّر إلى حياة أخرى تختلف عن حياتنا الحاليّة .

وندعو إلى الاهتمام بالقرآن ، وطبعًا صدى هذه الدّعوة لن يكون كثيرًا ، نعم يمكن أن يلتفت بعض المسلمين إلى القرآن ، وهم قلّة ، ومهما تدعو إلى قراءة القرآن والتّدبّر في آياته فإنّك لا تحصل على الكثيرين ، إذا دعونا إلى الاهتمام بالعلم والفكر والثّقافة فإنّ القليل سيهتمّ ، وقليل من المؤمنين يهتمّون بما فيه فكر وثقافة ، والعلماء يشتكون من ظاهرة قلّة الحضور الّذين يأتون ويستمعون إليهم ، لذلك يوم القيامة اثنان يشتكيان : القرآن والعالِم ، فالنّاس لا يهتمّون

بالقرآن ولا يلتفتون إلى العالم ، ولكن هذا لا يثبّط العلماء ، فالعلماء يقومون بتكليفهم ودورهم ، والنّاس عليهم تكليف ، وعدم قيام النّاس بتكليفهم لا يثبّط العلماء عن القيام بدورهم ، فيستمرّون في أداء تكليفهم حتّى لو كان الحضور قليلًا ، والبركة تكمن في هؤلاء القلّة .

يقول القرآن الكريم :

"ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ وَقَلِيلٌ مِّنَ الآخِرِينَ" [1] .

وهذا هو كلام القرآن الكريم .

وفي الأسبوع القادم نتكلّم عن الحقيقة المطلقة الأزليّة الأبديّة السّرمديّة ، وهو الإله الخالق ، وعند المسلمين هو الله عزّ وجلّ .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

---

[1] الواقعة : ١٣-١٤ .

عالميّة الإسلام

(٤١)

الإله الخالق للكون

البحث عن الحقيقة المطلقة [١]

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

ما زال الكلام في بحث "الإله الخالق للكون" ، وأخذنا سابقًا أنّ كمال الإنسان في البحث عن الحقائق ، ومنتهى كمال الإنسان في البحث عن الحقيقة المطلقة ، وهذه هي المقدّمة الرّابعة .

المقدّمة الرّابعة : البحث عن الحقيقة المطلقة :

الحقيقة الّتي نبحث عنها هي الحقيقة المطلقة الأزليّة الأبديّة السّرمديّة الّتي هي فوق الزّمان والمكان والشّروط والظّروف ، وهو الإله الخالق للكون ، وهو الله تعالى .

سؤال : هل يمكن أن يصل الإنسان إلى التّعرّف على هذا الإله ؟

---

[١] أُلْقِيَتْ هذه المحاضرة في الدّيوانيّة الأسبوعيّة في منطقة بيان ، الجمعة ١٦ جمادى الآخرة ١٤٤٠ هـ ، الموافق ٢٠١٩/٢/٢٢ م .

الجواب :

نعم يمكن أن يصل ، بل لا بدّ أن يصل الإنسان إلى هذه الحقيقة المطلقة ، فلا بدّ أن يصل إلى معرفة الله عزّ وجلّ ، وهي حقيقة قابلة لأن يصل إليها كلّ إنسان ، ولا بدّ أن تكون الأدلّة على وجود هذه الحقيقة المطلقة واضحةً لكلّ إنسان ؛ لكي تقام الحجّة عليه ، وهذا هو الإله الخالق للكون ، وعند المسلمين هو الله الحيّ القيّوم البصير السّميع الّذي ليس كمثله شيء ، فلا بدّ أن تكون الأدلّة الّتي تدلّ على وجود هذا الإله أدلّة واضحة لكلّ إنسان ، وإذا لم تكن الأدلّة واضحة فبعض النّاس سيكونون من المعذورين ، ولا بدّ أن تقام الحجّة على كلّ إنسان .

". . . **جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ** . . ." [1] .

"**أَفِي اللهِ شَكٌّ**" استفهام إنكاريّ ، والمعنى أنّه لا يوجد شكّ في وجود الله ، وما دام أنّه لا يوجد شكّ في الإله الخالق فلا بدّ أن تكون الحجّة قائمةً على جميع النّاس ، والحجّة والدّليل لا بدّ أن يكون واضحًا جليًّا لا غموض فيه ، فالجاهل والعالم تقوم عليهما الحجّة ، وتختلف الأدلّة قوّةً وَضَعْفًا بحسب المستوى العقليّ للشّخص .

ولا بدّ أن يحتوي القرآن الكريم على أدلّة واضحة تدلّ على وجود

---

[1] إبراهيم : ٩-١٠ .

الإله الخالق للكون ، بل يوجد فيه دليل على كلّ معرفة من المعارف الدّينيّة وخاصّة في مجال العقائد ، فأصل كلّ معرفة دينيّة لا بدّ أن يكون موجودًا في القرآن ، لذلك لا بدّ أن نبحث في القرآن عن هذه الأدلّة ، والإنسان لا بدّ أن يجعل وقته وجهده بالبحث في القرآن ، ولا بدّ أن يكون عنده بحث جدّيّ ، لا قراءة فقط ، فالقراءة العابرة لا تعطي الإنسان معاني الآيات .

عن رسول الله صلّى الله عليه وآله قال : ما آمن بالقرآن من استحلّ محارمه [١] .

عن الإمام الصّادق عليه السّلام قال : الحافظ للقرآن العامل به مع السّفرة الكرام البررة [٢] .

عن الإمام الصّادق عليه السّلام قال : . . . فإنّ درجات الجنّة على قدر عدد آيات القرآن ، فيقال لقارئ القرآن : اقْرَأْ وَارْقَ [٣] .

ليس معنى الرّواية قراءة ألفاظ القرآن فقط ، بل لا بدّ أن يكون عارفًا بالقرآن وعاملا به ، والصّعود لا يكون عن طريق الألفاظ ، ولو كان عن طريق الألفاظ فالكافر الّذي يحفظ القرآن يصعد في درجات الجنّة ، ليس المطلوب هو الألفاظ فقط ، بل لا بدّ أن يدرس معاني القرآن ، مثلما يبذل الطّالب الجامعيّ جهده في دراسة الكتب لمدة

---

[١] بحار الأنوار ج٨٩ ص١٨٥ ج٢٣ .

[٢] المصدر السّابق ج٨٩ ص١٧٧ ح١ .

[٣] المصدر السّابق ج٨٩ ص١٨٨ ح١٠ .

أربع سنوات ، وخاصة الطّالب في كلّيّة الطّبّ ، فهم يبذلون جهودًا جبّارة ، وفي نهاية دراسته الجامعيّة عنده مذكّرات بارتفاع متر ، وهذا تراه في صفحات الإنستغرام لبعض طلبة كلّيّة الطّبّ ، يبذل جهدًا كبيرًا ، والذي يدخل إلى كلّيّة الصّيدلة لا بدّ أن يحفظ أسماء جميع الأدوية ، فيعرف الدّواء ولأيّ مرض وما هي الأعراض الجانبيّة لهذا الدّواء ، وبعض الأدوية أسماؤها طويلة ، فعندهم جهود هائلة ، ولكن ربع هذا الجهد لا يجعلونه في تدبّر القرآن وفهم آياته ، والمفروض أنّ من عنده جهود في فهم القرآن لا بدّ أن يكون عنده مذكرات أيضًا ، لا بدّ أن يكتب شيئًا ، لا فقط يقرأ قراءة عابرة ، هو يريد أن يختم في شهر رمضان ، والختمة عبارة عن ألفاظ ، ولا يخرج بأيّ نتيجة من خلال قراءة الألفاظ ، وكلّ مسلم لا بدّ أن يبذل جهده في فهم آيات القرآن ، لا بدّ أن يقرأ بجدّ ، لا فقط أنّه بعد صلاة الفجر يقرأ خمسين آية ، ليس المطلوب منك القراءة والألفاظ فقط ، المطلوب منك أن تفهم خمسين آية ، وتستخرج معاني خمسين آية ، وهذه المعلومات تتراكم عندك ، وكلّ آية تعمل بها ، كما في قول بعض معاصري النّبيّ صلّى الله عليه وآله أنّه حينما تأتي الآية نعمل بها ، وبعد ذلك ننتقل إلى الآية التّالية .

وهذا هو المطلوب ، وأوضاع المسلمين اليوم أوضاع ثابتة ، ومعنى ذلك أنّهم لا يتدبّرون في آيات القرآن ، والتّدبّر أمر مهمّ ، تجعل القرآن أمامك وتحاول أن تفهم الآيات الّتي تقرأها .

والله عزّ وجلّ قد تكفّل ببيان معارف القرآن الكريم .

"إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ" [١] .

الله تعالى تكفّل ببيان القرآن ، ولكن يحتاج إلى من يغوص للحصول على اللآلئ .

القرآن تبيان لكلّ شيء يحتاجه الإنسان في طريق الهداية ، وكلّ ما تحتاجه البشريّة في طريق الهداية موجود في القرآن الكريم .

". . . **وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ** . . ." [٢] .

ابْحَثْ عن هذا التّبيان في القرآن ، وكلّ شيء مُبَيَّنٌ في القرآن الكريم .

عن أبي عبدالله الصّادق عليه السّلام قال : إنّ الله تبارك وتعالى أنزل في القرآن تبيان كلّ شيء ، واللهِ ما ترك الله شيئًا يحتاج إليه العباد حتّى لا يستطيع عبد يقول : لو كان هذا أُنْزِلَ في القرآن – إلّا وقد أنزله الله فيه [٣] .

عن الإمام الباقر عليه السلام : إنّ الله لم يدع شيئًا يحتاج إليه الأمّة إلّا أنزله في كتابه وبيّنه لرسوله صلّى الله عليه وآله . . . [٤] .

---

[١] القيامة : ١٧–١٩ .

[٢] النّحل : ٨٩ .

[٣] الكافي ج١ ص٥٩ ح١ .

[٤] المصدر السّابق ج١ ص٥٩ ح٢ .

وأئمّة أهل البيت عليهم السّلام حينما يطرحون شيئًا يقولون للسّائل أو الرّاوي : اسألنا : أين هذا في كتاب الله ؟

والبعض يسأل هذا السّؤال ، فالإمام عليه السّلام يعطيه الآية القرآنيّة .

عن الإمام الباقر عليه السّلام : إذا حدّثتكم بشيء فاسألوني من كتاب الله . ثمّ قال في بعض حديثه إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله نهى عن القيل والقال ، وفساد المال ، وكثرة السّؤال . فقيل له : يا ابن رسول الله ، أين هذا من كتاب الله ؟ قال عليه السّلام : إنّ الله عزّ وجلّ يقول : **"لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ"** [(١)] ، وقال : **"وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللهُ لَكُمْ قِيَامًا"** [(٢)] ، وقال : **"لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ"** [(٣)] [(٤)] .

وأحيانًا يربط الإمام عليه السّلام بين آيتين ويعطي النّتيجة .

أتوا بامرأة قد ولدت لستّة أشهر وأرادوا رجمها ، فقال أمير المؤمنين عليه السّلام : إنّ الله يقول : **"وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهرًا"** [(٥)] ، وقوله تعالى : **"وَالوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن**

[(١)] النّساء : ١١٤ .

[(٢)] السّورة السّابقة : ٥ .

[(٣)] المائدة : ١٠١ .

[(٤)] الكافي ج١ ص٦٠ ح٥ .

[(٥)] الأحقاف : ١٥ .

يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ" [1] ، فإذا تمّمت المرأة الرّضاعة سنتين ، وكان حمله وفصاله ثلاثين شهرًا ، كان الحمل منها ستّة أشهر . فخلّوا سبيل المرأة وثبت الحكم بذلك [2] .

الأئمّة عليهم السّلام كانوا يطلبون من الرّواة أن يسألوهم عن الحكم في أي آية في القرآن ، ولكنّ المشكلة أنّ المسلمين مقصّرون في ذلك ، النّبيّ صلّى الله عليه وآله موجود أمامهم ، ولكن لا يسألونه ، كما ذاك الشّخص الّذي يقول ننتظر الأعرابيّ يأتي حتّى يسأل النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، لماذا المحيطون بالنّبيّ صلّى الله عليه وآله لا يسألونه ؟!

أمير المؤمنين عليه السّلام يقول : سلوني قبل أن تفقدوني ، سلوني عن طرق السّماوات فإني أعرف بها من طرق الأرض [3] ، وهؤلاء المحيطون به لم يسألوه أسئلة مهمّة ، ولو كانوا سألوه لأجابهم عليه السّلام .

"هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ . . ." [4] .

القرآن بيان للنّاس لا للمسلمين فقط ، وهو بيان للنّاس على اختلاف مستوياتهم العقليّة والذّهنيّة ، واختلاف بيئاتهم وعاداتهم

---

[1] البقرة : ٢٣٣ .

[2] الإرشاد للشّيخ المفيد ج١ ص٢٠٦ .

[3] بحار الأنوار ج٣٩ ص١٠٨ .

[4] آل عمران : ١٣٨ .

وتقاليدهم ، والنّاس فيهم العالم والجاهل ، فالقرآن يتناسب مع كلّ إنسان ، والله تكفل ببيان القرآن في القرآن ، فالقرآن يفسّر بعضُه بعضًا ، تريد أن تعرف معنًى للفظة معيّنة اجمع جميع الآيات الّتي تتحدّث عن هذه اللّفظة ، وتريد أن تبحث عن معنًى معيّن ابحث عن هذا المعنى في الآيات المختلفة ، فتخرج بالمعنى القرآنيّ لهذه اللّفظة ، وقد يستعمل القرآن اللّفظ في معانٍ متعدّدة ، وفي كلّ لفظة يمكن الرّجوع إلى المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ، فتأتي بجميع الآيات الكريمة الّتي فيها هذه اللّفظة مع اشتقاقاتها ، فتعرف استعمالات القرآن للألفاظ ، ويوجد كتاب نافع يمكنكم الاستعانة به ، وهو كتاب "التّحقيق في كلمات القرآن" للعلّامة المصطفوي ، والكتاب يقع في عدّة مجلّدات ، ويحقّق المؤلّف في معنى اللّفظ في القرآن ، يبدأ بالمعنى اللّغويّ ، وبعد ذلك يبدأ التّحقيق في هذه اللّفظة في القرآن ، ويعطيك المعاني الموجودة للكلمة .

إذن القرآن الكريم يفسّر بعضه بعضًا ، ويمكن فهم القرآن من القرآن ، وبعد ذلك نأتي إلى الرّوايات .

". . . **وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**" [1] .

القرآن بيان لمن يعلم ، وكلّ إنسان يعرف جانبًا من العلم ، فأنت تعلم في بعض الموارد ، مثلًا تعلم بالتّجويد ، وغيرك يعلم بالأحكام الفقهيّة العمليّة ، وشخص آخر يعلم بالعقائد ، وشخص آخر يعلم

---

[1] الأنعام : ١٠٥ .

بالعلوم الطّبيعيّة ، والقرآن يبيّنه الله لقوم يعلمون في المجال الّذي يعلم به كلّ أحد ، القرآن يدخل إليك من خلال معلوماتك ، فيعطيك تعالى آية تتناسب مع معلوماتك ، فيبيّن لكلّ شخص من الجانب الّذي يعلمه ، لذلك فالقرآن يقيم الحجّة على كلّ إنسان من خلال المعلومات الّتي يملكها ، وهناك آيات عامّة لكلّ إنسان ، وهناك آيات خاصّة للإنسان المعيّن ، ففي المجال العلميّ الّذي يعلم به يأتي إليه القرآن ، بالإضافة إلى أنّ هناك آيات عامّة لجميع النّاس ، العالم منهم والجاهل .

ومن الآيات العامّة :

"إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي البَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ المُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ" [1] .

"لآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ" ، وهي آيات عامّة ، خلق السّماوات والأرض ، وكلّ إنسان يرى السّماوات والأرض ، واختلاف اللّيل والنهار ، والسّفن الّتي تجري في البحر ، والمطر ، وإحياء الأرض بعد موتها ، ووجود الدّوابّ على الأرض ، وتصريف الرّياح والسّحاب ، آيات لقوم يعقلون ، وفي القرآن لم تَرِدْ لفظة "العقل" ، عندنا تصاريف "العقل" ، يعقلون وتعقلون ، ويأتي السّؤال التّالي :

---

[1] البقرة : ١٦٤ .

لماذا لم يَأْتِ القرآن بلفظ العقل ؟

الجواب :

لأنّ العقل عبارة عن أداة عند الإنسان ، والقرآن يريد من الإنسان تفعيل العقل وإعماله ، أن يستعمل الإنسان عقله لكي ينتقل من السّماوات والأرض إلى الإله الخالق ، فلا بدّ أن يُفَعِّلَ عقله ، بعض النّاس يستفيدون من عقولهم ، والبعض لا يستفيدون من عقولهم ، والقرآن حينما أتى بتصريفات "العقل" – مثل يعقلون وتعقلون – فهو يريد منّا أن نستعمل عقولنا ، يريد منّا أن نُفَعِّلَ عقولنا ، وذلك بأن ننقله من القوّة والاستعداد إلى الفعل ، لا فقط أداة وقوّة موجودة عند الإنسان ، فالآيات القرآنيّة والآيات التّكوينيّة تريد من الإنسان أن يفكّر فيها لكي ينتقل إلى وجود الإله الخالق ، فمن يقول إنّ السّماوات والأرض لا تدلّ على وجود الخالق معنى ذلك أنّه لم يُفَعِّلْ عقله ، وبعض الملحدين هم من المفكّرين ، ولكن مع ذلك يقولون إنّ السّماوات والأرض لا تدلّ على وجود الإله الخالق ؛ لأنّه لم يُفَعِّلْ عقله ، مع أنّه يعتبر من المفكّرين .

إذن القرآن يريد من النّاس أن يستعملوا عقولهم وَيُفَعِّلُوهَا .

والمثال العرفيّ على ذلك المطرقة ، تارة شخص يزيّن بها منجرته ، فيجعلها معلَّقة على الحائط في محلّه ، وتعتبر زينة لمحلّه ، وشخص آخر يستعمل المطرقة لطرق المسامير وصنع الأثاث ، والمطلوب من النّجّار هو الثّاني .

إنّ المطلوب من كلّ إنسان أن يُفَعِّلَ الأدوات الموجودة عنده ، سواء كانت الأدوات مادّيّة أم معنويّة ، فعلى الإنسان أن يُفَعِّلَ جميع الأدوات الموجودة عنده ؛ لكي يستعملها ، ويمكنه أن يستفيد منها .

وفي الآية السّماوات والأرض واللّيل والنّهار هذه الأمور ينتقل الإنسان منها إلى وجود الخالق ، وكلّ إنسان عنده أمر بديهيّ ، وهو قانون السّببيّة ، وحتّى الطّفل يدرك قانون السببية ، فالطّفل حينما يرى لعبةً جديدةً يسأل : من الّذي اشترى لي هذه اللّعبة ؟

إنّ قانون السّببيّة موجود في فطرة كلّ إنسان ، وهو أمر بديهيّ عند كل إنسان ، فمن خلال الأثر ينتقل إلى المؤثِّر ، ومن خلال المسبَّب ينتقل إلى السّبب ، ومن خلال المخلوق ينتقل إلى الخالق ، ومن خلال المعلول ينتقل إلى العلّة ، وهذا أمر موجود عند كلّ إنسان ، فحينما يرى السّماوات والأرض يسأل : من الّذي أوجدها ؟ من الّذي صنعها ؟ من الّذي خلقها ؟

ولو قمنا بعمل مُجَسَّمَة للمجموعة الشّمسيّة ، وتدور الكواكب حول الشّمس ، وشخص ملحد يدخل ويرى هذه المجسَّمة يسأل : من الّذي صنعها ؟

من طبيعة الإنسان أنّه إذا رأى شيئًا فإنّه يسأل عن السّبب ، ولو قلت له إنّ الأشياء تجمّعت لوحدها وأنتجت هذه المجسَّمة ، يقول إنّ هذا مستحيل غير معقول ؛ لأنّ قانون السّببيّة أمر بديهيّ من فطرة كلّ إنسان ، ، ولو انتقلنا من هذه المجسّمة إلى المجموعة الشّمسيّة

الحقيقيّة فالملحد يقول إنّ المجسّمة لها صانع ، ولكن المجموعة الحقيقيّة ليس لها صانع ، مع أنّ هذه مجسّمة للمجموعة الأصليّة .

إنّ الملحد يستعمل قانون السّببيّة في محلّ ، ولكنّه ينكر هذا القانون في محلّ آخر ، فبدل أن يقول إنّ الخالق يدير الكون ، يقول إنّ القوانين هي الّتي تدير الكون ، فيجعل القوانين هي السّبب ، وهنا يطبّق قانون السّببيّة أيضًا ، فنسأله : من الّذي أوجد هذه القوانين لأنّ القوانين لم تُوجِدْ نفسها ؟

إذن لا بدّ من وجود مُوجِد لهذه القوانين ؛ لأنّ القوانين لا تُوجَدُ لوحدها بدون علّة ، وسلسلة الموجودات لا بدّ أن تنتهي إلى الخالق ، هم يبدءون النّقاش من الانفجار العظيم ، فنسألهم : وقبل الانفجار العظيم من أين أتت المادّة الأولى ؟

يقول أنا أتحدّث من بعد الانفجار العظيم ، وقبل الانفجار أنا لا أتعرّض له .

نسأل : من الّذي أوجد المادّة الأولى وجعل الانفجار في الكون على حسب نظريّتهم ؟

لا بدّ من وجود مفجِّر لهذا الانفجار ، والانفجار عادةً يوجد الفوضى ، فَجِّرْ مكانًا فينشأ الفوضى وتتناثر الأشياء ، ولكنّ الانفجار العظيم جعل لنا نظامًا ، ولا يمكن أن يُوجِدَ الانفجار نظامًا إلا بوجود المُنَظِّم ، وهذا كلّه يأتي من قانون السّببيّة ، فلا بدّ من وجود سبب لكلّ شيء ممكن .

يسأل الملحد : هذا الخالق من الّذي أوجده وخلقه ؟

نقول لو كان مخلوقًا لما كان خالقًا ، نحن نتكلّم عن الخالق الموجود في آخر السّلسلة ، هو خالق وليس شيئًا ممكنًا ، ونقول إنّ قانون السّببيّة تأتي في الأشياء الممكنة ، لكلّ شيء ممكن الوجود سبب ، وأمّا الخالق فهو واجب الوجود فلا يحتاج إلى سبب لإيجاده ، وقانون السّببيّة من الأمور البديهيّة الّتي لا يمكن إنكارها ، وهو موجود عند كلّ إنسان حتّى الطّفل الصّغير .

إذن :

توجد آيات عامّة لجميع النّاس ، فكلّ إنسان يرى السّماوات والأرض فإنّه ينتقل إلى وجود الإله الخالق بناءً على قانون السّببيّة البديهيّ .

وهناك آيات خاصّة للعلماء ، وهي الآيات العلميّة الّتي فيها إشارات علميّة للعلماء المتخصّصين في العلوم الطّبيعيّة ، كما في الآيات الّتي تتحدّث عن علم الفلك وعلم الكون .

"وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ" [١] .

"وَالسَّمَاءِ ذَاتِ البُرُوجِ" [٢] .

"ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ" [٣] .

---

[١] يس : ٣٨ .

[٢] البروج : ١ .

[٣] فصّلت : ١١ .

"اللهُ خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ" .الطّلاق : ١٢ .

هذه الآيات لعلماء الطّبيعة حيث تعطيهم إشارات علميّة ، تقول أيّها العلماء انتبهوا أنا أنبّهكم إلى بعض الأمور العلميّة لكي تبحثوا فيها .

"وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا" ، القرآن فتح الباب ، وعلى العلماء أن يبحثوا ، ما معنى هذه الآية ؟

القرآن فتح بابًا لعلماء الطّبيعة لكي يبدأوا البحث في هذه الأمور التي ذكرتها الآيات .

ومن الآيات الخاصّة بالعلماء :

"الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ البَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ" [١] .

هذه الآيات تُجْعَلُ ضمن باب الإعجاز العلميّ في القرآن ، طبعًا المصطلح قد يختلف ، الإعجاز عادةً يحتاج إلى تحدّي ، متى يكون الأمر مُعْجِزًا ؟

الأنبياء عليهم السّلام يأتون بأمر معجز يتحدّون به من لا يعتقد بهم ، فالإعجاز يحتاج إلى تحدّي ، فإذا أطلقنا على هذه الآيات الإعجاز العلميّ فالقرآن يتحدّى من ؟!

الأفضل أن نسمّي هذه الآيات بالإشارات العلميّة في القرآن ، فالقرآن يشير إلى بعض الأمور العلميّة ليفتح أبوابًا لعلماء الطّبيعة ،

---

[١] الملك : ٣ .

انتبهوا أن هناك بعض الأمور الّتي يمكن لكم أن تبحثوا فيها ، فابحثوا في هذه الأمور العلميّة ، فهي إشارات علميّة لعلماء الطّبيعة .

والقرآن جاء لمختلف النّاس على جميع مستوياتهم العقليّة الذّهنيّة ، وعلى جميع تخصّصاتهم العلميّة ، وكلّ إنسان يرى في القرآن آيةً معيّنةً تدلّه على وجود الإله الخالق ، ابحث في القرآن من خلال المعلومات الموجودة عندك ، سترى أنّ بعض الآيات تتفاعل معها أكثر من غيرها ؛ لأنّ هذه الآيات تتناسب معك ، وترى أنّ بعض الآيات أو بعض السّور تتفاعل معها حينما تقرأها ، وشخص آخر يتفاعل مع آيات أخرى لأنّ هذه الآيات تتناسب معه ، تكون على مستواه العقليّ الذهنيّ أو في مجال تخصّصه العلميّ .

في الآية الكريمة :

"إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ" .

نسأل : في هذه الآية من هم العلماء المقصودون : علماء الدّين أو علماء الطّبيعة ؟

الجواب :

يوجد احتمالان ، قد ترجّح علماء الدين لأنّهم يخشون الله أكثر من علماء الطّبيعة ، لنرجع إلى سياق الآيات ، وطبعًا السّياق القرآنيّ للآيات يبيّن لك معنى هذا اللّفظ ، وكذلك في كلّ لفظ في القرآن ، والمشكلة تنشأ حينما نستقطع الآية من سياقها فتعطيك معنى ، ولكن إذا قرأت الآية ضمن السّياق تعطيك معنى آخر .

تسأل : من هم العلماء ؟

مباشرة تقول علماء الدّين ، لنرجع إلى سياق الآيات ، نقرأ الآيات الّتي قبل هذه الآية :

"أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبَ سُودٌ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ" [1] .

ماذا نفهم من الآيات : علماء الدّين أو علماء الطّبيعة ؟

نفهم من سياق الآيات علماء الطّبيعة ، الآيات تتحدّث عن الآيات التّكوينيّة ، نزول الماء من السّماء ، وإخراج الثّمرات ، والجبال والنّاس والدّوابّ والأنعام ، إنّما يخشى الله من عباده العلماء ، يعني علماء الطّبيعة إذا فعّلوا عقولهم ، فمن خلال بحوثهم في العلوم الطّبيعيّة يمكنهم أن يصلوا إلى وجود الإله الخالق ؛ لأنّهم يتعاملون مع الأمور التّكوينيّة ، والأمور التّكوينيّة أمور حسّيّة ، فبواسطة قانون السّببيّة ينتقلون من وجود هذه المخلوقات إلى وجود الخالق ، فإذا عرفوا الخالق يخشونه لأنّهم يعرفون عظمة خلقه من خلال بحوثهم في الآيات التّكوينيّة ، وعظمة المخلوق تدلّ على عظمة الخالق ، فحينما يرى المجموعة الشّمسيّة ويرى الكون باتّساعه – يعلم وجود خالق عظيم ، وعالم الدّين من خلال اطّلاعه على الآيات التّشريعيّة

---

[1] فاطر : ٢٧-٢٨ .

والرّوايات لا يعرف اتّساع الكون بطريق الحسّ ، ولكن عالم الطّبيعة يعرف اتّساع الكون بحسّه ، وعالم الدّين يتعامل مع الآية والرّواية ، ولكن لو تسأله كم اتّساع الكون ، يقول لا أدري ، والإنسان يحكم بما يرى ، ولكن علماء الطّبيعة حينما يحسبون المسافة الموجودة في الكون يعرفون عظمة الخالق ، لذلك الآية تركّز على علماء الطّبيعة ، وهذا لا يعني أنّ علماء الدّين لا يصلون إلى معرفة قدر الإله الخالق من خلال القرآن والرّوايات .

إذن :

نصل إلى معرفة الحقيقة المطلقة وهو الإله الخالق ، وهو الله تعالى ، فإذا وصلنا إلى وجود الإله الخالق نسأل : ما هو المطلوب منّا ؟

إذا علم الإنسان بوجود إله خالق للكون فما هو تكليف هذا الإنسان ؟

الجواب :

القرآن الكريم يجيب على هذا السّؤال ، يقول :

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا للهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ" [1] .

الخطاب موجّه إلى جميع النّاس لا إلى المسلمين أو المؤمنين فقط ،

---

[1] البقرة : ٢١-٢٢ .

اعبدوا ربّكم ، عبادة الله مطلوبة من جميع النّاس ، فكلّ الأمور الدّينيّة مطلوبة من جميع النّاس حتى لو لم يكونوا مسلمين ، فالله يطلب عبادته من النّاس لأنّه خلقهم ، فالخلق يتطلّب العبادة من المخلوقات .

والآية تقول : "**الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ**" ، فيوجد خلق قبل خلق الإنسان ، والخلق الّذين هم قبل خلق الإنسان لا بدّ أن يكونوا من العقلاء أيضًا ، فعندهم عقول ، ولو لم يكن عندهم عقول لما كلّفهم الله بالعبادة .

إذن قبل أبينا آدم عليه السّلام كان يوجد خلق أيضًا ، فالقرآن يثبت وجود خلق قبل خلق آدم عليه السّلام .

عن جابر بن يزيد قال : سألت أبا جعفر (الباقر) عليه السّلام عن قوله عزّ وجلّ : "**أَفَعَيِينَا بِالخَلْقِ الأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ**" [1] ، قال عليه السّلام : . . . لعلّك ترى أنّ الله إنّما خلق هذا العالم الواحد ، وترى أنّ الله لم يخلق بشرًا غيركم ، بلى واللهِ لقد خلق الله ألف ألف عالَم وألف ألف آدم ، أنت في آخر تلك العوالم وأولئك الآدميّين [2] .

وفي الآية الكريمة : "**كَمَا أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ**" [3] ، يُفْهَمُ

---

[1] ق : ١٥ .

[2] التّوحيد للشّيخ الصّدوق ص٢٧٧ ح٢.

[3] الأنعام : ١٣٣ .

أنّ آدم عليه السّلام أو ذرّيّة آدم مخلوقون من ذرّيّة قوم قبله ، فحصل التّداخل بين الذّرّيّتين : ذرّيّة آدم وذرّيّة من قبله ، بحيث حصل التّزاوج بين الذّرّيّتين ، وهكذا تناسل ذرّيّة آدم عليه السّلام ، وهذا يرفع الإشكال عن زواج الإخوان والأخوات أو زواج الإنسان بحوريّة من الجنّة أو بالجنّ ، وآدم عليه السّلام ليس أوّل البشر ، وإنّما هو أوّل إنسان ، والإنسان نوع من البشر ، فنحتاج إلى بحث عن كيفيّة نشوء البشر ونشوء الإنسان ، وفي القرآن بعض الآيات تقول "بَشَر" ، وبعض الآيات تقول "إنسان" ، وسيأتي هذا البحث في محلّه مع الأدلّة العلميّة الّتي تثبت ذلك من خلال الفحص الجينيّ للإنسان .

وفي الآية : **"قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الخَلْقَ"** [1] ، إذا بحث الإنسان في الأرض كعلماء الجيولوجيا – ينتهون إلى معرفة كيف بدأ خلق الإنسان وخلق الحيوانات ، هذا كلّه يحتاج إلى بحث ، ولكنّ المسلمين لم يقوموا بهذا الواجب ، وهو من الواجبات المُهْمَلَة ، وعلماء الغرب يقومون بهذا العمل .

إنّ تشارلز داروين Charles darwin قد بذل جهدًا جبّارًا ، خمس سنوات وهو يبحث ، جهد يُشْكَرُ عليه ، هو طرح نظريّة وتفسيرًا لما اكتشفه ، وأنت إنسان مسلم ، خذ المعلومات الّتي وصل إليها داروين واعْطِ تفسيرًا جديدًا ونظريّة جديدة ، هو قدّم للمسلمين معلومات مجّانيّة ، اقرأ كتابه "أصل الأنواع" "On the Origin of Species" وخذ

---

[1] العنكبوت : ١٩-٢٠ .

المعلومات ، وأنت كإنسان مسلم اعطنا تفسيرًا لهذه المعلومات ، هو طرح "نظريّة التّطورّ" ، أنت كمسلم ما هو تفسيرك لهذه المعلومات ؟

لا ترفض مباشرةً ، وإنّما ابحث ، وبعد البحث اطرح نظريّتك مدعمة بالأدلّة .

نسأل في عالم الإمكان النّظريّ :

هل التّطوّر يمكن أن يكون قد حصل ؟

الجواب :

نعم يمكن ، بإشراف من الله تعالى ، فتكون عندنا نظريّة التّطوير لا نظريّة التّطوّر ، يعني الحيوانات يمكن أن تتطوّر من بعضها البعض ، نعم نستثني الإنسان ، توجد نظريّة التّطوير ، يمكن أنّ هذا التّطوّر – على فرض صحّة نظريّة التّطوّر – يحصل بالإشراف الإلهيّ وبالقدرة الإلهيّة .

وتسأل : كيف وُجِدَ الإنسان ؟

نقول ابحث ، لا فقط تبحث في القرآن عن كيفيّة خلق الإنسان ، الله يأمرك بأن تبحث في الأرض لتعرف كيف بدأ الخلق ، نعم القرآن يشير إلى كيفيّة خلق الإنسان ، بدأ خلق البشر من طين ، وبدأ خلق الإنسان من طين ، وأنشأكم من ذرّيّة قوم آخرين ، والذي خلقكم والذين من قبلكم ، ومجموعة من الآيات تشير إلى كيفيّة خلق الإنسان ، ويقدّرون عمر الإنسان من آدم عليه السّلام إلى يومنا هذا بعشرة آلاف سنة تقريبًا ، ونرى سلسلة آباء النّبيّ صلّى الله عليه وآله

وعددهم خمسون تقريبًا ، فعمر الإنسان عشرة آلاف سنة تقريبًا ، ووجدوا بعض الجماجم الّتي عمرها ملايين السّنوات ، وإذا قلنا بأنّه يوجد بشر قبل آدم عليه السّلام فهذه الجماجم ترجع إلى قوله تعالى : **"وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ"** ، وقوله تعالى : **"كَمَا أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ"** يدلّ على أنّ آدم عليه السّلام قد لا يكون خُلِقَ من الطّين مباشرةً أو أنّه خُلِقَ من الطّين مباشرةً ، ولكن حصل تزاوج أولاده مع القوم الّذين كانوا قبله ، وهذه مجرّد فرضيّات تحتاج إلى بحث وإثبات .

نسأل :

هل الإنسان والبشر في القرآن بنفس المعنى أو لهما معنيان ؟

نرى بعض الآيات تقول "بَشَر" ، وبعض الآيات تقول "إنسان" .

هل يوجد فرق بين الإنسان والبشر في القرآن أو أنّهما من المترادفات ؟

هذا كله يحتاج إلى بحوث لإثباته أو نفيه ، ولا يمكن لأحد أن يثبت أو ينفي إلّا بعد البحث المدعم بالأدلّة .

إذن :

المطلوب من الإنسان العبادة .

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ" [1] .

نسأل :

---

[1] البقرة : ٢١ .

لماذا يطلب الله العبادة من النّاس ؟

الجواب :

يريد منهم التّقوى كما في الآية السّابقة .

ويقول القرآن الكريم :

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ" [١] .

في الآية السّابقة طلب الله العبادة من النّاس لأجل التّقوى ، وفي هذه الآية يطلب الله التّقوى من النّاس مباشرةً .

إذن التّقوى ليست مطلوبة من الإنسان المسلم فقط ، وهي فعل الواجبات وترك المحرّمات ، بل هي مطلوبة من جميع النّاس ، فتوجد تقوى إنسانيّة مطلوبة من كلّ إنسان ، فيجب أن يكون كلّ شخص إنسانًا مُتَّقِيًا ، يعني يكون إنسانًا صالحًا .

ومن ثمرات الإنسان المتّقي الصّالح أنّه لا يعتدي على الآخرين ، ويكون مصدرًا للخير ، ونرى بعض النّاس من غير المسلمين ، ولكنّهم يكونون مصدرًا للخير ، يعملون الخير ، ونفوسهم صالحة ، لا يؤذي جاره ، وقد تجد مسلمًا يؤذي جاره ، إنسان يعيش في الغرب ترى جاره اليهوديّ أو المسيحيّ أو الملحد يتعامل معه بالحسنى ؛ لأنّ هذه المبادئ مبادئ إنسانيّة عامّة ، الإحسان إلى الجار مبدأ إنسانيّ عامّ لا مبدأ إسلاميّ فقط ، توجد مبادئ إنسانيّة عامّة مطلوبة من جميع النّاس ، حتّى الملحد يعتقد بهذه المبادئ الإنسانيّة ، ولا نستغرب من

---

[١] النّساء : ١ .

وجود شخص ملحد يحسن إلى صاحبه ، هذا مبدأ إنسانيّ ، ولا يعتمد على وجود إله أو عدم وجود إله ، نعم حينما يعتقد الإنسان بالله الإله الخالق يتمسّك بهذه المبادئ الإنسانيّة أكثر لأنّه يقوم بالعمل قربةً إلى الله ، نعم الملحد يصير إنسانًا صالحًا ، ولكنّه غير ملتفت إلى وجود الله ، وأنت كمسلم حينما تقوم بالعمل تقوم به قربةً إلى الله ، فيصير المستوى أعلى لأنّك تريد أن تتكامل من خلال الأعمال ، لا فقط أنّك تريد أن تكون إنسانًا صالحًا ، بل تريد أن تتكامل من خلال صلاحك .

"إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونُ" [١] .

"إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ" أي الآيات الآفاقيّة ، **"وَفِي خَلْقِكُمْ"** أي الآيات الأنفسيّة ، وهي **"آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونُ"** ، يعني يفعّلون قانون السّببيّة الموجود في فطرتهم ، فيصير عندهم اليقين بوجود الإله الخالق ، فينتقل من وجود المخلوقات إلى وجود الإله الخالق .

إذن :

الإنسان لا بدّ أن يبحث عن وجود الإله الخالق ، لكي يتوجّه إلى هذا الخالق بالعبادة .

في بعض مقاطع الفيديو على اليوتيوب أحد الأشخاص يقول بأنّه

---

[١] الجاثية : ٣-٤ .

كان سابقًا إمام جماعة في المسجد ، والآن صار ملحدًا ، يقول بأنّه درس الإسلام وعنده اطّلاع على الدّين ، يقول إنّ المطلوب منّا العبادة لأنّ الله خلقنا ، يقول إنّ الله لم يأخذ الإذن منّي لكي يخلقني ، فلماذا أتوجّه إليه بالعبادة ؟!

نقول إنّ الخالق لا يحتاج إلى أخذ إذن من المخلوق ، هو تعالى يخلق ، يقول الملحد إنّ الخلق لا يكفي للتّوجّه بالعبادة لهذا الخالق ، بعدما كان مؤمنًا وإمام جماعة ، وصار الآن ملحدًا ، وكم من أمثاله ، مع أنّه إمام جماعة ، هذا الإيمان لم يكن راسخًا عنده ، مع أنّ الآيات التّكوينيّة تدلّ بالبداهة على وجود الخالق ، يكفي أن ننظر في السّماوات ، فنقول إنّ الخالق موجود .

نِعَمٌ كثيرة موجودة في نفسك أو محيطة بك ، يكفي أن تنظر إلى نفسك ، كلّ عضو وكلّ جهاز موجود في جسمك له عمل معيّن ، صنعة ربّانيّة مُتْقَنَة ، ويشبّهون الجسم بالمصنع ، من بداية أكلك للطّعام ينزل إلى المعدة إلى أن يخرج فضلات إلى الخارج ، فالجسم كأنّه مصنع يقوم بعمله ، وكلّ عضو في الجسم يقوم بعمل معيّن ، وهذا القلب إذا توقّف فالإنسان يموت ، وأيّ عضو في الجسم إذا توقّف عن العمل فالإنسان ينتهي ، والألم من نِعَمِ الله على الإنسان ؛ لأنّه يشير إلى وجود مرض وخلل في الجسم ، لو ينظر الإنسان إلى نفسه وخاصّة في زماننا ، بعدما صنعوا الأجهزة وعرفوا عمل كلّ عضو في الجسم ، فكلّ عضو له عمل معيّن ، وإن لم يعرفوا عمل بعض

الأعضاء بالضّبط ، مثلًا درسنا في المدارس أنّ الدّودة الزّائدة لم يكونوا يعرفون عملها ، ولا أعرف ما وصلوا إليه الآن ، والأطبّاء المتخصّصون عندهم المعلومات الجديدة عن أجهزة الجسم .

إذن :

المطلوب بعد أن نصل إلى معرفة هذا الإله الخالق هو أن نتوجّه إليه بالعبادة ، والعبادة تحتاج إلى معرفة .

عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السّلام : "أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ" [1] ، أي معرفة الله عزّ وجلّ ، وبعد ذلك يجب أن تتعلّم ، ماذا يريد منك هذا الإله الخالق ؟

لا بدّ أن تعرف ، فتتعلّم الأحكام الدّينيّة في جميع مجالات الدّين لا مجال الفقه العمليّ فقط ، أوّلًا لا بدّ أن تعرف الفقه العقائديّ ، من الله إلى النّبوّة والإمامة والمعاد والعدل ، وبقيّة أصول الدّين ، وكذلك لا بدّ أن تعرف الفقه الأخلاقيّ ، من التّكامل والصّفات القلبيّة الحسنة ، والتّسافل والصّفات القلبيّة السّيّئة ، ونحن غافلون عن التّكامل ، نأتي بالعمل الخارجيّ على أساس الفقه العمليّ ونغفل عن الحركة الباطنيّة القلبيّة على أساس الفقه الأخلاقيذ ، وهذا مهمّ جدًّا ، لا فقط تسأل يجوز أو لا يجوز ، لا بدّ أن تسأل أنّ هذا العمل يساهم في تكاملي أو لا يساهم ، لا فقط أنّه يجوز فتأتي به ، لا يكفي هذا المقدار ، ودائما أسئلة المؤمنين تدور حول يجوز ولا يجوز ،

---

[1] نهج البلاغة للشّريف الرّضيّ الخطبة الأولى .

لا بدّ أن نصعد إلى مستوى أعلى من المعرفة ، ما هي الأعمال الّتي تساهم في التّكامل ؟ وما هي الأعمال الّتي تؤدّي إلى التسافل ؟ وما هي الأعمال الّتي تقرّب إلى الله عزّ وجلّ ؟ وما هي الأعمال الّتي تبعّد عن الله تعالى ؟

الله عزّ وجلّ يدخل معك في جميع أعمالك ، حتّى الأعمال المباحة ، هل هذا المباح يساهم في تكاملي أو لا ؟

إذا كان العمل المباح لا يساهم في التّكامل فالمؤمن يترك هذا العمل ، ويبحث عن الأعمال الّتي تساهم في تكامله ، وقد تأتي بعمل مباح ، ولكن يكون على حساب عمل مستحبّ ، قد تشتري بعض الأشياء المباحة بأموالك ، ولكن يمكن لك أن تصرف هذه الأموال في أشياء مستحبّة ، وحينما تصرفها في شيء مباح فأنت فاقد الثّواب وفاقد التّقرّب إلى الله وفاقد التّكامل ، لا نركّز على الفقه العمليّ فقط ، لا بدّ أن نصعد أكثر من هذا ، لا يكون نظرنا فقط على الرّسالة العمليّة ، وهكذا هم المؤمنون بشكل عامّ ، وحتّى بعض علماء الدّين يكون نظرهم إلى الفقه العمليّ فقط ، لا بدّ أن نصعد أكثر ، لا بدّ أن نسأل : هل هذا العمل يسبب لي التّكامل أو لا ؟

ونصعد أكثر من هذا ، فنسأل : كيف يقرّبني إلى الله تعالى ؟

الله سبحانه لا بدّ أن يكون داخلًا معنا في جميع أعمالنا ، لا بدّ أن نسأل : هل الله يرضى عن هذا العمل أو لا يرضى حتّى لو كان عملًا مباحًا ؟

من الممكن أن يكون عملًا مباحًا ، ولكنّ الله يريد منك أن تأتي بعمل آخر مستحبّ بدل هذا العمل المباح .

إذن :

نتوجّه إلى الإله الخالق بالعبادة ، ولا بدّ أن نبحث عن هذا الإله الخالق ، من هو ؟ وماذا يريد منّي ؟ وإلى أين سأنتهي ؟

نحن الآن في هذه الدّنيا ، فهل توجد نهاية أو لا توجد ؟ وهل توجد حياة بعد هذه الحياة أو لا توجد ؟

هذه تساؤلات طبيعيّة عند كلّ إنسان ، وهي أسئلة فطريّة ، والإنسان يتساءل دائمًا ، وترى الطّفل الصغير يسأل : أين يذهب الإنسان بعد الموت ؟

يسألك : هل يوجد خالق أو لا يوجد ؟

يسألك : من هو الخالق ؟

والأسئلة الفطريّة موجودة عند جميع النّاس حتى الأطفال .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

عالميّة الإسلام

(٤٢)

حاجة المؤمن والملحد إلى الدّليل [١]

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

في هذه البحوث والمحاضرات استفدت من كثير من الكتب والمواقع والمحاضرات الموجودة على الإنترنت ، وبالطّبع حينما يصدر كتاب "عالميّة الإسلام" سأكتب جميع المصادر الّتي استفدت منها .

طبعًا أيّ باحث من الباحثين لا يبدأ من الصّفر ، فهو دائمًا يأخذ معلومات من الآخرين ، ولكنّه يتصرّف بهذه المعلومات ويضيف إليها ويعلِّق عليها ، وبعض المحاضرات قد أعتمد في ٦٠% فيها على المعلومات من الآخرين ، وأضيف إليها ٤٠% ، وبعض المحاضرات كتبتها ١٠٠% مع الاعتماد على القرآن والرّوايات ، وأستنتج منها بعض الاستنتاجات ، وفي بعض المحاضرات أنا معتمد

---

[١] أُلْقِيَتْ هذه المحاضرة في الدّيوانيّة الأسبوعيّة في منطقة بيان ، الجمعة ٢٣ جمادى الآخرة ١٤٤٠ هـ ، الموافق ٢٠١٩/٣/١ م .

على الآخرين ٩٠% ، وأضفت ١٠% من خلال التّعليقات ، وفي بعض المحاضرات أرتّب المعلومات ترتيبًا معيّنًا في كيفيّة سير البحث ، ولا يوجد باحث يبدأ من الصفر ، يأخذ معلومات ويضيف عليها ويعدّل عليها ويعلّق عليها ، وقد يضيف شيئًا جديدًا إلى المعلومات التي أخذها ، فيأتي بشيء جديد .

ونحاول في هذه المحاضرات أن نأتي بشيء جديد ، وأن يكون عندنا شيء من الإبداع ، فالمستمعون يجدون معلومات جديدة في هذه المحاضرات ؛ لأننا ننظر إلى أحكام الدّين بمنظار عالميّة الإسلام ، فنرى أنّ هذا الحكم هل يتناسب مع الدّين العالميّ أو لا يتناسب ، وإذا وُجِدَتْ بعض الأحكام الّتي لا تتناسب فإنّنا نحاول أن نؤوّلها ، فبعض الأحكام تعتبر أحكامًا شرعيّة ، ولكن من الممكن أن تكون ضمن الأحكام الولائيّة السّياسيّة الّتي تكون بيد الحاكم الشّرعيّ ، وهذه الأحكام قابلة للتّغيّر عبر الزّمان والمكان ، فهو ليس حكمًا شرعيًّا ثابتًا ، وإنّما هو حكم ولائيّ سياسيّ متغيّر ، والإسلام فيه الثّابت والمتغير ، وهذا العنوان متداول وهو بحث "الثّابت والمتغيّر في الإسلام" ، ويقع الاختلاف بين العلماء الباحثين في مصاديق الثّابت ومصاديق المتغيّر ، أصل "الثّابت والمتغيّر" موجود في الإسلام ، ولكنّ الاختلاف يقع في المصاديق ، فبعض المصاديق تعتبر عند بعض العلماء الباحثين من ثوابت الدّين ، وبعض العلماء الباحثين يعتبرها من متغيّرات الدّين .

مثلًا قانون العقوبات قد يعتبر من الأحكام الشّرعيّة الثّابتة عند بعض العلماء ، ولكن بعض العلماء الآخرين قد يقولون بأنّ قانون العقوبات يكون ضمن الأحكام الولائيّة السّياسيّة التي تكون بيد الحاكم الشّرعيّ لأنّها أحكام تنظيميّة ، ومن الممكن أن يتغيّر نظام العقوبات من زمان إلى آخر ، واختلاف الدّليل عند العلماء باعتبار نظريّة دخالة الزّمان والمكان في الأحكام ونظريّة عدم دخالتهما في الأحكام ، فبناءً على كلّ نظريّة تكون الأحكام مختلفة ؛ لأنّ بعض الأحكام الثّابتة قد تعتبر بسبب دخالة الزّمان والمكان في الأحكام أحكامًا متغيّرة غير ثابتة ، فمصاديق العقوبات قد تتغيّر من زمان إلى آخر ، كما في مصاديق الزّكاة ومصاديق الاحتكار ، ونظريّة دخالة الزّمان والمكان في الأحكام بمعني دخالة الظّروف الزّمانية والمكانيّة في موضوعات الأحكام ، وستأتي بالتّفصيل مع الأدلّة على صحّة هذه النّظريّة .

إذن :

في إعداد هذه البحوث والمحاضرات استفدت من كثير من المحاضرين والكتّاب ، وبعض العناوين قد يطرحونها خلال سطر أو سطرين ، ولكنّي أخذتها ووسّعت البحث فيها ليكون بحثًا كاملًا .

أهمّ بحث في المحاضرات :

يوجد موقف للمؤمن والملحد والرّبوبيّ واللّاأدري والشّاكّ من وجود الإله ، وأهمّ بحث عندنا هو عن "الإله الخالق للكون" ، وسنبدأ بهذا

البحث لكي نثبت وجوده ، وبالتّالي نؤمن بوجوده عن طريق الدّليل والاقتناع ، وجميع المسلمين يقولون بأنّهم يؤمنون بوجود الله ، فنقول لكلّ واحد منهم : اثْبِتْ لنا وجود الله ، قد تسمع من الكثير منهم بأنّه لا توجد عندنا أدلّة على ذلك ، يقول نعم أنا مقتنع ، ولكن وقت النّقاش لا توجد عنده أدلّة ، وقد يقول إنّ الفطرة تدلّ على وجود الله ، فنطلب منه أن يبيّن لنا ما هي الفطرة ، فيقول لا أدري ، أو يقول إنّ العقل يدلّ على وجود الله ، فنقول له اشرح ما هو الدّليل العقليّ الّذي يدلّ على وجود الله ، فلا يستطيع أن يعطينا تفصيل ذلك ، وأنت ما دمت تعتقد بشيء فلا بدّ أن يكون عندك الدّليل على هذا الشّيء ، ومن غير المعقول أن يعتقد الإنسان بشيء بلا دليل ، فكلّ شيء تعتقد به لا بدّ أن يكون عندك الدّليل على صحّة اعتقادك به .

وحينما نسأل : ما هي الأدلّة على الإمامة ؟

يقول أنا أعتقد بالإمامة ، أقول له اذكر لي الدّليل ، فيذهب مباشرةً إلى الرّوايات .

هل نبدأ بالرّوايات أو بالقرآن ؟

المفروض أن نبدأ بالقرآن ، اثبت لي الإمامة من القرآن أوّلًا ، وبعد ذلك اذهب للرّوايات ؛ لأنّ الرّوايات مختلف عليها بين المذاهب ، والقرآن متّفق عليه من حيث الألفاظ ، والمعاني قد تختلف من مذهب إلى آخر ، فلا بدّ أن نبدأ بالقرآن الكريم .

روي عن الإمام الصّادق عليه السّلام أنّه قال : "من لم يعرف أمرنا من القرآن لم يتنكّب الفتن" [1] .

الإمامة مذكورة في القرآن ، والأئمّة عليهم السّلام مذكورون في القرآن ، ولكن لا بأسمائهم ، وإنّما بصفاتهم ، مثلًا آية التّطهير : **"إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا"** [2] .

نرى أنّ آية التّطهير لا يوجد فيها أسماء ، وإنّما فيها صفات ، ولا بدّ أن نثبت من نفس سياق الآيات أنّها تدلّ على أهل البيت الخاصّين قبل أن ننتقل إلى الرّوايات ؛ لأنّ أهل البيت في الآية يقصد منه أناس معيّنون ، فلا بدّ أن نثبت ذلك أوّلا من القرآن الكريم .

وفي البحوث العقائديّة لا بدّ أن تكون الانطلاقة قرآنيّة أو عقليّة ، والاعتقادات لا بدّ أن تقوم على أساس العقل ، ولا بدّ أن تكون الأدلّة واضحة بحيث تقام الحجّة على كلّ إنسان ، فلا بدّ أن تكون الأدلّة الدّالّة على وجود الإله الخالق أدلّة واضحة ؛ لكي تقام الحجّة على جميع النّاس ، والمفروض أنّ كلّ إنسان لا بدّ أن تكون هذه الأدلّة موجودة عنده ، وأحيانًا يكون غافلًا عن هذه الأدلّة ، ولكنّها موجودة ، فيحتاج إلى تنبيه ، انتنبه فهذا الدّليل موجود عندك ، وهذه القاعدة موجودة عندك ، ومن خلال ما هو موجود عنده تقوم الحجّة عليه ، ولا نحتاج إلى أن نأتي بأدلّة خارجيّة ، وإنّما الدّليل موجود

---

[1] تفسير العيّاشي ج١ ص١٣ .

[2] الأحزاب : ٣٣ .

عندك ، وهو يدلّ على وجود الإله الخالق ، ولا بدّ أنّه حينما تعرض هذه الأدلّة عليه يقول نعم إنّ هذا الدّليل موجود عندي ، لذلك في الرّواية أنّ من مهمّة الأنبياء أن يثيروا دفائن العقول ، يعني هناك شيء موجود عندك مدفون وأنت غافل عنه ، ودور النّبيّ أن يأتي ويبيّن لك هذا الدّليل العقليّ الموجود عندك .

عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السّلام قال عن دور الأنبياء عليهم السّلام : "وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ العُقُولِ" [1] .

إذن :

لا بدّ أن يوجد دليل واقتناع لكي يعتقد الإنسان باعتقاد معيّن على أساس الدّليل .

استقرئ واسأل المسلمين : ما هو الدّليل على وجود الله ؟

كم مسلم يمكنه أن يجيب على هذا السّؤال ؟

نعم من الممكن أنّ بعضهم قد سمعوا شيئًا ، ولكن لا بدّ أن يكون مستعدًّا للإجابة على الإشكالات ، فكلّ دليل تطرحه ستأتيك مجموعة من الإشكالات عليه ، ولا بدّ أن تكون عندك القدرة للإجابة على هذه الإشكالات ؛ لكي يكون دليلك دليلًا قويًّا ثابتًا ، وإذا لم تصمد أمام الإشكالات فمعنى ذلك أنّ دليلك سيسقط ، فإذا كان عندك دليل فتوقّع أنّ الآخرين سيشكلون عليك ، أنت تعتقد بالإمامة فتوقّع أنّ الآخرين عندهم إشكالات على دليلك ، تأتي بآية

---

[1] نهج البلاغة الخطبة الأولى .

قرآنيّة فيقولون لك إنّ هذه الآية لا تدلّ على مدّعاك ، وتأتي برواية فيقولون لك إنّ هذه الرّواية لا تدلّ على قولك ، فلا بدّ أن تكون عندك القدرة على النّقاش وردّ الإشكالات ، تقول إنّ الإله موجود ، فيأتي ملحد ويقول إنّ الإله غير موجود ، ويبدأ بطرح أدلّته ، وقلنا نناقش المفكّرين من الملحدين ، ولا نناقش الملحد المعاند ، فالمفكّر يأتي بدليل ويناقش دليلك ، وعنده القدرة على مناقشة الأدلّة ، وهذا يحتاج إلى نقاش ، نأخذ منه الإشكالات ونجيب عليها ، والإشكالات تنتشر بطبيعتها ، فلا بدّ أن تكون عندنا متابعة لهذه الإشكالات ، والملحدون في العالم يطرحون الإشكالات على جميع الأديان بشكل عامّ ، وعلى الإسلام بشكل خاصّ ، وعندهم إشكالات على الإله ، وعلى النّبوّة ، وعلى المعاد .

إذن :

اطرح الدّليل وتوقّع الإشكالات على دليلك ، ولا بدّ أن تكون عندك الأجوبة على جميع الإشكالات ؛ لكي يكون دليلك ثابتًا ، وابحث دائمًا عن الدّليل ، وأيّ شخص يقول لك شيئًا اسأله : ما هو الدّليل على صحّة قولك ؟

أساس الأديان السّماويّة :

الأديان السّماويّة الثّلاثة – اليهوديّة والمسيحيّة والإسلام – قائمة على أساس إثبات وجود الله وتوحيده ، وكلّ المنظومة المعرفيّة الدّينيّة والفقه الدّينيّ من الفقه العقائديّ والفقه الأخلاقيّ والفقه العمليّ

وغيرها ركنها الأساس هو وجود الله وتوحيده ، أي وجود الإله الخالق وتوحيده ، وأول بحث لا بدّ أن يكون هو إثبات وجود الله أو وجود الإله الّذي نعتقد بأنّه خالق الكون وكلّ الموجودات في هذا الكون الفسيح المترامي الأطراف ، أي عالم الإمكان ، فالإله خالق لكلّ عالم الإمكان .

وتوجد كثير من الأدلّة والبراهين الّتي أقيمت على إثبات وجود قوّة غير ماديّة ، وهو قديم أزليّ أبديّ سرمديّ لانهائيّ غير محدود بأيّ حدّ ، وله صفات معيَّنة ، وعند المسلمين هو الله تعالى ، وهذه الصّفات ليست زائدةً على الذّات ، وإنّما صفاته عين ذاته ، وليست صفات إضافيّة .

إذن :

كلّ المعارف الدّينيّة قائمة على وجود الإله الخالق للكون .

عن أمير المؤمنين عليه السّلام : ". . . أوّل الدّين معرفته ، وكمال معرفته التّصديق به ، وكمال التّصديق به توحيده ، وكمال توحيده الإخلاص له . . ." [1] .

إذا تريد أن تكون إنسانًا متديّنًا فلا بدّ أن تعرف الله عزّ وجلّ ، فأوّل الدّين هو معرفة الله تعالى ؛ لأنّ المنظومة الدّينيّة كلّها قائمة على معرفته تعالى ، والمعرفة فرع الإثبات ، فلا بدّ أوّلًا أن يَثْبُتَ وُجُودُ الإله عندك ، وهذه هي أوّل خطوة ، فإذا لم يَثْبُتْ وُجُودُهُ فلا يمكن معرفته

---

[1] نهج البلاغة الخطبة الأولى .

سبحانه ، وبعد ذلك تحاول أن تتعرّف على هذا الإله ، تتعرّف على الله ، لا أن يكون الله مجهولًا عندك ، فكلّ ما هو متعلِّق بالله يمكن أن تصل إليه ، وإذا أراد شخص أن يقوم ببحث قرآنيّ فيجمع جميع الآيات الّتي تتحدّث عن الله ، بحث قرآنيّ كامل بعنوان "الله في القرآن الكريم" ، وهذا يحتاج إلى شغل سنوات ، تستقرئ القرآن من أوّله إلى آخره ، وكلّ آية تتحدّث عن الله تستخرجها وتضع لها عنوانًا ، وتوجد آيات متعدّدة تحت كلّ عنوان ، وهكذا يمكن لك أن تعرف الله .

هل يوجد مسلم قام بهذا البحث القرآنيّ مع أنّنا نعتقد بهذا القرآن ؟!

المشكلة أنّ القرآن مهجور مُهْمَلٌ عند المسلمين ، مع أنّ جميع المعارف العقائديّة موجودة في القرآن ، ويمكن القيام ببحث عن "النبوّة في القرآن" ، وعن "الإمامة في القرآن" ، وعن "المعاد في القرآن" ، وعن "العدل في القرآن" ، وبقيّة العناوين العقائديّة ، مثل "البداء في القرآن" ، و"الشّفاعة في القرآن" ، وتكون عندك بحوث قرآنيّة عن العقائد ، ويمكن أن تطعّم البحوث بالرّوايات ، ومنهجنا في البحث هو القرآن والنّبيّ وعترته الطّاهرة والعقل ، ولا ننفصل عن العترة الطّاهرة ، وبعض الآيات قد تكون صعبةً علينا ، ورواية من أهل البيت عليهم السّلام تسهّل علينا فهم هذه الآية .

وقال النّبيّ صلّى الله عليه وآله في حديث الثّقلين الوارد بصيغ

مختلفة :

"إنّي مُسْتَخْلِفٌ فيكم خليفتين : كتاب الله وعترتي ، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي ، وإنّهما لن يفترقا حتّى يَرِدَا عليّ الحوض" [1] .

"إنّي تارك فيكم الثّقلين : كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، وإنّهما لن يفترقا حتّى يَرِدَا عليّ الحوض ، ما إن تمسّكتم بهما لم تضلّوا" [2] .

إنّ دعوتنا ليست القرآن لوحده ، فلسنا من أصحاب "حسبنا كتاب الله" ، بل القرآن مع النّبيّ صلّى الله عليه وآله وعترته الطّاهرة عليهم السّلام ، بدءًا بالنّبيّ صلّى الله عليه وآله ، وانتهاءً بالإمام المهديّ عجل الله فرجه الشّريف ، ومع سيّدة نساء العالمين فاطمة الزّهراء عليها السّلام ، ولا يمكن أن نستغني عن أهل البيت عليهم السّلام ، فالقرآن يطرح أصول الاعتقادات ، وأهل البيت عليهم السّلام يفصّلون لنا هذه الأصول ، وأصول المعارف موجودة في القرآن الكريم ، وأهل البيت عليهم السّلام يفصّلون هذه المعارف ، وتوجد روايات كثيرة في العقائد ، ونحتاج إلى البحث في هذه الرّوايات ، فعندنا مناظرات الإمام الرّضا عليه السّلام مع الأديان الأخرى ، وهذه تشكّل أصول العقائد .

ونحتاج إلى مثل هذه البحوث ، والمفروض أنّ كلّ مسلم يقوم بمثل

---

[1] بحار الأنوار ج٢ ص٢٢٦ .

[2] المصدر السّابق .

هـذه البحـوث أو يقـرأ عـن هـذه الـمواضيع ، والـبعض مـن المسـلمين تسأله : متى قرأت آخر كتاب ؟

يقول لك : قبل عشر سنوات .

متى سمعت آخر محاضرة ؟

يقول : قبل عشرين سنة .

إذن من أين تأخذ دينك إذا كنت لا تقرأ ولا تسمع ؟

لا بـدّ أن يكـون عنـدك مصـادر لمعرفـة دينـك ، فهـو لا يلتقـي بالعلماء ، ومثل هذا الشخص بأقلّ إشكال وشبهة يتحوّل إلى ملحد لأنّه لا يملك أيّ معلومات ، فبكلّ سهولة من الممكن أن يترك هذا الدّين ، وتراه يقول بأنّه صار مسيحيًّا ، وهو لم ينقص من المسلمين شيئًا ، ولا زاد على المسيحيّين شيئًا ، فهو نفس الشّخص ولم يتغيّر بأيّ شيء ، هو نفس الشّخص ، كان اسمه مسلمًا ، وصار اسمه مسيحيًّا ، تغيّر عنوانه فقط ، ولو تسأله أيّ سؤال لا يعرف الجواب ، تسأله : لماذا صرت مسيحيًّا ؟

يقول رأيت الإرهابيّين فصرت مسيحيًّا .

نسأله : هل الإرهابيّون مقياس الإسلام ؟

فهو لا يملك أيّ معلومات لا عن الإسلام ولا عن المسيحيّة .

والبعض من الملحدين يريدون الانفلات ، لا يريد الصّلاة والصّيام والحجّ والزّكاة ، فيصير عنده تغيير الهويّة فقط ، لا أنّه بحث وفكّر وعرف الأدلّة ، وإنّما لأنّه لا يريد الالتزام بشيء .

وبعض الملحدين يصيرون ملكيّين أكثر من الملك ، ترى الملحدين الغربيّين لا يهاجمون الإسلام ، وإنّما يناقشون ، وهذا المسلم يصير ملحدًا ، ويبدأ بمهاجمة الإسلام أكثر من الملحد الأصليّ المفكّر الّذي يناقش الأفكار ولا يتهجّم ، الّذي يعرض أدلّته ويردّ على أدلّة المسلمين ، ولكنّ الملحد الّذي كان مسلمًا لا يترك شيئًا من الإسلام إلّا ويهاجمه ، يتهجّم على الله والقرآن والنّبوّة ، يصير ملكيًّا أكثر من الملك الأصليّ ، أو يستهزئ بالإسلام ، نقول له تريد أن تتحوّل إلى الإلحاد هذا شأنك ، ولكن ناقش مناقشة علميّة ، المناقشة العلميّة مطلوبة بين الأديان وبين المذاهب ، تريد أن تناقش أيّ فكرة ناقشها عن طريق الدّليل ، والمطلوب من المسلم أيضًا النّقاش عن طريق الدّليل ، ولكن إذا ناقشت ورأيت أنّ أسلوبه أسلوب الاستهزاء فلا تستمرّ معه في النّقاش لأنّك لن تصل معه إلى نتيجة ، وإذا رأيته معاندًا ولا يناقش الأدلّة فلا تستمرّ معه في النّقاش ، ففي النّقاش تحتاج إلى من يفكّر لكي يمكن لك أن تبدأ بالنّقاش والحوار معه ، وأحيانًا لا يكون الحوار والنّقاش مباشرًا ، لا تجلس معه في مكان واحد ، أنت تطرح محاضرة عن أدلّة الملحدين وتناقشها ، والملحد يسمع المحاضرة ويردّ عليك ، أنت تسمع محاضرات الملحدين ولقاءاته الفضائيّة وتأخذ الأدلّة الّتي يذكرونها وتناقشها ، مثلما نفعل في محاضراتنا حيث سنطرح أدلّة المؤمنين ونناقش أدلّة الملحدين ، ونطرح المواضيع المختلفة الّتي تبيّن عالميّة الإسلام .

إذن :

أوّل الدّين معرفة الله عزّ وجلّ ؛ لأنّ المنظومة الدّينيّة كلّها قائمة على معرفة الإله الخالق ، والمعرفة فرع الإثبات ، فأوّلًا تثبت وجود الإله الخالق ، ثمّ تترتّب جميع المعارف على وجود الإله ، فإذا لم يثبت وجود الإله فلا يمكن أن تكون عندك أيّ معرفة ؛ لأنّ أوّل الدّين معرفة الإله .

ثمّ يقول أمير المؤمنين عليه السّلام : "وكمال معرفته التّصديق به" ، وبعد أن تعرف الإله تصدّق به أي تؤمن به ، والتّصديق هو الإيمان القلبيّ ، والإيمان فرع العلم والمعرفة ، وإذا لم تعرف الإله فلا يمكن أن تعتقد به وتؤمن به قلبيًّا ، تعرف الله وتعلم بوجوده فتؤمن به .

نسأل :

هل العلم والإيمان شيء واحد أو شيئان مختلفان ؟

الجواب :

العلم والإيمان شيئان مختلفان ، فالعلم غير الإيمان ، فقد يعلم الشّخص بشيء ، ولكنّه لا يؤمن به إيمانًا قلبيًّا ، فالعلم والإيمان منفصلان عن بعضهما البعض ، ويفترقان عن بعضهما البعض ، فقد يوجد علم ولا يوجد إيمان قلبيّ ، يكون عنده علم ، ولكنّه يجحد وينكر .

"وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ" [1] .

---

[1] النّمل : ١٤ .

عنده يقين ، ولكنّه يجحد ولا يؤمن ، ولا يرتّب الأثر على علمه ، والأثر هو الإيمان .

إذن :

العلم والإيمان شيئان لا شيء واحد .

مثلًا شخص يعلم أنّ الله فَرَضَ الصّلاة ، ولكنّه لا يصلّي ، وفي الصّلاة عنده علم وإيمان ، ولكنّه لا يرتّب الأثر العمليّ على علمه وإيمانه .

ويقول أمير المؤمنين عليه السّلام : "وكمال التّصديق به توحيده" ، والتّوحيد فرع الإيمان والتّصديق القلبيّ ، أوّلًا يؤمن بالله ، وثانيًا يوحّد الله ، فالتّوحيد مبنيّ على الإيمان ، ومتفرّع عن الإيمان .

ويقول أمير المؤمنين عليه السّلام : "وكمال توحيده الإخلاص له" ، فإذا وحّد الله أوّلًا فإنّ الإخلاص يترتّب على التّوحيد ثانيًا ، فالإخلاص فرع التّوحيد ، وهذا الإخلاص ليس هو الإخلاص العمليّ الّذي يقابله الرّياء ، ليس هو الإخلاص في الفقه العمليّ ، وإنّما الإخلاص هنا هو الإخلاص النّظريّ وهو الإخلاص في التّوحيد ، وهو الإخلاص في الفقه العقائديّ ، فلا يشرك بالله شيئًا ، والإخلاص العمليّ من ثمار الإخلاص النّظريّ ، فالإخلاص في الفقه العمليّ من ثمار الإخلاص في الفقه العقائديّ ، ولا بدّ أن نفرّق بين الإخلاص في الفقه العمليّ والإخلاص في الفقه العقائديّ .

يقول القرآن الكريم :

"وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ" [1] .

يؤمن بالله ، ولكنّه يكون مشركًا ، يعتقد بالله من ناحية نظريّة ، ولكنّه يشرك بالله من ناحية عمليّة ، فحينما يُقْدِمُ على العمل يكون مشركًا ، فلا يأتي بالعمل خالصا لله تعالى ، يكون عنده هدف آخر من وراء العمل ، فيقوم بالعمل ، ولكن لا يوجد عنده إخلاص لله من ناحية عمليّة ، مثلًا يأتي بالعمل رياءً ، يريد أن يحصل على مدح النّاس ، فلا يوجد عنده إخلاص عمليّ على أساس الفقه العمليّ ، وهو غير مشرك من ناحية نظريّة ، فيكون مخلصًا بناء على الفقه العقائديّ ، فهو مخلص من ناحية نظريّة ، ولكنّه ليس مخلصًا من ناحية عمليّة ؛ لأنّه لا يرتّب الأثر العمليّ على إخلاصه النّظريّ .

وقد نقوم بكثير من الأعمال بدون الالتفات إلى وجود الله ، فنكون من الغافلين ، مثلًا الإنسان يغضب ويقوم بعمل لا يرضي الله تعالى ، فهو يغفل عن الله ، تصعد عنده القوّة الغضبيّة ، فيريد أن يفعل ويفعل ، وقد يقتل شخصًا بسبب الغضب ، والإنسان حينما يرتكب المعصية يغفل عن الله ولا يتذكّر الله ؛ لأنّ إيمانه بالله ضعيف ، والإنسان يغفل عن الله لأنّ اعتقاده ضعيف ، ولو كان اعتقاد الإنسان بالله قويًّا لما غفل عن وجوده تعالى طرفة عين أبدًا .

"إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ

---

[1] يوسف : ١٠٦ .

وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ" [1] .

"الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ" : أي يذكرون الله عزّ وجلّ في جميع الحالات ؛ لأن الإنسان لا يخلو من إحدى هذه الحالات الثّلاث ، يكون قائمًا أو قاعدًا أو مضطجعًا .

ونقول في الدّعاء : اللّهم لا تكتبنا في الغافلين ، واكتبنا في الذّاكرين .

بمجرّد ما يغفل الإنسان عن الله فإنّه يُقْدِمُ على أعمال لا يكون فيها رضا لله ، يكون العمل اتّباعًا للشيطان أو لهوى النّفس ، والإنسان قبل أن يُقْدِمَ على أيّ عمل لا بدّ أن يسأل نفسه : هل هذا العمل يرضي الله أو لا يرضي الله ؟

وهذا السّؤال يكون قبل الإقدام على العمل ، لا أنّه بعد أن يقوم بالعمل يقول لا أدري أنّ الله راضٍ عنّي أو لا ، فمن البداية قبل أن تفعل أيّ شيء اسأل نفسك هذا السّؤال .

إذن المطلوب هو الإخلاص في التّوحيد ، أي عدم الشّرك بالله تعالى .

النّتيجة :

بحث إثبات وجود الإله الخالق للكون هو أهمّ بحث ؛ لأنّ كلّ المنظومة المعرفيّة الدّينيّة متفرّعة وقائمة على إثبات وجود الإله الخالق ،

---

[1] آل عمران : ١٩٠-١٩١ .

فالفقه الدّينيّ بجميع مجالاته قائم على الاعتقاد بالله تعالى ، فأوّلًا تعرف الله ، ويثبت وجود الله عندك ، وبعد ذلك تتفرّع جميع المعارف الدّينيّة على معرفته تعالى ، وتترتّب جميع الأعمال الباطنيّة والظاهريّة ، فأوّل بحث هو إثبات وجود الإله الخالق للكون .

الحاجة إلى الدّليل للمثبت والنّافي :

حينما نقول بأنّنا نحتاج إلى دليل لإثبات وجود الإله الخالق ، هل معنى ذلك أنّ الملحد الّذي ينفي وجود الإله الخالق لا يحتاج إلى دليل لإثبات عدم وجود الإله الخالق للكون لأنّ الملحد يقول إنّ العدم لا يحتاج إلى إثبات بل الوجود يحتاج إلى إثبات ؟

فيأتي السؤال التالي :

هل فقط المثبت لوجود الإله يحتاج إلى دليل لإثبات وجوده أو النافي لوجود الإله يحتاج أيضًا إلى دليل لنفي وجود الإله ؟

الجواب :

كما أنّ المثبت لوجود الإله يحتاج إلى دليل للإثبات ، كذلك النّافي لوجود الإله يحتاج إلى دليل للنّفي ، والرّبوبيّ واللّاأدري والشّاكّ يحتاجون إلى دليل أيضًا ، لا فقط المثبت والمؤمن يحتاج إلى دليل ، فالجميع نسألهم : ما هو الدّليل على ما تقولون ؟

وكلّ قول يقوله الإنسان يحتاج فيه إلى دليل لإثبات هذا القول ، وكلّ من يدّعي أيّ ادّعاء عليه أن يثبت ادّعاءه بالدّليل ، وكلّ من يعتقد باعتقاد معيّن لا بدّ أن يبيّن دليله على صحّة هذا الاعتقاد ،

وهذا قانون عامّ في كلّ مقولة يقولها أيّ أحد أو يدّعيها أو يعتقد بها ، وإذا لا يوجد عنده دليل فالمفروض أن لا يقول بهذا القول ولا يدّعي هذا الادّعاء ولا يعتقد بهذه العقيدة ، فالاعتقاد لا بدّ أن يكون قائمًا على الدّليل والاقتناع .

قد يقول إنّ دليلي هو ما وجدنا عليه آباءنا ، نقول إنّ هذا لا يشكّل دليلًا ، يقول إنّ أبي كان يقوم بهذا الفعل فأنا أقوم به .

مثل بعض الأشخاص الّذين تسألهم عن مرجعهم الدّينيّ ، فيقول العالم الفلانيّ ، تسأله : لماذا اخترت هذا المرجع ؟

يجيب : لأنّ أبي يرجع إليه فأنا أرجع إليه .

إنّ الرّجوع إلى مرجع التّقليد ليس قائمًا على الوراثة ، وهذا الدّليل لا يكفي ليكون لك حجّة في عالم البرزخ ويوم القيامة ، فالحساب دقيق ، في أيّ اعتقاد تعتقده سيسألك الملائكة : ما هو دليلك ؟

يسألونك : من ربّك ؟

تقول : الله .

يسألونك : ما هو دليلك ؟

لا تظنّ أنّك إذا قلت الله – فالقضيّة منتهية .

يقول إنّ ربّي الله ، وفي الدّنيا يكون قاتلًا مختلسًا مجرمًا ، ويظن بأنّه في القبر يستطيع أن يقول الله ، لا يستطيع أن يقول الله ؛ لأنّ الاعتقادات إذا لم تكن راسخةً في الدّنيا فإنّه يفقدها قبل نزوله إلى القبر ، والحساب في القبر لا يكون عن طريق الألفاظ ، وإنّما بلسان

الحال ، فالرّوح مكشوفة أمام الملائكة ، ويعرفون ما هي العقائد الموجودة في هذه الرّوح ، فيسألونه من ربّك ، اللّسان تركه في قبر الجسد ، وهذا اللّسان لا ينتقل إلى عالم البرزخ ، فالسّؤال والجواب عبارة عن رمز ، ويكون بلسان الحال ، هي ليست أسئلة حقيقيّة ، وإنّما رمزيّة ، مثل سجود الملائكة لآدم عليه السلام ، عبارة عن أمر رمزيّ بلسان الحال ، ولا يعني أنّ الله جمع الملائكة في مكان واحد وقال لهم اسجدوا ، فسجود الملائكة بمعنى خضوع الملائكة للإنسان ، أي أنّ الملائكة تكون في خدمة الإنسان ، وإبليس حينما رفض السّجود بمعنى أنّه رفض الخضوع للإنسان ، لا يريد أن يكون في خدمة الإنسان مثل الملائكة ، فقصّة آدم والملائكة وإبليس عبارة عن قصّة رمزيّة بلسان الحال ، نعم آدم والملائكة وإبليس موجودات حقيقيّة ، وكذلك في القبر الملائكة لا تسأل عن طريق الألفاظ ، هذه الرّوح مكشوفة أمام الله وأمام الملائكة ، يعرفون عقائد هذا الشّخص ولا يحتاجون إلى سؤاله عن عقائده ، لذلك إذا لم يرسّخ الإنسان العقائد في نفسه فإنّه حينما ينتقل إلى عالم البرزخ يفقد هذه العقائد ؛ لأنّ روحه لم تنصبغ بهذه العقائد ، فإذا كان عنده أدلّة واقتناع فإنّ العقيدة ترسخ ، والعقائد ترسخ عن طريق الأعمال ، فكلّما عملت أكثر وذكرت الله ترسخ عقيدة التّوحيد في نفسك ، فهذه العقيدة تثبت وترسخ ولا تزول ، ومهمّتنا أن نرسّخ العقائد في قلوبنا وفي أنفسنا .

إذن :

مـن أيّ قسـم يكـون الإنسـان ، مؤمنًـا أو ملحـدًا أو ربوبيًّـا أو لاأدريًّا أو شاكًّا – فلا بدّ أن يأتي بالدّليل على اعتقاده ، فكلّ قول يقوله الإنسان يحتاج فيه إلى دليل لإثبات صحّة هذا القول ، وهذا قانون عامّ في أيّ مقولة يقولها الإنسان ، فيحتاج إلى دليل لإثباته ، وكلّ طرف يحتاج إلى طرح أدلّته ليراها الأطراف الأخرى ويناقشوها ويردّ على إشكالاتهم وتساؤلاتهم حتّى يمكنه إثبات قوله تمامًا بحيث لا يوجد عليه أيّ إشكال .

يقول القرآن الكريم :

"أَمَّن يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَءِلَهٌ مَعَ اللهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ" [١] .

"أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ ءالِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ . . ." [٢] .

حتّى لو كان يعتقد بإله آخر فلا بدّ أن يقيم البرهان على إثبات وجود إلهه .

"قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ" [٣] .

حينما تريد أن تناقش طرفًا آخر ، أنت مؤمن وهو ملحد ، تقول

---

[١] النّمل : ٦٤ .

[٢] الأنبياء : ٢٤ .

[٣] سبأ : ٢٤ .

له : "**وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ**" ، لا تقول له إنّ الحقّ معي والباطل معك ، فإذا قلت له هذا القول فإنّه لا يناقشك ، تقول له لنتحاور ، قد تكون أنت على حقّ وأكون أنا على باطل ، وقد أكون أنا على حقّ وأنت على باطل ، نطرح الأدلّة ونناقشها ، والآن المسلمون حينما يريدون أن يناقشوا الأطراف الأخرى يقولون من البداية نحن الحقّ وأنتم الباطل ، فيغلق باب النّقاش من البداية ، والمنهج القرآني هو "**وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ**" .

الآن جميع المسلمين يقولون إنّ الحقّ معنا ، وكلّ مذهب يقول إنّ الحق معي ، وإذا أردت أن تطرح الإسلام العالميّ فبناءً على أيّ مذهب مع أنّ كلّ مذهب يقول أنا الحقّ وباقي المذاهب على باطل ، تريد أن تقدّم الإسلام للعالم ، تقول عالميّة الإسلام ، أيّ إسلام تريد أن تقدّمه ؟

لا بدّ أن تأتي إلى المشتركات بين المذاهب ، مثلًا تريد أن تناقش توحيد الله ، هذا أمر مشترك بين جميع المذاهب ، وإذا تدخل في صفات الله فلا تستطيع أن تعرض أنّ الله جسم أو ليس بجسم إلّا بعد إثبات أنّ الله ليس بجسم ، والمسلمون مختلفون في هذه المسألة ، جسميّة الله وعدم جسميّة الله ، فتبدأ بإثبات أنّ الله ليس بجسم ، وتطرح هذا القول من خلال الدّليل حتّى تصير عقيدةً عالميّةً ، وأمّا إذا طرحت بدون الدّليل فالعالم سيقول أيّها المسلمون أنتم مختلفون في هذه المسألة ، اتّفقوا أوّلًا على رأي واحد ، وبعد ذلك أخبرونا بما

اتّفقتم عليه ، وطبعًا ونحن على مدرسة أهل بيت النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، ونريد أن نطرح الإسلام بناءً على هذه المدرسة ، هذا اعتقادنا ، ونحاول أن نثبت العقائد أوّلًا من خلال القرآن قبل أن نذهب إلى الرّوايات ، القرآن يقول ، وبعد ذلك نأتي بشواهد من الرّوايات ، ونأتي بالتّفاصيل من النّبيّ صلّى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السّلام ؛ لأنّنا نتبنّى عقائد معيّنة ، ونحن نعتقد أنّ هذه العقائد عقائد عالميّة ، وأنّ العالم يمكن أن يتقبّل هذه العقائد بناءً على الدّليل لا مجرّد كلام ، وإنّما بالدّليل ، كان دليلًا عقليًّا أو قرآنيًّا أو روائيًّا بما يتناسب مع عقول النّاس في العالم ، وبما يتناسب مع فطرة الإنسان .

ومن خلال البحوث نحاول أن نبيّن هذه الأدلّة المختلفة لنثبت عالميّة الإسلام بمنظور أهل البيت عليهم السّلام ، القرآن والعترة معًا ، لا حسبنا كتاب الله فقط ، ولا حسبنا العترة فقط ، بل معًا القرآن والعترة ، فلا نقول إنّنا لا نحتاج إلى القرآن بل نكتفي بالعترة ، ولا نقول إنّنا لا نحتاج إلى العترة بل نكتفي بالقرآن ، فالقرآن الكريم والعترة الطّاهرة معًا .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

عالميّة الإسلام

(٤٣)

الموقف من أدلّة المؤمن وأدلّة الملحد [١]

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

كان الكلام في المحاضرة السّابقة أنّ المؤمن يحتاج إلى الدّليل على إثبات وجود الإله ، وكذلك الملحد يحتاج إلى دليل لإثبات عدم وجود الإله .

هنا قد يأتي الإشكال بأنّ العدم لا يحتاج إلى إثبات ، فعدم وجود الإله لا يحتاج إلى إثبات ، وإنّما المدّعي لوجود الإله لا بدّ أن يأتي بالدّليل ، ويكفي أنّ الملحد يناقش أدلّة المؤمنين وينفي هذه الأدلّة ، ونفي أدلّة المؤمنين يكفي لإثبات عدم وجود الإله ، مثلًا يقول المؤمن إنّ الفطرة تدلّ على وجود الإله ، والملحد يقول لا يوجد شيء اسمه فطرة ، ومع نفي وجود الفطرة يثبت عدم وجود الإله .

---

[١] أُلْقِيَتْ هذه المحاضرة في الدّيوانيّة الأسبوعيّة في منطقة بيان ، الجمعة ٣٠ جمادى الآخرة ١٤٤٠ هـ ، الموافق ٢٠١٩/٣/٨ م .

جواب الإشكال :

يوجد جوابان :

الجواب الأول :

لا يوجد عندنا طرفان فقط : مؤمن وملحد ، بل يوجد الرّبوبيّ واللّاأدريّ والشّاكّ ، فالملحد لا بدّ أن ينفي أدلّة الجميع ، ولو كان يوجد طرفان فقط فنقول تنفي أدلّة الطرف الآخر فيثبت طرفك ، ولكن توجد خمسة أطراف ، فالملحد لا بدّ أن يناقش أدلّة جميع الأطراف ، والرّبوبيّ يحتاج أيضًا إلى دليل لإثبات قوله ، والرّبوبيّ هو الّذي يعتقد بوجود إله ، ولكنّه لا يعتقد بالأديان ، واللّاأدريّ لا بدّ أن يأتي بالدّليل لإثبات لاأدريّته ، والشّاكّ يجب أن يأتي بالدّليل أيضًا لإثبات صحّة شكّه بوجود الإله .

الجواب الثّاني :

المؤمن والملحد يقولان بحدوث الكون ، فإذا كان الكون حادثًا فنسأل : **من الّذي أحدث الكون ؟**

المؤمن يقول إنّ الخالق هو الّذي أحدث العالم وصنعه وأوجده ، والملحد يقول إنّ الطّبيعة أوجدت نفسها ، يعني أنّ الطبيعة خلقت نفسها ، فيوجد اتّفاق بين المؤمن والملحد أنّه يوجد خالق ، ولكنّ الاختلاف في مصداق الخالق ، المؤمن يقول إنّ الخالق هو الإله ، والملحد يقول إنّ الخالق هو الطّبيعة ، فيوجد اتّفاق على وجود خالق للكون ، والملحد ينكر الإله الّذي يعتقد به المؤمن ، ولكنّه لا ينكر

وجـود الخـالق مطلقًـا ، يقـول إنّ الطّبيعـة خلقـت نفسـها ، فتكـون الطّبيعة هـي الخـالق ، والملحـد لا بـدّ أن يقـيم الـدّليل على أنّ الطّبيعة خلقت نفسها ، فنسأل :

هل يمكن للطّبيعة غير الموجودة أن توجِد نفسها ؟

الجواب :

إذا لم تكـن الطّبيعة موجـودة فهـي معدومـة ، والمعـدوم لا يمكـن أن يقـوم بأيّ عمـل لأنّـه غـير موجـود ، ويقـول الملحـد إنّ المعـدوم أوجـد نفسه ، وهذا مستحيل ، وإذا كان موجودًا وأوجد نفسه فهذا تحصيل للحاصل لأنّه موجود ، فلا يحتاج لأن يُوجِدَ نفسه مرّة أخرى .

إذن :

الملحد لا بدّ أن يأتي بالدّليل على عدم وجود الإله الخالق الّذي يقول به المؤمن ، ويأتي بدليل على وجود خالق آخر ، والمؤمن يناقش دليـل الملحـد ، ويبـيّن اسـتحالة أنّ الطبيعـة خلقـت نفسـها ، فـالمؤمن يحتاج إلى إقامة الدّليل على وجود الإله الخالق ، والملحد يحتاج أيضًا إلى إقامة الدّليل على عدم وجود الإله الخالق ، ولكنّه يقول بإله آخر خلق الطّبيعة لأن الطبيعة حادثة فتحتاج إلى مُحْدِثٍ وَمُوجِدٍ وَصَانِعٍ .

الموقف من أدلّة المؤمن وأدلّة الملحد :

عندنا أدلّة المؤمن الّتي تثبت وجود الإله ، وأدلّة الملحد الّتي تنفي وجود الإله ، فعندنا أدلّة المؤمن وأدلّة الملحد .

فيأتي السّؤال التالي :

ما هو الموقف من أدلّة المؤمن وأدلّة الملحد ؟

الجواب :

نحن أمام ثلاث حالات :

الحالة الأولى :

أن يتمّ تقديم أو ترجيح أدلّة المثبتين على أدلّة النافين ، فنقدم أدلّة المؤمن على أدلّة الملحد ، ويقال بوجود إله خالق للكون .

الحالة الثّانية :

عكس الحالة الأولى ، وذلك بأن يتمّ تقديم أو ترجيح أدلّة النّافين على أدلّة المثبتين ، فنقدم أدلّة الملحد على أدلّة المؤمن ، ويقال بعدم وجود إله خالق للكون .

الحالة الثّالثة :

أن تتكافأ وتتساوى أدلّة المثبتين لوجود الإله وأدلّة النّافين لوجود الإله ، فلا يمكن تقديم لا أدلّة المؤمن ولا أدلّة الملحد .

وإذا تكافأت الأدلّة أي لم يمكن إثبات وجود الإله ولا إثبات عدم وجود الإله فندخل في التّشكيك واللّاأدرية ، فيقال لا أدري بأنّ الإله موجود أو غير موجود .

ومع تكافؤ أدلّة الطرفين من ناحية نظريّة نقول بأن الإنسان لا بدّ أن يقوم بالأعمال المختلفة ، فهنا يأتي السّؤال التّالي :

ماذا يقتضيه العقل من ناحية السّلوك والعمل لا من ناحية الاعتقاد النّظريّ ؟ فمن ناحية السّلوك والعمل هل يبني على

وجود الإله أو على عدم وجود الإله ؟

الآن كلامنا من ناحية عمليّة ، فهل العمل يكون مبنيًّا على وجود الإله أو على عدم وجود الإله ؟

فإذا بنى على وجود الإله من ناحية عمليّة فيأتي بأعمال كالصّلاة مثلًا ، وإذا بنى على عدم وجود الإله من ناحية عمليّة فلا يصلّي ، فهل اللّاأدري يأتي بالصّلاة أو لا يأتي بالصّلاة مثلًا ؟ هل يصوم في شهر رمضان أو لا يصوم ؟

الجواب :

الّذين يقولون بالنّفي وعدم وجود الإله يقولون نرجع إلى العقل ، والعقل يحدّد لنا العمل ، فالإنسان يرجع إلى عقله ، وبناءً على ما يحكم به العقل يقوم بالعمل ، فيتبنّى العقلانيّة في العمل .

ويقال هنا بأنّ الإيمان والإلحاد يقومان على ثلاثة أسس :

الأساس الأوّل :

العقل في قبال الوحي ، المؤمنون يقولون بأنّ محورنا هو الوحي ، والعقل طريق لفهم الوحي ، والملحدون يقولون بالعقل فقط ، فالمؤمن عنده الوحي والعقل ، والملحد عنده العقل فقط .

الأساس الثّاني :

المؤمن يقول بأنّ المحور هو الإله ، والإنسان مخلوق من قِبَلِ هذا الإله ، والملحد يقول بأنّ المحور هو الإنسان ، لذلك يقال بالمذهب الإنسانيّ القائم على محوريّة الإنسان ، فالمؤمن يقول بمحوريّة الإله ،

والملحد يقول بمحوريّة الإنسان ، وحينما نأتي إلى المذهب الإنسانيّ سنسأل : هل يمكن أن يكون عندنا مذهب إنسانيّ قائم على أساس وجود الإله في مقابل المذهب الإنسانيّ المبنيّ على عدم وجود الإله ؟

سنأتي إلى موضوع "المذهب الإنسانيّ الإسلاميّ" ، ويكون المحور هو الله عزّ وجلّ .

الأساس الثّالث :

المؤمن يريد الدّنيا لأجل الآخرة ؛ لأنّه يعتقد بوجود الآخرة ، والملحد يريد الدّنيا لأجل الدّنيا ، فيقول نعيش في الدّنيا ونموت وننتهي ولا توجد حياة أخرى بعد الحياة الدّنيويّة ، فالملحدون لا يعتقدون بوجود المعاد ووجود يوم الحساب ، والبعض منهم يقولون افعل ما تشتهي في الدّنيا ، وإذا متّ انتهت الحياة ، فتتحلّل في القبر وينتهي كلّ شيء ، ولا توجد حياة أخرى .

النّتيجة :

سلوك المؤمن يختلف عن سلوك غير المؤمن من ناحية عمليّة ، والمنظومة الفكريّة المعرفيّة والأخلاقيّة والتّربويّة والسّلوكيّة والاجتماعيّة عند المؤمن تختلف عنها عند غير المؤمن ، فالمؤمن بوجود الإله يختلف عن غير المؤمن بوجود الإله من حيث المنظومات الّتي يتبنّاها ويعمل على أساسها ، فيختلفان من النّاحية النّظريّة والنّاحية العمليّة ، والإنسان يقيم حياته على أساس اعتقاداته ومتبنّياته الفكريّة النّظريّة ، وتوجد اعتقادات نظريّة للمؤمن واعتقادات نظريّة للملحد .

المفروض أنّ الإنسان يقيم حياته وسلوكه على أساس إيمانه وعقائده الّتي يقول بأنّه يتبنّاها ، وتجد أنّ المسلمين لا يقيمون أعمالهم على أساس العقائد الّتي يقول بها الدّين ، فتجد سلوك كثير من المسلمين لا يتناسب مع عقائد الدّين ، من يعتقد بوجود يوم للحساب لا بدّ أن يراقب أعماله ، فيكون العمل بمنظار الآخرة ، فقبل أن يُقْدِمَ على أيّ عمل يسأل نفسه : ما هو انعكاس هذا العمل في الآخرة ؟ هل يؤدّي بي إلى الجنّة أو إلى النّار ؟

تجد بين المسلمين من يختلس الأموال ومن يقتل ومن يزهق الأرواح ويستحلّ الأعراض والأموال والأنفس ، ومع ذلك يقول أنا مسلم ، وكأنّ هذا الشّعار يكفي لدخول الجنة ، كما يقولون إنّ جميع المسلمين يدخلون إلى الجنّة ، وكأنّ الله ينظر إلى الهويّة والعنوان ، ويقولون إنّ جميع غير المسلمين يذهبون إلى النّار بلا أيّ تفرقة ، كان يهوديًّا أو مسيحيًّا أو بوذيًّا أو ملحدًا أو سيخيًّا أو هندوسيًّا ، كأنّ الهويّة تكفي لدخول الجنّة أو النّار ، هذا اعتقاد المسلمين ، يقول أنا مسلم فأنا من أهل الجنّة ، قد لا يصلّي ولا يصوم ، وقد يرتكب المحرّمات ، كلّ هذا لا يهمّ ، المهمّ أن اسمه مسلم ، ولكن الله لا ينظر إلى الهويّة والشّعارات والعناوين والأسماء ، وإنّما ينظر إلى واقع الإنسان ، يقول أنا مسلم ، ولكن هل واقعه مسلم أي يسلّم جميع أموره إلى الله ويطيع الله ويتّبع النّبيّ صلّى الله عليه وآله أو يحمل الإسلام مجرّد شعار واسم وهويّة ؟

النّبيّ صلّى الله عليه وآله يقول بحرمة المال الحرام ، فهل هو يحرّم المال الحرام أو لا ؟

لا يفرّق بين أنّه شيعيّ أو سنّيّ ، تجد شخصًا عنوانه "شيعيّ" ويختلس الأموال ، تجد من عنوانه سنّيّ ويقتل الأبرياء ، لا يفرّق أنّه من أيّ مذهب كان ، لا بد أنّ هذه الاعتقادات تتحوّل إلى عمل بحيث إنّ السّلوك يُبْنَى على الاعتقادات ، فحينما يقوم بأيّ عمل يقول إنّ هذا العمل مبنيّ على هذا الحكم الدّيني ، فأنا أُقْدِمُ على هذا العمل ، وأمّا حينما يسرق المال اسأله : ما هو الحكم الدّينيّ الّذي على أساسه تقوم بالسّرقة ؟

لا يوجد عنده دليل على جواز السّرقة ، يقول أنا أسرق لأنّي أريد أن أجمع المال بأيّ طريق ، فهو لا يهتمّ بطريق جمع المال ، كان حلالًا أو حرامًا ، وكذلك بقيّة المحرّمات .

إذن :

المفروض أنّ الإنسان يبني سلوكه على أساس اعتقاداته ، فالعمل يكون بمنظار الاعتقاد ، لا أنّه يدّعي الاعتقاد بشيء ، ولكن أعماله تقول شيئًا آخر ، نقول إنّ هذا الاعتقاد ليس اعتقادًا حقيقيًّا عنده .

الرّجوع إلى الموضوع :

إذا تكافأت أدلّة المثبتين لوجود الإله وأدلّة النّافين لوجود الإله فهل يعمل الإنسان على أساس الإله والوحي والآخرة أو على أساس الإنسان والعقل والدّنيا ؟

الجواب :

يوجد أمام الإنسان طريقان : طريق الإله والوحي والآخرة ، فالإله موجود ، ونحتاج إلى الوحي والعقل ، ومبدأنا هو الدّنيا ، ومنتهانا هو الآخرة ، أو طريق الإنسان والعقل والدّنيا ، فيقول الإله غير موجود ، وكلّ ما في هذا الكون للإنسان ، وعقلي يكفي في إدارة شئوني ولا أحتاج إلى الوحي ، والدّنيا هي المبدأ والمنتهى ، ولا يوجد عالم بعد عالم الدّنيا ولا يوجد يوم للحساب .

وعلى الإنسان أن يحدّد طريقه ، وإذا اختار طريقًا معيّنًا فلا بدّ أن يلتزم بجميع لوازم الطّريق الّذي اختاره ، أو يسلك الطّريق الآخر ويلتزم بجميع اللّوازم ، لا أنّه يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعضه ، إمّا أن يكون خالصًا في الطّريق الأوّل أو خالصًا في الطّريق الثّاني ، ولكنّ المسلمين اليوم يعيشون الخلط بين الطّريقين ، بين مبادئ الإيمان ومبادئ الإلحاد ، فهو يريد الآخرة ، ولكنّه لا يعمل لها ، يريد أن يكون في هذه الدّنيا حرًّا في ارتكاب المعاصي ، ومع ذلك يريد الجنّة ، لا بدّ أنّ الإنسان من البداية يحدّد طريقه ويلتزم بلوازم هذا الطّريق من ناحية الاعتقادات ومن ناحية الصّفات القلبيّة النّفسيّة ومن ناحية الأعمال ، فكلّ طريق فيه اعتقادات معيّنة وَتُبْنَى عليها صفات قلبيّة معيّنة وأعمال معيّنة ، فاختر الطّريق والتزم بلوازم هذا الطّريق ، لا أن تخلط بين الطّريقين ، وإذا خلط بين الطّريقين فمعناه أنّه مرّة يكون مؤمنًا ومرّة يصير ملحدًا ، وحينما يسرق الإنسان فإنّه

لا يتذكر الله تعالى ، فهو في هذه اللّحظة الّتي يسرق فيها يكون غير معتقد بالله عزّ وجلّ .

عن الإمام الصّادق عليه السّلام : "لا يزني الزّاني وهو مؤمن ، ولا يسرق السّارق وهو مؤمن . . . [1] .

في هذه اللّحظة لا يؤمن بالله ؛ لأنّ الإنسان المؤمن الّذي يذكر الله لا يزني ولا يسرق ولا يختلس ولا يتعرّض للأعراض ولا يزهق الأنفس بلا وجه حقّ ، والإنسان حينما يرتكب المعصية لا يتذكّر الله ، ويغفل عن وجود الله ، لذلك يرتكب المعصية ، وأحيانًا الإنسان أثناء ارتكاب المعصية يذكر الله ، ولكنّه يجعل الله أهون النّاظرين ، ولا يهتمّ بأنّ الله يراه وهو يرتكب المعصية ، يقول يا الله أنا أعلم أنّك تراني ، ولكن مع ذلك أرتكب المعصية ، والإنسان الّذي يشرب الخمر لو تسأله عن دينه يقول أنا مسلم ، والعجيب أنّ بعض الّذين يشربون الخمر يصلّون ، ويأخذ بالمقولة المشهورة : ساعة لربّك وساعة لقلبك ، فمن جهة هو مؤمن ، ومن جهة أخرى هو ملحد ، يقول أشرب الخمر وأصلّي لعلّ الله يغفر لي ، ولكنّ أثناء الصّلاة فيم يفكّر ؟! ألا يفكّر بزجاجة خمر ؟!

وأحيانًا الإنسان يصلّي ، ولكنه في أثناء الصّلاة يخطّط لارتكاب الحرام بعد الصّلاة ، يقول أنتهي وأذهب لارتكاب المعصية ، وخاصّة مع وجود وسائل التّواصل المفتوحة والهواتف النّقالة ، والشاب يحدّث

---

[1] بحار الأنوار ج٦٦ ص١٧٩ .

نفسه وهو يصلّي أنّه بعد الانتهاء من الصّلاة أذهب لمشاهدة ذاك الفيلم الإباحيّ ، والمفروض أنّ الصّلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، هذه هي غاية الصّلاة ، والصّلاة الّتي لا تنهى عن الفحشاء والمنكر هي صورة صلاة لا قيمة لها .

يقول القرآن الكريم :

"وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ" [١] .

وعن النّبيّ صلّى الله عليه وآله : "إِنَّ مِنَ الصَّلاةِ لَمَا يُقْبَلُ نِصْفُهَا وَثُلُثُهَا وَرُبُعُهَا وَخُمُسُهَا إِلَى العُشْرِ ، وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يُلَفُّ كَمَا يُلَفُّ الثَّوْبُ الخَلِقُ ، فَيُضْرَبُ بِهَا وَجْهُ صَاحِبِهَا ، وَإِنَّمَا لَكَ مِنْ صَلاتِكَ مَا أَقْبَلْتَ عَلَيْهِ بِقَلْبِكَ" [٢] .

وعن الإمام الصّادق عليه السّلام : "من أحبّ أن يعلم أَقُبِلَتْ صلاتُه أم لم تُقْبَلْ فَلْيَنْظُرْ هل منعته صلاته عن الفحشاء والمنكر ، فبقدر ما منعته قُبِلَتْ منه" [٣] .

أثناء الصّلاة يفكّر في أمور أخرى ، والمفروض أنّه قبل أن يدخل إلى الصّلاة يفرغ ذهنه عن جميع الأشياء الدّنيويّة ، هو والله فقط ، نعم هذا أمر صعب ؛ لأنّ الإنسان كلّما زاد تعلّقه بالدّنيا فهذه الدّنيا

---

[١] العنكبوت : ٤٥ .

[٢] بحار الأنوار ج٨١ ص٢٦٠ ح٥٩ .

[٣] المصدر السّابق ج٧٩ ص١٩٨ .

تأتي إليه أثناء الصّلاة ، وهذا هو شغل إبليس ، فراقب نفسك أثناء الصّلاة فيم تفكّر .

أشياء لا تفكّر بها خارج الصّلاة تأتي إلى ذهنك أثناء الصّلاة ، انظر إلى نفسك أثناء الصّلاة ، كم موضوع فكرت فيه ، لذلك لا يشغل الإنسان نفسه بكثير من القضايا الدّنيويّة ، خذ من الدّنيا بقدر ما تحتاج ، وإذا كنت تريد أكثر من حاجتك فإنذ صلاتك تضيع ؛ لأنّ الفكر ينشغل بهذه الأمور الدّنيويّة ، لذلك لماذا يحتاج الإنسان إلى الزّهد ؟

الزّهد لا يعني أن تترك الدّنيا ، بل يعني أن تأخذ من الدّنيا بقدر حاجتك بدون التّعلّق القلبيّ ، أنت تحتاج إلى الطّعام فتأكل ، ومرّة تفكّر أنّك تأكل ، ولكن تريد أنواع الطّعام وأصنافه ؛ لأنّه يوجد عندك تعلّق قلبيّ بالطّعام ، وأنت غير ملتفت إلى هذا الأمر ، وخاصّة في شهر رمضان ، شهر رمضان هو شهر الزّهد ، ولكن يتحوّل إلى شهر الطّعام ، وبعض النّاس في آخر شهر رمضان يزداد وزنهم بدل أن ينقص ؛ لأنّه طوال اللّيل يأكل أصناف الحلويّات الّتي تزيد الوزن ، ولا يقتصر على الطعام القليل ، في شهر رمضان المفروض أن يأكل أقلّ من باقي الأشهر ، والمفروض أن ينقص وزنه في آخر الشّهر ، ومن يرى بأنّ وزنه زاد فمعنى ذلك أنّه كان يأكل كثيرًا أثناء الشّهر ، فيصير عنده تعلّق قلبيّ بالطّعام ، من أوّل ما يقوم من النّوم بعد صلاة الفجر أوّل سؤال يوجّهه لزوجته : ما هو إفطارنا اللّيلة ؟

يوجّه هذا السّؤال لأنّ فكره مشغول بالطّعام ، لا يفكّر في كيفيّة الاستفادة من هذا اليوم في التّقرّب إلى الله ، وأكثر المسلمين تفكيرهم بالطّعام ، وفي بلدنا التّفكير بالقرقيعان ، وخاصّة النّساء ينشغلن بالتّجهيزات من أوّل الشهر ، وينتهين من القرقيعان ويبدأ التّفكير بتجهيزات يوم العيد ، فيضيع الشّهر في التّفكير بهذه الأمور ، وطبعًا غير المسلسلات الكثيرة في التّلفزيون ، فينشغل فكر المسلمين بهذه الأمور ، ويضيع الشّهر عليهم ، والدّليل على ذلك أنّ المسلمين لا يتكاملون ، لا توجد حالة التّكامل ، لا تكامل الأفراد ولا تكامل المجتمع ، نعم يوجد أفراد معدودون يتكاملون ، ولكن ليس لهم تأثير على المجتمع ، فلا تكامل أفراد ولا تكامل أمّة ، لذلك أوضاع المسلمين إمّا ثابتة وإمّا إلى تردّي ؛ لأنّ علاقتهم بالله علاقة ضعيفة ، وأنتم ترون أوضاع المسلمين ، ومن الطّبيعي أن من تكون علاقته بالله ضعيفة فإنّه لا يتكامل ، ومن يتكامل هو من تكون عنده علاقة قويّة بالله ، ويسعى إلى تقوية هذه العلاقة أكثر يومًا بعد يوم .

سؤال : في حالة تكافؤ أدلّة المؤمن وأدلّة الملحد ما هو موقف القرآن الكريم ؟

الجواب :

القرآن الكريم في حالة التكافؤ بين الأدلّة يرجعنا إلى الفطرة .

". . **فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ** . ." [1] .

---

[1] الرّوم : ٣٠ .

أيّها الإنسان ارجع إلى فطرتك ، أنت لا تعلم أنّ الصّحيح هو أدلّة المؤمن أو أدلّة الملحد ، عندك فطرتك ، وكلّ إنسان عنده هذه الفطرة ، حتّى الملحد عنده هذه الفطرة ، فنحتاج إلى موضوع عن "فطرة الإنسان" .

نقول بأنّ الفطرة تدلّ على وجود الإله ، ما هي الفطرة ؟

وهل هي موجودة عند جميع النّاس أو لا ؟

المفروض أن تكون موجودة عند جميع النّاس ، ولا بدّ أن تكون واضحة للجميع بحيث إنّ الإنسان لا يستطيع أن ينكر وجود هذه الفطرة عنده إذا رجع إلى نفسه ، ومعنى ذلك وجود قواعد فطريّة عند كلّ إنسان بحيث يمكنه الرّجوع إلى تلك القواعد الفطريّة ، وحينما تنبّه أيّ إنسان إلى هذه القواعد وتذكرها له فإنّه يلتفت إليها ويقول إنّ هذه القاعدة موجودة عندي فعلًا وأنا كنت غافلًا عنها .

وسنذكر القواعد الفطريّة الموجودة عند كلّ إنسان ، والّتي تدلّ على وجود الإله الخالق للكون ، ولا يمكن لأيّ إنسان أن ينكر وجود هذه القواعد الفطريّة عنده ، فتوجد قواعد فطريّة مع خلقة كلّ إنسان ، فتكون الفطرة حجّة على كلّ إنسان .

"الفطرة تدلّ على وجود الإله الخالق" ، وهذه العبارة تحتاج إلى شرح ، والشّرح سيأتي بعد ذلك حينما نصل إلى أدلّة وجود الإله ، ونبيّن ما هي الفطرة ، ولا يمكن لأيّ إنسان أن ينكر وجود هذه القواعد الفطريّة عنده ، يكفي هو وفطرته ليصل إلى وجود الإله حتّى

لو لم يوجد أنبياء ، هذه الفطرة تدعوه إلى الإله ، والمسلمون يقولون بأنّ "الفطرة تدلّ على وجود الإله الخالق" ، ولكن لا يشرحون هذه العبارة ، ولكن كم مسلم يمكنه أن يشرح هذه العبارة ؟

ابدأ بسؤال : ما هي الفطرة ؟

قليل جدًّا من المسلمين يستطيعون الجواب على هذا السّؤال ، ويكتفي بها المسلمون كشعار للاحتجاج على الآخرين ، والمسلمون عندهم شعارات كثيرة ، منها الفطرة دالّة على وجود الله ، ولكنّ الشعارات تحتاج إلى شرح ، وبعض الشّعارات الموجودة عند المسلمين يكرّرونها ولا يعرفون معانيها بالتّفصيل .

"كلّ مسلم يدخل إلى الجنة" ، هذا شعار ، يظنّون أنّ الهويّة تكفي لدخول الجنة ، لذلك بعض الدّعاة يذهبون إلى دول أفريقيا ، فيذهبون إلى القرى ، ويقولون في وسائل الإعلام إنّ هذه القرية دخلت إلى الإسلام ، يقف الشّخص ويتشهّد الشّهادتين فصار مسلمًا ، يقال له أنت الآن من أهل الجنّة فافعل ما تشاء ، ثمّ يتركون القرية ولا يتمّ تعليمهم أيّ شيء ، انتهى الأمر صار مسلمًا بالاسم والعنوان ، صار من أهل الجنّة ، كأنّ دخول الجنّة لا يحتاج إلى علم لكي يعرف كيف يدخل إلى الجنّة ، وينشرون الصّور الدّعائيّة ، دخل كذا ألف من الأشخاص إلى الإسلام ، وبعد ذلك ماذا تغيّر من أوضاع المسلمين ، فقط صار عندنا زيادة عدد المسلمين ، كنّا مليار مسلم ، والآن صار مليار وألف ، مليار وألفين ، فقط زيادة عدد ،

فقط النّظر إلى الكمّ دون الكيف ، المسلمون الأصليّون يعيشون التّخلّف ، فزدنا تخلّفًا على التّخلّف ؛ لأنّ نظرهم إلى الكمّ فقط ، نريد أن نجعل العالم كلّه مسلمين ، والإنسان الغربيّ يقول أصير مسلمًا فأعيش التّخلّف مثلكم ، أصير مسلمًا لكي أتحوّل إلى إرهابيّ مثلكم ، فصورة الإسلام الآن صورة مشوّهة ، وصورة المسلم مشوّهة .

الإنسان الغربيّ تراه في القطار يقرأ كتابًا ، وعلى الشّاطئ يقرأ ، وفي الحديقة يقرأ ، وهذه من الإيجابيّات الموجودة في الغرب ، وهذه الإيجابيّة ليست موجودةً عند المسلمين ، في بلداننا تذهب إلى الحديقة ترى أنّ المسلمين يضعون أمامهم الطّعام أو أنهم يلعبون ، لا ترى أحدًا يمسك بيده كتابًا يقرأه ، تذهب إلى المستوصف أو المستشفى ترى التّلفاز أمامك ، كم مرّة في حياتك وأنت في المستوصف أو المستشفى تنتظر دورك ورأيت شخصًا يقرأ ؟! هل رأيت شخصًا طوال حياتك يقرأ كتابًا على الشّاطئ أو في الحديقة أو في الباص أو القطار أو الطّائرة أو أيّ مكان آخر ؟!

لا ترى هذه الظّاهرة عند المسلمين ، ولكنّك تراها في الغرب ، في الغرب يطبعون الكتاب بملايين النّسخ ، والمؤلّف يصير مليونيرًا ، وفي بلدان المسلمين تطبع الكتاب ألف نسخة وتوزّعه مجّانًا ولا أحد يأخذ الكتاب إلّا القليل ، والمؤلّف يصير مديونيرًا ، يقترض مبلغًا ليطبع كتابه ويوزّعه مجّانا ، وتظلّ نسخ الكتاب خمس سنوات إلى أن تنفد الكمّيّة ، المسلمون لا يقرأون ، أمّة اقرأ لا تقرأ ، وأوّل آية في القرآن

الكريم نزلت فيها كلمة "**اقْرَأْ**" [1] ، إذا كان الإنسان لا يقرأ كتابًا ولا يستمع إلى المحاضرات فلا يكتسب أيّ علم ، وبالتّالي لا يعرف الله ولا يعرف الإسلام ولا يعرف النّبيّ ولا يعرف الإمام ولا يعرف المعاد ، حياته ستكون مثل حياة الإنسان الملحد ، نعم يأتي ببعض الشّعائر ، يصلّي صلاة ظاهريّة لا قيمة لها عند الله ، يصوم صيامًا ظاهريًّا لا قيمة له عند الله ، فقط جوع وعطش في شهر رمضان ، ونحن في بلدنا لا جوع ولا عطش ، فيأتون بظاهر العبادات ، يصلّي ويؤذي جاره ، يصلّي ويسيء معاملة زوجته ، والزّوجة تصلّي وتسيء معاملة زوجها ، لا يعرف كيف يربّي أولاده ، لم يأخذ من الدّين شيئًا إلّا العنوان والشّعار "أنا مسلم" ، ويعيش حياته كحياة الملحدين ، من أوّل ما يستيقظ من الصّباح إلى اللّيل كلّ تفكيره تفكير دنيويّ ، لا يفكر بهذا الدّين ، ولا يفكّر بالآخرة .

الرّجوع إلى الموضوع :

إذا أنكر الطّرف الآخر وجود الفطرة ، وقال أنا لا أعترف بوجود الفطرة ، ولا أعتقد بوجود القواعد الفطريّة في الإنسان ، فأنا إنسان بدون الفطرة الّتي تقولون بها أيّها المسلمون ، أنت تقول توجد فطرة ، وأنا أقول لا توجد فطرة ، فإذا كان لا يعترف بوجود الفطرة نسأل : إذن السّلوك والعمل على ماذا يُبْنَى ؟ هل تكون أعماله مبنيّةً على أساس وجود الإله أو على أساس عدم وجود الإله ؟

---

[1] العلق : ١ .

الإنسان يرى هذا الكون والعالم المحيط به ، فيبحث عن تفسير لوجود هذا الكون ، فيسأل : من الّذي أوجد الكون ؟

وهذا سؤال فطريّ طبيعيّ عند كلّ إنسان ، ولكن لو لم يعترف بالفطرة ، فعقله يسأل ، وهناك فرق بين الفطرة والعقل ، فالعقل يسأل : من أوجد الكون ؟ هل العقل يكون مع فرضيّة وجود الإله أو مع فرضيّة عدم وجود الإله ؟ هل هناك قواعد عقليّة تقول بوجود الإله أو تقول بعدم وجود الإله ؟

وهذا سنأخذه بالتّفصيل حينما نأتي إلى الاستدلال العقليّ على وجود الإله ، ويوجد نوعان من الاستدلال : الاستدلال الفطريّ ، والاستدلال العقليّ ، وهذان استدلالان لا استدلال واحد ، فيوجد نوعان من الأدلّة : الأدلّة الفطريّة والأدلّة العقليّة ، والفطرة تختلف عن العقل ، ولا بد أن نبيّن فيما بعد : ما هي الفطرة ؟ وما هو العقل ؟ وما هو الدّليل الفطريّ ؟ وما هو الدّليل العقليّ ؟

إذن :

عقل الإنسان يسأل ، ولا بدّ أن يقرّر الإنسان أنّه يوجد إله أو لا يوجد إله ، وبناءً على قراره يحدّد سلوكه وأعماله ، يعمل بناءً على أساس وجود الإله أو على أساس عدم وجود الإله ؛ لأنّ هناك لوازم تنشأ من الاعتقاد بوجود الإله ، ولوازم تنشأ من الاعتقاد بعدم وجود الإله ، فهناك دين مبنيّ على وجود الإله ، ودين آخر مبنيّ على عدم وجود الإله .

يقول الله تعالى في كتابه الكريم مخاطبًا النّبيّ صلّى الله عليه وآله :

"قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ" [1] .

الإنسان الّذي لا يعتقد بوجود إله عنده دين أيضًا ؛ لأنّ الدّين عبارة عن مجموعة من الاعتقادات الّتي تترتّب عليها مجموعة من الأعمال ، وكلّ إنسان عنده دين ، حتّى الذي يرفض الأديان ، دينه هو اللّادين ، فعنده دين ، لأنّ عنده مجموعة من الاعتقادات ، وبناءً على هذه الاعتقادات عنده سلوك معيّن وأعمال معيّنة ، فمن يعتقد بوجود الإله يقوم بأعمال معيّنة ، ومن لا يعتقد بوجود الإله يقوم بأعمال أخرى ، مثلًا هذا يصلّي ، وذاك لا يصلّي ، وهذا الدّين المبنيّ على وجود الإله يقول بمبادئ معيّنة ، والدين الّذي يقوم على عدم وجود الإله يقول بمبادئ أخرى ، وكلّ شخص عنده مبادئ معيّنة مبنيّة على أساس وجود الإله أو على أساس عدم وجود الإله .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

---

[1] الكافرون : ١-٦ .

عالميّة الإسلام

(٤٤)

الملحدون اللّاأدريّون [١]

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

كثير من الملحدين في واقعهم لاأدريّون :

إنّ كثيرا من الّذين يدّعون الإلحاد هم في الواقع من الشكّاكين واللّاأدريّين ، فهم لا يوجد عندهم من ناحية نظريّة دليل على عدم وجود الإله ، ولكنّهم من ناحية عمليّة يعملون على أساس عدم وجود الإله .

إذن :

نفرّق بين النّاحية النّظريّة والنّاحية العمليّة ، فمن ناحية نظريّة لا يمكن إثبات عدم وجود الإله ، ولكن مع ذلك من ناحية عمليّة هم يلتزمون ويعملون على أساس أنّه لا يوجد إله خالق للكون .

---

[١] أُلْقِيَتْ هذه المحاضرة في الدّيوانيّة الأسبوعيّة في منطقة بيان ، الجمعة ٧ رجب ١٤٤٠ هـ ، الموافق ٢٠١٩/٣/١٥ م .

إنّ الإنسان لا بدّ أن يكون سلوكه متناسبًا مع نظريّاته واعتقاداته ، وهذا أمر مهمّ ، فإذا كنت تعتقد بشيء من ناحية نظريّة فلا بدّ أن ترتّب الأثر العمليّ على هذا الاعتقاد النّظريّ ، والعمل إذا لم يكن متناسبًا مع الاعتقاد فهذا الإنسان لا يكون صادقًا ، فالصّدق هو تطابق العمل مع الاعتقاد النّظريّ ، والإنسان الّذي يعمل بخلاف ما يعتقد لا يكون إنسانًا صادقًا .

إنّ هذا الّذي يدّعي الإلحاد هو في واقعه لاأدريّ أو شكّاك ، لا يدري أنّه يوجد إله خالق للكون أو لا يوجد ، أو يحتمل ٥٠% وجود الخالق و٥٠% عدم وجود الخالق ، هذا من ناحية نظريّة ، ولكن في أعماله هو يعمل على أساس أنّه ملحد بالإله ولا يعتقد بوجود الإله ، فهو من ناحية نظريّة لاأدريّ أو شكّاك ، ولكنّه من ناحية عمليّة هو ملحد .

إذن في الواقع هو ليس ملحدًا ، ويستحيل لأيّ أحد أن يثبت عدم وجود الإله ، بمعنى أنّه يوجد عنده دليل على عدم وجود الإله ، ومن يقول بعدم وجود الإله لا بدّ أن يقيم الدّليل ، وليس المطلوب إقامة الدّليل من المؤمن المعتقد بوجود الإله فقط .

إنّ من لا يتوافق سلوكه مع اعتقاده يسمى بحسب المصطلح القرآنيّ "المنافق" ؛ لأنّه يظهر خلاف ما يعتقد ، ونحن نستفيد أيضًا من هذا الموضوع ، فالإنسان الّذي يعتقد بوجود الإله يقول بأنّه مسلم ، فلا بدّ أن يلتزم بكلّ ما يقوله الإسلام ، وإذا كان لا يعمل

على أساس الإسلام فهو في الواقع غير مسلم أي لا يعتقد ، نعم اعتقاده نظريّ ، ولكنّه لا يرتّب الأثر العمليّ على اعتقاده .

يقول القرآن الكريم :

"وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ" [١] .

الآية تقول هو مؤمن ، ولكنّه في نفس الوقت هو مشرك ؛ لأنّه من ناحية نظريّة يعتقد بالله ، ولكنّه من ناحية عمليّة لا يرتّب أثر الاعتقاد ، فهو يطيع الشّيطان ، فيكون مشركًا بالله .

وفي الرّواية أنّ الشّرك في هذه الآية الكريمة شرك طاعة لا شرك عبادة .

عن أبي جعفر (أي الباقر) عليه السّلام في قول الله تبارك وتعالى : **"وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ"** ، قال : شرك طاعة ، ليس شرك عبادة ، والمعاصي الّتي يرتكبون فهي شرك طاعة ، أطاعوا فيها الشّيطان فأشركوا بالله في الطّاعة لغيره ، وليس بإشراك عبادة أن يعبدوا غير الله [٢] .

هو يعبد الله تعالى ويعتقد به ، ولكنّه من ناحية عمليّة يطيع الشّيطان ، فيعصي الله عزّ وجلّ .

إذن :

من المهمّ لنا أنّ الإنسان إذا قال "أنا مسلم" فلا بدّ أن يلتزم بجميع

---

[١] يوسف : ١٠٦ .

[٢] بحار الأنوار ج٦٩ ص٩٤ ح٥ .

مبادئ الإسلام لكي يتوافق سلوكه مع اعتقاداته ، ويكون كلامه صادقًا ؛ لأنّ عمله يتناسب مع عقيدته .

مثلًا مسلم ولا يصلّي ، وهذا أبسط مثال ، كيف يقول بأنّه مسلم وهو يعتقد بوجوب الصّلاة ، ولكن مع ذلك لا يصلّي ، وهذا من باب المثال ، وقس على ذلك أيّ مثال آخر .

ومن الضّروري لكلّ إنسان أنّه إذا كان يعتقد بشيء أن يرتّب الآثار على اعتقاده بهذا الشّيء ، وخاصّة الإنسان الّذي يقول بأنّه مسلم ، فلا بدّ أن يرتّب الآثار على اعتقاده بالله تعالى .

نساء مسلمات ، ولكن سافرات واضعات للمساحيق على وجوههنّ ، وتقول بأنّها تختم القرآن في شهر رمضان ، وتحمل القرآن معها في حقيبتها ، ولكن مع ذلك لا تلتزم بالحجاب الشّرعيّ .

إنّ الإنسان المسلم إذا كان يعتقد بالله والنّبي والمعاد فلا بدّ أن يرتّب الآثار العمليّة على اعتقاداته ، وإذا أراد أن يرتّب الآثار العمليّة فلا بدّ أن يعرف ويعلم ، لا بدّ أن يطلب العلم لكي يطّلع على أحكام الدّين من الأحكام العقائديّة والأحكام الأخلاقيّة والأحكام العمليّة ، فإذا كان يقول "أنا مسلم" ولا يعرف أحكام الدّين فهو جاهل بالأحكام ، ومن الطّبيعي أنّ الأعمال الّتي يأتي بها لا تكون مترتّبة على هذه الاعتقادات الّتي يدّعي بها ، تقول "أنا مسلم" ، فلا بدّ أن تطلب العلم ، ولا بد أن تعرف ، وأوّل الدين معرفة الله ، فأوّل انطلاقة للإنسان المسلم أن يعرف الله ، وتعرف الله من خلال صفاته

لأنّ ذات الله لا تُعْرَفُ ، وثانيًا تعرف ماذا يريد منك الله ، أي تعرف تكاليفك ، فما هي التّكاليف عليك ، لا بدّ أن تعرفها ، وإذا كان لا يعرف تكاليفه فسيتخبّط في أعماله ، فمرّة يكون مسلمًا ، ومرّة يكون ملحدًا ، ومرّة يكون مشركًا ، ومرّة يكون منافقًا ، فلا بدّ أن يعرف الإنسان المسلم تكاليفه في زماننا ، وما دام أنّنا في عصر الغيبة الكبرى فلا بدّ أن يعرف المؤمن تكاليفه في عصر الغيبة .

قد نتحدّث كثيرًا عن الأنصار وعلامات الظّهور ، ولكن مع ذلك لا نعرف تكاليفنا ، توجد خطب كثيرة عن علامات الظّهور ، وكلّ شخص يتكلّم عن علامات الظّهور ، ولكن قبل الحديث عن العلامات لا بدّ أن نعرف تكاليفنا ، فما هي تكاليف المؤمن في عصر الغيبة ؟

وهذا هو المهمّ ، نتحدّث كثيرًا عن الأنصار ، ولكن لا نعرف كيف نكون من الأنصار ، لا يكون كلامنا عن الملحدين فقط ، لا بدّ أن يكون كلامنا أيضا عن المسلمين ، وخاصّة أنّنا ندّعي أنّنا من أتباع أهل البيت عليهم السّلام ، فالمسئوليّة علينا مسئوليّة إضافيّة أكثر من غيرنا من المسلمين .

إذن :

كثير من الملحدين هم في الواقع لاأدريّون أو شكّاكون ، ورأس الإلحاد في زماننا هو السّيّد ريتشارد دوكنز ، لنرى أنّ هذا الإنسان الّذي هو رأس الإلحاد هل هو في الواقع ملحد أو لاأدريّ ؟

في كتابه "العلم ووجود الله – هل قَتَلَ العِلْمُ الإيمانَ بوجودِ الله؟" God's Undertaker: Has Science Buried God? ينقل جون لينوكس John Lennox عبارة عن ريتشارد دوكنز Richard Dawkins زميل الجمعيّة الملكيّة البريطانيّة أنّه قال : عندما يقول لك أيّ شخص عن شيء ما إنّه حقّ أَقْتَرِحُ أن تقول له : ما الدّليل على ذلك ؟

وإن عجز عن تقديم إجابة شافية فأرجو أن تفكّر مليًّا قبل أن تصدّق كلمةً واحدةً ممّا يقول [١] .

وفي محاضراتنا نقول دائمًا اسأل عن الدّليل في أيّ موضوع من المواضيع ، وإذا قال أحد شيئًا فاسأله ما هو دليلك ؟

وإذا لا يوجد عنده دليل فلا تأخذ بكلامه .

نسأل دوكنز : هل التزم بما قال عندما صار ملحدًا وتبنّى عدم وجود الإله ؟

نسأله : ما هو الدّليل على عدم وجود الإله ؟

فإذا لم يقدّم دليلًا على ذلك فإنّنا نفكّر مليًّا قبل أن نصدّق كلمةً واحدةً ممّا يقول .

إنّ كلّ قول يحتاج إلى دليل ، فهل يقدّم لنا دوكنز الدّليل على عدم وجود الإله أو لا ؟

---

[١] جون لينوكس John Lennox في كتابه العلم ووجود الله – هل قَتَلَ العِلْمُ الإيمانَ بوجودِ الله؟ God's Undertaker: Has Science Buried God? ، ص٢٥ .

يقول ريتشارد دوكنز Richard Dawkins في كتابه "حوارات سيدني" Sydney Debates تحت عنوان "الإلحاد واللّاأدريّة" :

سيّد من الجمهور : سؤالي إلى ريتشارد دوكنز في مقابلات سابقة لك سبق أن قلت إنّك غير قادر على أن تثبت عدم وجود الله (الإله) ، وأنّك تعدّ نفسك لاأدريًّا أكثر ممّا تعدّ نفسك ملحدًا ، فلماذا تُظْهِرُ نفسك وكأنّك بطل حركة الإلحاد حول العالم ؟ ولماذا توافق على الظّهور في عروض تلفزيونيّة تَظْهَرُ فيها وكأنّك مجالِد بروتستانتيّ من أجل قضيّتك الّتي هي الإلحاد ؟ أليس هذا مُلْمِحًا فيه اللّاعلميّة والنّفاق الشّيء الكثير ؟

د. ريتشارد دوكنز : . . . لكنّكم لن تجدوا أيّ عالم من أيّ اتّجاه عقليّ يمكن له أن يبرهن لكم على عدم وجود أيّ شيء ، ليس باستطاعتي أن أثبت لكم عدم وجود إله [١] .

إذن :

سؤال من الجمهور أنّك بطل الإلحاد ، ولكنّك سابقًا كنت تقول إنّك لاأدريّ ، فيردّ عليه دوكنز أنّه لا يمكن أن يبرهن على عدم وجود أيّ شيء لا فقط الإله ، إذا قلت إنّ هذا الشّيء لا يوجد ، فنقول لك اثبت عدم وجوده ، ولكن لا يمكنك إثبات عدم وجود هذا الشّيء ، ففي نظر دوكنز أنّه لا يمكن إقامة البرهان والدّليل على عدم

---

[١] ريتشارد دوكنز Richard Dawkins في كتابه Sydney Debates حوارات سيدني ، ص٢٧ .

وجود الإله ، وهو رأس الملحدين في العالم ، فرأس الإلحاد لا يمكنه أن يثبت الإلحاد ، والعجيب أنّ المسلمين الّذين يلحدون يقولون وبقوّة عدم وجود الإله ، وبعض المسلمين الّذين ألحدوا عندهم فيديوات على اليوتيوب ويصرّون على أنّه لا يوجد إله ، مع أنّه لا يوجد عندهم أيّ دليل على النّفي ، ورأس الإلحاد لم يستطع أن يثبت عدم وجود الإله ، فكيف يمكن لهم أن يثبتوا ذلك ؟

هم يكرّرون عبارات الملحدين الغربيّين بلا تعقّل ولا تفكّر ، ويحاولون أن يثبتوا عدم وجود الإله ، وتراه يصير ملكيًّا أكثر من الملك نفسه ، ويبدأ الطّعن في الإسلام أكثر من الملحدين الغربيّين ، ورأس الإلحاد دوكنز قد يتكلّم أحيانًا عن الإسلام ، ولكن ليس مثل المسلمين الّذين يصيرون ملحدين ، فكأنّ عندهم الدّليل على عدم وجود الإله ، ولكن لا يمكنهم إقامة الدّليل على عدم وجود الإله كما صرّح به دوكنز .

في كتاب أقوى براهين د. جون لينوكس في تفنيد مغالطات منكري الدّين : كان ريتشارد دوكنز يكتب على لوحات الإعلان : قَدْ لا يكون الإله موجودًا ، فَتَوَقَّفْ عن القلق الآن واستمتع بالحياة .

وأعتقد حاليًّا أنّ إضافة كلمة "قَدْ" ربّما كان بدوافع قانونيّة لتجنّب الملاحقة القضائيّة وفق قوانين الأوصاف التّجارية ؛ لأنّ الملحدين يدركون أنّه لا يمكن لهم أن يجمعوا ما يكفي من الأدلّة لإقناع محكمةٍ بأنّ احتمال وجود الإله معدوم ، فإن لم يكن الاحتمال صفرًا فإنّ

وجود الله (الإله) من الممكنات [١] .

إذا قرأ أحد شيئًا مكتوبًا على الباص يمكنه أن يرفع قضيّة عليه ، وفي المحكمة يسألونه : ما هو دليلك على عدم وجود الإله ؟

ولا يمكنه إثبات ذلك في المحكمة ، لذلك إذا حاكموه يقول أنا كتبت قد لا يكون الإله موجودًا ، أنا استعملت كلمة "قَدْ" ، وهذه الكلمة تدلّ على الاحتمال لا على اليقين ، أي احتمال أنّ الإله غير موجود ، وترون أنّ هذا الملحد صادق في كلامه ، ما يعتقده يقوله ، وبعد ذلك سيتبيّن أنّه في واقعه لاأدريّ ، ولكنّه من ناحية عمليّة يتعامل كأنّ الإله غير موجود ، ونرى أنّهم صريحون فيما يعتقدون ، وهذا جانب إيجابيّ حتّى لو كان ملحدًا ، ما يعتقده يقوله ، ولكن في بلدان المسلمين ليس كلّ ما تعتقده يمكن لك أن تصرّح به ، لا يمكن لك أن تقول كلّ شيء تعتقده ، ولا تستطيع أن تصرّح بكلّ شيء ، وقلنا هناك بعض الإيجابيّات الّتي يمكن أن نستفيدها من الغرب ، والإيجابيّات الموجودة عندهم نفتقدها في بلداننا ، فهو لا يصرّ على أنّه يوجد عنده دليل على عدم وجود الإله ، ولا شغل لكم بي ، يطرح ما يعتقد بصدق .

يقول ريتشارد دوكنز في كتابه "وهم الإله" The God Delusion : الاحتمالات في وجود الإله وعدم وجوده سبعة احتمالات : ١- أن

---

[١] أقوى براهين د. جون لينوكس في تفنيد مغالطات منكري الدّين ، جمعه وعلّق عليه م. أحمد حسن ، ص٢٦ .

يكون الإله موجودًا ١٠٠% ، ٢- أن لا يكون الإله موجودًا ١٠٠% ، . . . ٦- احتمال ضعيف جدًّا ، ولكن أكثر من الصّفر . . . لست متأكّدًا من عدم وجود الله (الإله) ، ولكن اعتقادي بأنّ الاحتمال ضعيف جدًّا ، وأعيش حياتي بفرض أنّه غير موجود [١] .

دوكنز لا يوجد عنده يقين بعدم وجود الإله ، ولكن من ناحية عمليّة هو يعمل على أساس أنّ الإله غير موجود ، مع أنّه من ناحية نظريّة لا يوجد عنده دليل على عدم وجود الإله ، وصراحته أمر جيّد ، هو صادق في كلامه ، ولكن لو أنّ أحد المسلمين يلحد لا توجد عنده هذه الصّراحة ، بل يصرّ على عدم وجود الإله ، ويدّعي أنّه ثبت عنده بالدّليل عدم وجود الإله ، وأنّ عنده اليقين بعدم وجود الإله .

ونسأل دوكنز : إذا كان يوجد احتمال ولو ضعيف بأنّه يوجد إله فيوجد احتمال أنّه توجد آخرة وحساب وجنّة ونار ، هل هذا الاحتمال يُعْطَى قيمة أو لا يُعْطَى قيمة ؟

نعم يُعْطَى قيمة لأنّه تترتّب عليه آثار كبيرة وخسارة في الآخرة ودخول النّار ، وإذا كان يُعْطَى لهذا الاحتمال قيمة فكيف يمكن للإنسان التّوقّف عن القلق والاستمتاع بالحياة ؟!

احتمال أنّه يوجد عقاب وجنّة ونار فلا يمكن التّغاضي عن هذا الاحتمال .

---

[١] وهم الإله The God Delusion ص٥٢ .

في كتاب أقوى براهين د. جون لينوكس في تفنيد مغالطات منكري الدّين يقول : قد لا يعرف أكثر الّذين يتّبعون ريتشارد دوكنز أنّ الرّجل نفسه لا يملك نفيًا قاطعًا لوجود الخالق . . . عام ٢٠٠٨ عندما طلب منه بن شتاين Ben Stein أن يضع نسبة احتماليّة لعدم وجود الله (الإله) فقال إنّه غير مرتاح لوضع نسبة ، ثمّ قال إنّها ٩٩% [١] ، ثمّ لمّا سأله شتاين مرّة أخرى كيف تحدّد هذه النّسبة مثلًا وليس ٩٧% ، فعاد دوكنز محاولًا التّستّر بأنّها احتماليّة ضعيفة جدًّا إلى القول بأنّها تتخطّى ٥٠% بكثير [٢] [٣] .

إذن :

تبيّن أنّ رأس الإلحاد دوكنز ليس ملحدًا ، وإنّما هو لاأدريّ ، فاحتمال عدم وجود الإله يكون مثلًا ٩٠% ، فيكون احتمال وجوده ١٠% ، وبعض الاحتمالات حتّى لو كانت ضعيفة فإنّ الإنسان يرتّب الأثر عليها ويعمل على أساسها لأنّه يهتمّ بالمُحْتَمَل .

---

[١] دوكنز ترك نسبة ١% لاحتمال وجود الإله ، وهذا يعني أنّه ليس على يقين بعدم وجود الإله .

[٢] نزلت النّسبة ، فمن الممكن أن تكون نسبة عدم وجود الإله ٧٠% أو ٨٠% أو ٩٠% ، وفي المقابل يوجد احتمال وجود الإله ٣٠% أو ٢٠% أو ١٠% .

[٣] أقوى براهين د. جون لينوكس في تفنيد مغالطات منكري الدّين ص٢٧ في الهامش .

ويمكن أن يقال بأنّ من أقوى الأدلّة على وجود الإله هو احتمال وجوده ، فنفس احتمال وجود الإله يكفي لأن نعتقد بوجوده ، ونرتّب الأثر على هذا الاحتمال حتّى ندفع عن أنفسنا الضّرر فيما لو تبيّن وجود إله واقعًا ووجود الجنّة والنّار والحساب والعقاب ، وإذا احتمل الإنسان الضّرر فإنّه يحاول أن يدفع الضّرر عن نفسه .

مثلًا لو كان يوجد باب مغلق وقيل لك بأنّ خلف هذا الباب يوجد أسد ، قطعًا أنت لن تخرج من هذا الباب حتّى لو كان احتمال وجود الأسد احتمالًا ضعيفًا مثل ١% ؛ لأنّ النّظر يكون إلى المُحْتَمَل وهو وجود الأسد بسبب أهمّيّة المُحْتَمَل ، ولا يكون النّظر إلى الاحتمال الذي هو بنسبة ١% .

ولو قلنا اترك باب البيت مفتوحًا في اللّيل في منطقة آمنة ، واحتمال دخول لصّ في بيتك احتمال ضعيف مثل ١% ، هل تغلق الباب أو لا تغلقه ؟

نعم تغلق الباب مع أنّ الاحتمال ضعيف ، فليس دائمًا الاحتمالات الضّعيفة لا ترتّب الأثر عليها ، فالإنسان يرتّب الأثر على الاحتمال الضّعيف بسبب أهمّيّة المُحْتَمَل وهو دخول اللّصّ إلى البيت .

وإذا قلنا إنّه يوجد احتمال ضعيف لوجود الجنّة والنار وأنّ الإنسان يخلد في الجنّة أو يخلد في النّار فهل يأخذ الإنسان هذا الاحتمال بعين الاعتبار أو لا يأخذ ؟

نعم يأخذ هذا الاحتمال الضّعيف بعين الاعتبار بسبب أهمّيّة المُحْتَمَل .

إذن بعض الاحتمالات الضّعيفة إذا كانت تسبّب أضرارًا فالإنسان يهتمّ بهذا الاحتمال الضّعيف لا بسبب نفس الاحتمال ، وإنّما بسبب أهمّيّة المُحْتَمَل .

وإذا قلنا بأنّ احتمال وجود الإله ١% فالإنسان يرتّب الآثار لأنّه توجد آثار مهمّة مترتّبة على هذا الاحتمال الضعيف .

إذن بعض الاحتمالات الضّعيفة الإنسان يأخذ بها ، نعم بعض الاحتمالات الضّعيفة لا يهتمّ بها الإنسان ويتركها بسبب عدم وجود الضّرر ، ولكن إذا كان يوجد ضرر مترتّب على الاحتمال الضّعيف فالإنسان يهتمّ بهذا الاحتمال وإن كان ضعيفًا .

وانظر إلى حياتك فإنّك ترى أنّ بعض الاحتمالات الضّعيفة أنت تهتمّ بها وترتّب الآثار عليها .

أقسام اللّاأدريّين :

توصّلنا إلى أنّ رأس الإلحاد ريتشارد دوكنز ليس ملحدًا ، بل هو لاأدريّ ، ولنأتِ الآن إلى أقسام اللّاأدريّين لنرى أنّ دوكنز من أيّ الأقسام ، إن اللّاأدريّين على قسمين : لاأدريّ مؤقّت ، ولاأدريّ دائم .

واللّاأدريّ المؤقّت هو من عنده احتمال وجود الإله واحتمال عدم وجود الإله ، ممكن أنّ الإله موجود ، وممكن أنّ الإله غير موجود ،

فيحتمل الطرفين ، وأدلّة إثبات وجود الإله وأدلّة نفي وجود الإله متساوية عنده ، ولا يرجّح إحداها على الأخرى ، ولكنّه في حالة انتظار ، فينتظر مجيء دليل قويّ على الإثبات لكي يؤمن بوجود الإله ، أو مجيء دليل قويّ على النّفي فينفي وجود الإله ، وهذا هو اللّاأدريّ المؤقّت الذي يكون في حالة انتظار لمجيء الدّليل ، ولا يرجّح دليلًا على دليل ، ولكنّه ينتظر لعلّ أحدًا يأتي بدليل قويّ على وجود الإله أو على نفي وجود الإله .

وأمّا اللّاأدريّ الدّائم فهو الّذي يقطع بأنّه لا يوجد مجال لأيّ دليل لا على الإثبات ولا على النّفي ، فهو قاطع بأنّه لا يوجد أيّ دليل لا على وجود الإله ولا على نفي وجود الإله ، فاحتمال الوجود متساوٍ مع احتمال عدم الوجود ، ولا ينتظر دليلًا لترجيح أحد الطّرفين .

فنسأل :

ريتشارد دوكنز من أيّ قسمي اللّاأدريّ ؟

الجواب :

يقول ريتشارد دوكنز : سأبدأ بمناقشة نوعين من اللّاأدريّة : لاأدريّة مؤقّتة عمليًّا ، وهي الجلوس على السّياج بانتظار أدلّة ، وهي موقف صحيح من المسائل الّتي لها جواب محدّد . . . ، ولكن هنا نوع آخر من الجلوس على السّياج ، وهي لاأدريّة مبدئيّة دائمة [1] .

قال عن اللّاأدريّة المؤقّتة : "وهي موقف صحيح" ، فيكون دوكنز

---

[1] وهم الإله ص٤٩ .

من اللّاأدريّة المؤقّتة لأنّه ينتظر الدّليل ، فهو ليس ملحدًا ، وليس هو رأس الإلحاد في زماننا ، بل هو رأس اللّاأدريّة المؤقّتة الّذي ينتظر دليلًا قويًّا على وجود الإله أو على عدم وجود الإله .

إن أدلّة وجود الإله عند دوكنز ضعيفة ، ولكن هذه الأدلّة عند غيره قويّة ، فمسألة وجود الإله وعدم وجود الإله تعتبر من المسائل النّظريّة ، والمسائل النّظريّة تحتاج إلى أدلّة إمّا للإثبات وإمّا للنّفي ، ويقع فيها الاختلاف في الآراء ووجهات النّظر .

يقول دوكنز : وبعكس هكسلي Huxley سأقترح بأنّ وجود الإله هو نظريّة علميّة كغيرها [١] ، بالرّغم من أنّه من الصّعب تجربتها عمليًّا ، لكنّها تدخل ضمن اللّاأدريّة المؤقّتة [٢] .

يستحيل أن تجري التّجربة على الإله لكي تثبت وجوده أو عدم وجوده ؛ لأنّ التّجربة تجرى على الأشياء المادّيّة ، وأمّا الأشياء غير الماديّة فيستحيل أن تدخلها إلى المختبر وتجري التّجارب عليها ، والإله شيء غير مادّيّ فيستحيل إدخاله إلى المختبر وإجراء التّجارب عليه ، ويقولون ما دام أنّ الإله لا يمكن إجراء التّجارب عليه فالنّتيجة أن الإله غير موجود ، نقول لا ، فالمختبر يكون في دائرة الأمور المادّيّة ، وأمّا الأمور غير المادّيّة فلا يمكن إدخالها في المختبر ، والإله موجود غير مادّيّ ، فيستحيل إجراء التّجارب عليه .

---

[١] أي كغيرها من النّظريّات العلميّة .

[٢] وهم الإله ص٥٢ .

إذن :

دوكنز من اللّاأدريّة المؤقّتة ، وهو ينتظر الدّليل لإثبات وجود الإله أو لإثبات عدم وجود الإله .

تنظيم السّلوك على أساس الاعتقادات :

إنّ مُقْتَضَى القاعدة الإنسانيّة والعقليّة والعرفيّة العقلائيّة أنّ الإنسان ينظم سلوكه الفرديّ والاجتماعيّ على أساس اعتقاداته ، فإذا آمن بوجود الله والنّبيّ والآخرة فلا بدّ أن يرتّب الآثار العمليّة على هذا الاعتقاد ، والإنسان الّذي لا يرتّب الآثار على اعتقاداته فهو ليس أمينًا ولا صادقًا مع اعتقاده ، ويكون مخالفًا لاعتقاده لأنّه يعمل على خلاف ما يعتقد ، وفي واقعه إمّا أن يكون منافقًا وإمّا أن يكون مشركًا ، ولكنّنا نتعامل مع جميع النّاس على أساس ظواهرهم لأنّنا غير مطّلعين على البواطن والنّيّات .

مثلًا المسلم نتعامل على ظاهره ما دام أنّه يقول بأنّه مسلم وقد تشهّد الشّهادتين ، فهو مسلم ، نعم ظاهريًّا نتعامل على أساس ظاهره حتّى لو كان واقعه منافقًا أو مشركًا ، والله هو الّذي يعلم بواقعه ، ويوم القيامة يحشر على أساس واقعه وباطنه ، فيحشر منافقًا أو مشركًا ، والحساب يكون على واقع الإنسان لا على هويّته ولا على ما يدّعي ، لذلك على الإنسان أن يكون حريصًا على واقعه وحقيقته ، وواقع الإنسان المسلم أنّه يسلّم بجميع أوامر الله ، وهذا هو الإنسان المسلم الواقعيّ الحقيقيّ ، ومن ناحية ظاهريّة فالمسلم هو من

سلم النّاس من لسانه ويده كما في رواية ، وتوجد أمور قلبيّة تُظْهِرُ أنّه مسلم حقيقيّ ، وتترتّب الآثار العمليّة على اعتقاداته ، والله وحده يعلم بقلب وباطن كلّ إنسان .

عن سليمان بن خالد قال : قال أبو جعفر عليه السّلام : يا سليمان ، أتدري من المسلم ؟ قلت : جعلت فداك ، أنت أعلم . قال : المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده . . . [1] .

الرّجوع إلى الموضوع :

وصلنا إلى أنّ دوكنز لاأدريّ مؤقّت وليس ملحدًا ، ولا بدّ أن يكون سلوكه متناسبًا مع اعتقاده باللّاأدريّة المؤقّتة ، ولا بدّ أن يستمرّ في البحث عن أدلّة الإثبات وأدلّة النّفي لكي يصل إلى دليل قاطع ، ولا يتوقّف عن البحث أبدًا لأنّه قد يصل إلى دليل قويّ يثبت وجود الإله ، ولكن أقواله وتصريحاته لا تتناسب مع اعتقاده بأنّه لاأدريّ مؤقّت .

يقول دوكنز في كتابه وهم الإله : وأعيش حياتي بفرض أنّه غير موجود [2] .

دوكنز من ناحية نظريّة لا يوجد عنده دليل على عدم وجود الإله ، ولكنّه يعيش حياته على فرض أنّ الإله غير موجود ، فأعماله وسلوكه لا تتناسب مع اعتقاده باللّاأدريّة المؤقّتة ، وهو لا بدّ أن يأتي

---

[1] الكافي ج٢ ص٢٣٣-٢٣٤ ح١٢ .

[2] وهم الإله ص٥٢ .

بالأعمال الّتي تتناسب مع كونه لاأدريًّا مؤقّتًا لا على فرض أنّ الإله غير موجود .

ويقول في كتابه حوارات سيدني : فأنا أعيش حياتي كما لو لم يكن هناك إله [1] .

دوكنز من ناحية عمليّة يتعامل ويعمل على أساس الإلحاد ، ولكن من ناحية نظريّة هو لاأدريّ مؤقّت ، وهذا ما يتبيّن من كلماته وتصريحاته ، ولا بدّ أنّ السلوك العملي للإنسان يتناسب مع اعتقاداته النّظريّة ، سواء كان مسلمًا أم غير مسلم ، فالإنسان البوذيّ لا بدّ أن تكون أعماله متوافقةً مع اعتقاداته ، وكذلك المسلم نفس الشّيء ، لذلك لا بدّ أن يراجع كلّ شخص نفسه .

يقول : "أنا مسلم" ، فمعنى ذلك أنّه توجد عنده اعتقادات معيّنة ، ولا بدّ أن يرتّب الآثار العمليّة على هذه الاعتقادات ، فإذا وُجِدَ مسلم يكذب ، ومسلم يسرق ، ومسلم يختلس الأموال ، ومسلم يقتل ، ومسلم يذبح ، ومسلم إرهابي – فكلّ هذه الأمور لا تتناسب مع العقائد الّتي يريدها الله ، ودور المسلم أن يرجع إلى القرآن أوّلًا ؛ لكي يحدّد صفات المسلم وصفات المؤمن في القرآن ، ويتدبّر في آيات القرآن لكي يستخرج صفات المسلمين وصفات المؤمنين ، وبعد ذلك يلتزم بهذه الصّفات ، ويرجع إلى الرّوايات الّتي تبيّن مئات بل آلاف الصّفات للإنسان المسلم ، وهذه الآيات والرّوايات لا بدّ أن يراجعها

---

[1] حوارات سيدني ص٢٧ .

لكي يطبّق الإسلام ، فيحتاج إلى العلم لأجل العمل ، وأمّا مجرّد أنّه يقول : "أنا مسلم" ، ولا يتعلّم دينه ، فلا يمكنه أن يرتّب الآثار العمليّة ؛ لأنّ الآثار العمليّة تترتّب على علم الإنسان بالعقائد الّتي يريدها الله ، فإذا لم يوجد عنده علم فهو تارةً يتكامل وتارةً يتسافل ، مرّةً يقوم بعمل واجب ومرّةً يقوم بعمل محرّم ، فالمطلوب من الإنسان تكاليف معيّنة ، وهذه التّكاليف المعيّنة لا بدّ أن يعلم بها لكي يعمل بها ، فدور الإنسان هو طلب العلم ، وأنت كإنسان مسلم أمامك "طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة " .

يجب أن تطلب العلم ، ونحن نطرح قضايا عن الإلحاد والملحدين ؛ لكي ينتبه كلّ مسلم أن لا يُحْشَرَ يوم القيامة مع الملحدين ، ولكن بعض النّاس حينما يصابون بمرض أو بلاء يقول هذه العبارة : "لو أنّ الله موجود لما أصبت بهذا المرض والبلاء" ، هو يتكلّم بهذا الكلام ، ولكن هذا الكلام يعبّر عن اعتقاد موجود عنده ، والإنسان في وقت المصيبة والبلاء يظهر على حقيقته ، وفي أيّام الرّخاء الإنسان يصلّي ويصوم ويأتي بالأعمال الكثيرة ، ولكن حينما يصاب ببلاء يظهر على حقيقته ، هل هو متمّسك بالله عزّ وجلّ أو لا ؟

كما أنّ الإنسان يحمد الله في وقت الرّخاء ، فهل هو في وقت المصيبة يقول أيضا : الحمدلله على كلّ حال ؟

في المصيبة يظهر واقع الإنسان وحقيقته ، يقول : "لو أنّ الله موجود لما صار بي هذا الأمر" ، "لو أنّ الله موجود لما أصيب ولدي

بالمرض الخبيث" ، نعم هي كلمات ، ولكنّها كلمات تعبّر عن إلحاد .

الإنسان يصلّي خمسين أو ستّين سنة ، وآخر حياته تأتي له مصيبة صغيرة أو كبيرة كأن يقال له بأنّك مصاب بمرض السّرطان ، فيرى أنّ الدّنيا تظلم في عينيه ، الإنسان سيموت على أيّ حال ، كان بهذا المرض أو كان على فراش الموت ، لا يفرق الحال ، فهو ميت على أيّ حال ، تقدّم الزّمان أو تأخّر .

شخص يعيش خمسين سنة ، وشخص آخر يعيش مائة وعشرين سنة ، النّهاية موجودة ، ولكنّ المهمّ أنّه كيف ينتقل من عالم الدّنيا إلى عالم البرزخ ؟ هل حافظ على اعتقاداته الّتي يقول بها أو لا ؟

الإنسان لا بدّ أن يعمل لعالم البرزخ وعالم الآخرة ، وهذا هو المهمّ ، والاعتقادات تحتاج إلى ترسيخ ، والإنسان لا بدّ أن يذكّر نفسه بالله دائمًا ، والتّرسيخ يكون عن طريق العمل ، أنت تعمل فتتكامل ، وبالتّالي تترسّخ العقائد عندك ، واعتقادك بالله يصير راسخًا أكثر ، والإنسان الّذي يكون غافلًا عن الله تعالى فعقيدته لا تترسّخ ، وفي أقلّ مصيبة هذا الإنسان يهتزّ ، فينتقل إلى عالم البرزخ من غير اعتقاد بالله ، لا بدّ أن يرسّخ العقائد لكي تنتقل معه إلى عالم البرزخ ، وإذا لم يرسّخها سيفقد هذه العقائد ويتركها خارج القبر ويدخل إلى عالم البرزخ بلا عقائد .

وبعض الناس في الدّنيا يكونون من المؤمنين ، ولكنّهم يوم القيامة يُحْشَرُونَ مع الكافرين ؛ لأنّ هذه هي حقيقتهم وواقعهم وباطنهم .

نعم ظاهره في الدّنيا أنّه مؤمن ، ولكنّه يُحْشَرُ يوم القيامة على حقيقته مع الكفّار ؛ لأنّه لم يرسّخ العقائد في قلبه .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

عالميّة الإسلام

(٤٥)

الملحدون الرّبوبيّون [١]

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

كان الكلام في المحاضرة السّابقة عن الملحدين اللّاأدريّين ، والبعض منهم من ناحية نظريّة لاأدريّون ، ولكنّهم من ناحية عمليّة يتعاملون كأنّ الإله غير موجود ، فهم لاأدريّون نظريًّا وملحدون عمليًّا .

وقلنا بأنّ رأس الإلحاد ريتشارد دوكنز ليس ملحدًا ، فهو في الواقع لاأدريّ من نوع اللّاأدريّ المؤقّت الّذي ينتظر الدّليل ، كما هو عبّر "الجلوس على السّياج بانتظار أدلّة" ، وقرأنا بعض الكلمات لدوكنز ، ونقرأ أيضًا له بعض الكلمات الأخرى الّتي تبيّن أنّه ليس ملحدًا ، وإنّما هو لاأدريّ .

---

[١] أُلْقِيَتْ هذه المحاضرة في الدّيوانيّة الأسبوعيّة في منطقة بيان ، الجمعة ١٤ رجب ١٤٤٠ هـ ، الموافق ٢٠١٩/٣/٢٢ م .

يقـول ريتشـارد دوكنـز في كتابـه "حـوارات سـيدني" تحـت عنـوان "دوكنز على قناة الجزيرة" ، وقد أجرى المقابلة معه مهدي حسن :

سأله مهدي حسن : قبل أن أخوض في أيّ شيء أريد أن أتأكّد من صفة ما ، هل تسمّي نفسك ملحدًا (لادينيًّا) ؟

يجيب دوكنز : لأسباب عمليّة أجيبك بـ "نعم أنا ملحد" ، لا أحد في الواقـع يسـتطيع أن يؤكّـد ويقـول بأنّـه متأكّـد تمامًـا مـن أنّ شـيئًا غـير موجـود ، لكـنّي ملحـد بـنفس الطّريقـة الّـتي أؤمـن بهـا بأنّـه لا وجـود للكائنات الفضائيّة أو الشّخصيّات الخياليّة الّتي تقصّها علينا الخرافات الدّينيّة .

مهـدي حسـن : إذن أنـت لسـت متأكّـدًا بنسـبة ١٠٠% مـن عـدم وجود إله ، لكنّك عمليًّا متأكّد بما يكفي لاطمئنانك ؟

دوكنز : . . . لا يستطيع أحد أن ينفي وجود الإله [١] .

أجاب دوكنز أنّه ملحد لأسباب عمليّة ، فهو يتعامل كأنّ الإله غير موجود ، وليس لأسباب علميّة نظريّة ؛ لأنّه من النّاحية النّظريّة هو ليس ملحدًا حيث إنّه لا يملك الدّليل على عدم وجود الإله ، فهو في الواقع لاأدريّ مؤقّت .

وقلنـا بأنّ الإنسـان لا بـدّ أن يتناسـب عملـه مـع الاعتقـادات والنّظـريّات الّـتي يعتقـد بهـا ؛ لكـي يكـون صـادقًا في عملـه وسـلوكه ، وهكـذا يتبـيّن أنّ دوكنـز ليـس صـادقًا في سلوكـه بمـا يتناسـب مـع

---

[١] حوارات سيدني ص ١٠٧ .

اعتقاده ، فهو يبني حياته العمليّة على أنّه ملحد ، ولكنّه من ناحية نظريّة هو لاأدريّ مؤقّت .

والملحد العمليّ لا يصحّ أن ندخل معه في نقاش وبحث نظريّ عن وجود الإله وعدم وجود الإله ؛ لأنّه لا يهتمّ بوجود الإله أو عدم وجوده ، فهو من ناحية عمليّة يعمل على أساس عدم وجود الإله ، فلا يصحّ أن تفتح معه نقاشًا نظريًّا عن وجود الإله وعدم وجوده ؛ لأنّه من ناحية نظريّة هو لاأدريّ مؤقّت لا ملحد .

وإذا كنت تريد أن تناقش ملحدًا فلا بدّ أن يكون ملحدًا من ناحية نظريّة لتفتح باب النّقاش والحوار معه عن وجود الإله وعدم وجوده ، والنّقاش النّظريّ يكون بين اثنين : من يعتقد بوجود الإله نظريًّا ومن لا يعتقد بوجود الإله نظريًّا ، لا بين من يعتقد بوجود الإله نظريًّا ومن يعتقد بعدم وجود الإله عمليًّا ، ولا بدّ أن يكون النّقاش في اللّاأدريّة المؤقّتة لكي يكون النّقاش بين الطرفين نقاشًا على الأساس النّظريّ ، فيكون النّقاش بين من يعتقد بوجود الإله نظريًّا ومن يعتقد باللّاأدريّة المؤقّتة نظريًّا .

ونحن المسلمين نريد أن نستفيد أيضًا من الموضوع ، نجد أنّ كثيرًا ممّن يعتقد بوجود الله ووجود النّبوّة ووجود الآخرة اعتقادًا نظريًّا يعيش عمليًّا عيشة من لا يعتقد ، فمن ناحية نظريّة يعتقد بوجود الله ، ولكنّه من ناحية عمليّة لا يبني أعماله على هذا الاعتقاد ، فيرتكب المحرّمات والفواحش والكبائر ويكذب ويأكل حقوق الآخرين ،

فيعيش في الدّنيا كما يعيش من لا يعتقد بالله وبالآخرة ، مع أنّ اسمه وعنوانه وهويّته أنّه "مسلم" ؛ لأنّ السّلوك العمليّ لا بدّ أن يتوافق مع الاعتقادات ، فإذا قال شخص إنّه يعتقد بالله فلا بدّ أن يرتّب الآثار العمليّة على نظريّاته الاعتقاديّة ؛ لكي يوجد توافق بين العمل والاعتقاد ، وأمّا من ناحية عمليّة فإنّه يتعامل كأنّ الله غير موجود ، هو من ناحية نظريّة يقول : "أنا أعتقد بالله" ، ولكن هذا الاعتقاد اعتقاد نظريّ ذهنيّ ، يعني من حيث التّصوّر عنده اعتقاد بالله ، فعنده تصوّر ذهنيّ عن وجود الله ، وهذا الاعتقاد لا بدّ أن ينزل إلى القلب بحيث إنّ قلبه يكون معتقدًا بالله ، لا فقط التّصوّر الذّهنيّ ، والمسلمون في كثير من اعتقاداتهم عندهم تصوّرات ذهنيّة فقط ، والاعتقاد أمر قلبيّ لا أمر ذهنيّ ، فعندهم تصوّر ذهنيّ عن وجود الله ، وتصوّر الاعتقاد لا يكفي ، لا بدّ أنّ القلب يعتقد ، فإذا اعتقد القلب فإنّ الإنسان يرتّب الأثر العمليّ بشكل طبيعيّ بدون تكلّف وتصنّع ، فلأنّه يعتقد بالله حقيقةً فإنّه بشكل طبيعيّ يقيم الصّلاة ، وَيُقْبِلُ على الصّلاة بكلّ همّة ، وكذلك على بقيّة العبادات ، والدّين يحتوي على الفقه العمليّ ، وكذلك الحال في بقيّة الاعتقادات ، والدّين يحتوي على الفقه العقائديّ ، وكذلك يقبل بشكل طبيعي على الأخلاق الإسلاميّة ، فالدّين يحتوي على الفقه الأخلاقي ، فمن يعتقد بالله حقيقةً فالآثار العمليّة تترتّب بلا تكلّف وتصنّع .

إذا كان عند الإنسان حاجة يقال له توجّه إلى الله بالدّعاء ، فيأخذ

كتب الأدعية ويبدأ بقراءة الدّعاء ، ولكن يرى نفسه لا تتفاعل مع الدّعاء ، والمفروض أنّ الإنسان لا فقط ينطق بالكلمات ، بل قلبه يتوجّه إلى الله ، فحينما يطلب بلسانه فلأنّ قلبه يطلب ، وإذا كان القلب يطلب فبشكل طبيعيّ يتفاعل مع الكلمات ؛ لأنّ هذه الكلمات تعبّر عن قلبه ، وأمّا الّذي يدعو عن طريق الألفاظ فقط فإنّك تراه أنّه لا يتفاعل مع الألفاظ ؛ لأنّ ما يوجد في هذه الألفاظ لا يعبّر عن حاجته الحقيقيّة ، فالإنسان الّذي يقول : "يا ربّي اغفر لي" ، هل هو فعلًا يريد أن يستغفر ؟ هل هو يشعر بأنّه أذنب أصلًا لكي يدعو الله بالمغفرة ؟

شخص يقول : "أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم" ، هل هو فعلًا يريد الاستعاذة من الشّيطان أو أنّه لحد الآن ما زال مطيعًا للشّيطان ؟

كلماته وألفاظه لا تتناسب مع قلبه ، قلبه يريد الذّنوب ولا يريد الاستغفار ، والاستغفار عمليّة قلبيّة لا مجرّد ألفاظ ينطق بها اللّسان ، فهو ينطق بألفاظ فقط .

كثير من المسلمين يقولون نحن ندعو ولا يستجيب الله لنا ، فنقول بأنّ هذا ليس دعاءً حقيقيًّا ، الإنسان أوّلًا قلبه يدعو ، ثمّ يحوّل هذه الأمور القلبيّة إلى ألفاظ ، الدّعاء ليس عبارة عن ألفاظ فقط ، نقول له اذهب واقرأ دعاء كميل ، ولكن لا بدّ أنّ هذه الكلمات تعبّر عن واقعه القلبي ، وأمّا إذا كانت الكلمات لا تعبّر عن قلبه فهو يقرأ ألفاظًا فقط ، ولا يحصل على الآثار المترتّبة على الدّعاء ، فحينما

يقـول الإنسـان : "أسـتغفر الله" – لا بـدّ أن يكـون طالبًـا حقيقيًّـا للاستغفار ، ويريد أن يترك الذّنوب حقيقة ، فهو مع نيّته باستمرار الذّنوب يقول : "أستغفر الله" ، فمن الطّبيعيّ أنّ الله لا يستجيب لهذا الدّعاء ولا يغفر ذنوبه ؛ لأنّه مُصِرٌّ على الاستمرار في الذّنوب .

إنّ الاعتقادات ليست عبارةً عن تصوّرات ذهنيّة ، وإنّما هي عبارة عن اعتقادات قلبيّة ، فلا بدّ أن يراجع الإنسان نفسه ليرى هل هو فعلًا يعتقد بالله ، فإذا كان الاعتقاد اعتقادًا قلبيًّا فإنّه يُقْدِمُ على الأعمال الخارجيّة بسهولة .

تقول له : "حان وقت الصّلاة" ، هو لا يحتاج إلى قولك لأنّه ينتظر الصّلاة بشوق ، فالإنسان الّذي يعتقد بالله حقيقةً ينتظر موعد الصّلاة ، وينظر دومًا إلى ساعته ليرى متى يحين الوقت ، يريد أن يُقْبِلَ على الله ، وأمّا الإنسان الّذي لا يهتمّ بالصّلاة فإنّه يصلّي في أوّل الوقت أو في آخر الوقت ولا يفرق عنده ، هذا علاقته بالله علاقة ضعيفة ، والمفروض أنّ الإنسان يُسْرِعُ إلى العبادات وَيُبادِرُ إلى الخيرات ، فهو ينتظر شهر رمضان ، ولا يحسّ أنّ شهر رمضان ثقيل على قلبه ، فالمؤمن ينتظر أوقات العبادات .

إذن :

المسلم الّذي يعتقد بالله لا بدّ أن يرتّب الآثار العمليّة على اعتقاده ، وترتيب الآثار يحتاج إلى علم ومعرفة ، ولا يمكن ترتيب الآثار وأنت لا تعرف الآثار ، ما الّذي يريده الله منك ، لا بدّ أن

تعرف الأعمال المطلوبة والآثار المترتّبة على اعتقادك بالله أثرًا أثرًا ، وأمّا إذا كان الإنسان لا يعرف الأعمال والآثار المطلوبة فلا يمكنه ترتيب هذه الآثار .

الرّجوع إلى الموضوع :

من خلال كلمات دوكنز يتبيّن أنّه لا يوجد عنده أيّ دليل على عدم وجود الإله ، ومع عدم وجود الدّليل على النّفي يوجد احتمال عدم وجود الإله ، وفي المقابل يوجد احتمال وجود الإله ، فهو بين احتمالين ، بل الاحتمال الأكبر يكون مع وجود الإله ؛ لأنّ من ينظر في السّماوات والأرض لا بدّ أن يقول بوجود خالق وصانع لها بسبب وجود النّظم الدّقيق والتّصميم الذّكيّ في الكون ، وهذا النّظم الدّقيق والتّصميم الذّكيّ لا يمكن أن ينكره أحد ، يوجد نظام دقيق في الكون ، ولا أحد ينكر هذا النّظام .

نحن نعلم أنّ الفجر في هذا الوقت المعيّن ، والظّهر في وقت معيّن ، وغروب الشّمس في وقته المعيّن ، وأوّل الشّهر في وقت معيّن ، ونهاية الشّهر في وقت معيّن ،وكلّ هذا بسبب وجود النّظام الكونيّ ، ولولا هذا النّظام الدّقيق لما استطعت أن تنظّم أوقاتك ، والنّظام الدّقيق والتّصميم الذّكيّ في الكون يدلّ على وجود مُنظِّم ، سواء كان المنظِّم هو الإله أم قوّة خفيّة أم القوانين بحسب كلامهم ، فالقوانين تكون هي الإله ، والإنسان الّذي يعتقد بوجود الإله يسألهم : من الّذي أوجد القوانين ؟

القوانين لا تُوجَدُ بنفسِها ولا تُوجِدُ نفسَها ، وإنّما هناك شيء أوجد هذه القوانين المنظِّمة ، والنّظام الدّقيق والتّصميم الذّكيّ في الكون ليس بإمكان أحد إنكاره ، ولكنّ السّؤال : من هو المنظِّم ؟ هل القوانين لوحدها تدير الكون أو أنّ هناك قوّة خارجيّة تدير الكون ؟ من هو مُدَبِّرُ السّماوات والأرض ؟

إذا كانت هناك قوّة خفيّة فهو الإله ، أو تقول إنّ القوانين هي المحرِّكة فتكون القوانين هي الإله ؛ لأنّ الإله بمعنى المُدَبِّر للسّماوات والأرض .

وخلاصة الكلام أنّه لا يوجد دليل على عدم وجود الإله ، وعلى أقلّ التقادير يوجد احتمال ٥٠% لوجود الإله ، و٥٠% لعدم وجود الإله ، وبعد ذلك نأتي لنناقش أيّ الاحتمالين نُرَجِّحُ ، هل نرجِّح احتمال وجود الإله أو احتمال عدم وجود الإله ؟

وبنظرة بسيطة إلى السّماوات والأرض ندرك وجود قوّة تدير هذا الكون ، وفي البداية هذه القوّة الخفيّة خلقت الكون لأنّ هذا الكون لم يكن موجودًا ثمّ وُجِدَ ، فالكون حادث لا أزليّ ، فإذا كان الكون حادثًا فلا بدّ من وجود المُحْدِث ، والآن الكون يتّسع ، ولكن قبل الاتّساع كان الكون عبارة عن جسم صغير جدًّا ، وهو المادّة الأولى ، وبعد ذلك حصل الانفجار العظيم ، وبدأ الكون بالاتّساع ، وهذا الانفجار العظيم من الّذي أحدثه لأنّ المادّة لا تحدث انفجارًا في نفسها بنفسها ؟

لا بدّ من وجود مُفَجِّر لهذه المادّة الأولى ، وعادةً الانفجار يُسَبِّبُ فوضى ، ولكن هذا الانفجار سَبَّبَ نظام الكون ، فكيف يمكن للانفجار أن يُسَبِّبَ نظامًا والمفروض أن يُسَبِّبَ فوضى ؟

لو فجّرنا الآن مكانًا لانتشر الفوضى في هذا المكان لا أنّ الأشياء تنتظم ، فلا بدّ من وجود المُفَجِّر لهذا الانفجار ، ولا بدّ من وجود المُنَظِّم لهذا النّظام الكونيّ .

ونسأل : المادّة الأولى للكون من الّذي أوجدها لأنّها حادثة غير أزليّة والحادث والمخلوق يحتاج إلى مُحْدِث وخَالِق ؟

إذا قالوا بأنّ الطّبيعة هي الّتي أوجدت نفسها فنقول إذن الطّبيعة هي الإله الخالق ، فالمؤمنون والملحدون متّفقون على وجود الخالق ، ولكنّ الاختلاف في مصداق الخالق ، من هو هذا الخالق : الإله أو الطبيعة ؟

سؤال : هل الإلحاد ظاهرة إنسانيّة ؟

الجواب :

الإلحاد لازَمَ الفكر البشريّ كما يلازمه الإيمان ، فكما يوجد إيمان يوجد إلحاد وكفر ، وبدأ في بداية الخلق مع هابيل وقابيل ، فبعد أن قتل قابيل هابيل ابتدع دينًا جديدًا غير دين آدم عليه السّلام ، فبدأ بالشّرك ، واستمرّ نسله بين الإيمان والإلحاد ، فالإلحاد ظاهرة إنسانيّة موجودة منذ بدء الخليقة ، وفي كلّ زمان يوجد مؤمنون وملحدون ، بالإضافة إلى وجود المشركين والمنافقين والفاسقين وغيرهم ، ولكنّ

دائرة الإيمان ودائرة الإلحاد تتّسعان وتضيقان عبر الزّمان والمكان ، فتارةً في بعض الأزمان أو في بعض الأماكن تتّسع دائرة الإيمان وتقلّ دائرة الإلحاد ، وتارةً أخرى في بعض الأزمان أو في بعض الأماكن تضيق دائرة الإيمان وتتّسع دائرة الإلحاد ، مثلًا نسبة الملحدين في العالم اليوم حسب التّقديرات ٥% تقريبًا ، فيوجد ٩٥% يؤمنون بوجود الإله الخالق في مختلف الأديان ، فنسبة قليلة ينكرون وجود الإله ، وفي العالم اليوم دائرة الإيمان أوسع من دائرة الإلحاد .

يقول الدّكتور رمسيس عوض في كتابه "ملحدون محدَثون ومعاصِرون" : الإلحاد ظاهرة إنسانيّة ، شأنه في ذلك شأن الإيمان ، ومن ثمّ تجب دراسته بموضوعيّة بعيدًا عن الانفعال والتّشنّج ، إذا كنّا نريد أن نفهم العالم الّذي نعيش فيه فإغماض العين عن هذه الظّاهرة لا يعني عدم وجودها في الخارج [١] .

إنّ ظاهرة الإلحاد موجودة ، ونحتاج إلى دراسة هذه الظّاهرة وما هي أسبابها ونتائجها وكيفيّة مناقشة الملحدين ، لا فقط نقول إنّهم كفار ، ونظنّ بأنّ القضيّة تنتهي ، هم موجودون ولهم تأثير في العالم مع نسبتهم القليلة ، هي ظاهرة ، فيحتاج أن نأتي إلى كتبهم لنرى ما هي الأدلّة الّتي يطرحونها لإثبات عدم وجود الإله ، ونناقشهم في هذه الأدلّة ، وهذا هو دور العلماء ، فدور العلماء في كلّ زمان ومكان أن يأتوا إلى كتب الأطراف الأخرى ويناقشون أفكارهم وأدلّتهم بحيث

---

[١] ملحدون محدَثون ومعاصِرون ص٧ .

يمكن أن ننفي الأدلّة الّتي يعتمدون عليها ، ونأتي بأدلّة تدلّ على وجود الإله ، والعلماء المسلمون دورهم أن يثبتوا أن هذا الإله هو الله عزّ وجلّ .

يقول الدّكتور عبدالرّحمن بدويّ في كتابه "تاريخ الإلحاد في الإسلام" : ظاهرة الإلحاد من أخطر الظّواهر في تطوّر الحياة الرّوحيّة ، وهي أيضًا ظاهرة ضروريّة النشأة في كلّ حضارة حينما تكون في دور المدنيّة ، وإنّما تختلف تجلّياتُها [١] .

"تختلف تجلّياتُها" : أي تتّسع وتضيق .

سؤال : هل مفهوم الإلحاد واضح أو غامض ؟

الجواب :

يقول الدّكتور رمسيس عوض في كتابه "الإلحاد في الغرب" : من العسير للغاية أن يحدّد الباحثون تاريخًا للإلحاد لعدّة أسباب . . . منها أنّ معنى الإلحاد لا يتّسم بالوضوح الكافي . . . والإلحاد كلمة غامضة ليس لها مدلول محدّد [٢] .

هذا على حسب رأي الدّكتور رمسيس عوض أنّ معنى الإلحاد غير واضح ، ولكن بعض المؤلّفين الباحثين يطرحون تعريفات للإلحاد والملحد .

سؤال : من هو الملحد ؟

---

[١] تاريخ الإلحاد في الإسلام في المقدّمة .

[٢] الإلحاد في الغرب ص١٥ من المقدّمة .

الجواب :

الملحد هو من لا يعتقد بوجود إله خالق لهذا الكون وعنده أدلّة على عدم وجود الإله ، لا أنّه فقط يعتقد بعدم وجود الإله ، بل عنده أدلّة تثبت عدم وجود الإله ، فإذا لا يوجد عنده دليل لا نسمّيه ملحدًا ، وهو لا بدّ أن يقيم الأدلّة على ذلك ، فالملحد يُنْكِرُ وجود مبدأ لخلق الكون مع الدّليل ، وإقامة الدّليل أمر مهمّ سواء قال : "أعتقد بوجود الإله" أو "أعتقد بعدم وجود الإله" ، فالدّليل مطلوب من أيّ إنسان يدّعي أيّ شيء ، كان مؤمنًا أو ملحدًا أو ربوبيًّا أو لاأدريًّا أو شكّاكًا ، فالدّليل مطلوب من الجميع على إثبات أي مدّعى ، والإنسان لا يقول قولًا إلّا ونسأله عن دليله على إثبات صحّة قوله ، لا فقط يقول : "أنا أعتقد" ، لا بدّ أن يقيم الأدلّة على إثبات صحّة اعتقاده .

وهذا موجود في العلوم الطّبيعيّة ، فالعلماء يذكرون أدلّتهم على مدّعاهم ، يقول إنّ الشّمس تدور حول الأرض ، نسأله عن الدّليل ، يقول إنّ الأرض تدور حول الشّمس ، نسأله عن دليله ، يقول إنّ الأرض كرويّة ، نسأله أين دليلك ، يقول إنّ الأرض مُسَطَّحَة ، نسأله عن دليله .

وفي القضايا الاعتقاديّة بنفس الطريقة نسأله : ما هو دليلك على عدم وجود الإله ؟ ما هو دليلك على وجود الإله ؟

يقول : "أنا أعتقد" ، نسأله عن دليله على صحّة هذا الاعتقاد .

والسّؤال عن الدّليل في أيّ مسألة من المسائل أمر مهمّ جدًّا ، فإذا لا يوجد عنده دليل على مدّعاه فلا نقبل قوله ، في القضايا الدّنيويّة أو القضايا الدّينيّة .

إنّ من يقول بأن لا مبدأ للكون ويقيم الدّليل على ذلك فهذا نسمّيه ملحدًا ، ومن يقول بأنّ الكون له مبدأ وقوّة خالقة فهو مؤمن بوجود الإله ، ولا نقول مسلم ، بل نقول مؤمن لأنّ اليهوديّ يؤمنون بوجود الإله ، والمسيحيّ يؤمن بوجود الإله ، وقد توجد بعض الأديان الوضعيّة يعتقدون بوجود إله ، ونقاشنا ليس في أنّهم يجسّدون الإله أو لا يجسّدونه ، المهمّ عندهم اعتقاد بوجود الإله ، حتّى بعض المسلمين يقولون بأنّ الله جسم ، لهم اعتقاد بوجود الإله ، ولكن عندهم أنّ له جسمًا ، فالمؤمنون متّفقون على أصل وجود مبدأ خالق للكون ، وهو شيء غيبيّ وراء الطّبيعة وليس جزءًا من الطبيعة ، وهذا اتّفاق بين المؤمنين على مفهوم المبدأ ، ومن ينكر ذلك يكون ملحدًا ، فالملحد هو الّذي لا يعتقد بوجود قوّة أزليّة ومبدأ أزليّ ، ومن يعتقد بوجود قوّة أزليّة فهو مؤمن ، والأزليّ هو الّذي ليس له بداية ، فكلما تسير بعكس الزّمان فلا تصل إلى بدايته لأنّ ليس له بداية .

إذن المؤمنون متّفقون على وجود مبدأ وقوّة وخالق للكون ، ولكن يقع الاختلاف في مصداق هذا الخالق وهذا المبدأ وهذه القوّة ، ومن المسلمين من يعتقد بإله غير جسم ، ومنهم من يعتقد بإله له جسم حتّى لو يقولون إنّه جسم لا كالأجسام ، المهمّ أنّه يعتقد أنّ له

جسمًا ، كان له خمسة أصابع أو عشرون إصبعًا ، كان حجمه كبيرًا أو صغيرًا ، المهمّ أنّه يعتقد بجسميّة الإله .

وتصوّرات المسلمين عن الإله تصوّرات مختلفة ، فضمن نفس الدّين نرى أنّ التّصوّرات عن الله تصوّرات متعدّدة ، وكذلك في المذاهب كلّ مذهب عنده تصوّر عن الله سبحانه ، بل أكثر من ذلك فإنّ كلّ إنسان عنده تصوّر عن الإله مختلف عن تصوّر الإنسان الآخر ، حتّى في مكان اجتماعنا الآن ، كلّ شخص منّا له تصوّر عن الله مختلف عن تصوّر الآخر ، والصّورة الذّهنيّة عن الله أنت تبنيها ، عندك صورة خاصّة عن الله ، ولو سألنا عن تصوّر كلّ شخص لوصلنا إلى تصوّرات كثيرة متعددة ، وفي مجلسنا هنا قد نصل إلى عشرين تصوّرًا عن الله سبحانه ، وكلّ إنسان عنده تصوّر مختلف عن تصوّر الإنسان الآخر ، أنت تتصوّر الله بطريقة ، وأنا أتصوّر الله بطريقة أخرى .

ونجد أنّ التّصوّرات مختلفة ضمن الأديان المختلفة وضمن الدّين الواحد وضمن المذهب الواحد ، قد تصل التّصوّرات العالميّة إلى عشرين تصوّرًا أو أكثر ، وحينما نصل إلى تصوّرات الأديان عن الإله نبيّن هذه التّصوّرات المختلفة .

إنّ كثيرًا من الّذين يطلقون على أنفسهم أنّهم ملحدون هم في الواقع مؤمنون ؛ لأنّهم يعتقدون بوجود قوّة أزليّة حتّى لو كانت هذه القوّة هي الطّبيعة نفسها أو المادّة نفسها ، فلو سألناهم : من الّذي خلق الكون ؟

يقولون بأنّ الطّبيعة هي الّتي أوجدت نفسها ، فهو مؤمن بوجود خالق للكون ، الطّبيعة مصداق للخالق ، ونحن نقول لا ، مصداق الخالق هو القوّة الخفيّة أو الإله ، فالملحد في واقعه مؤمن ، وحسب تصوّره فإنّ المصداق الّذي يعتقد به هو الطّبيعة ، فلا يوجد اختلاف بين المؤمنين والملحدين في وجود قوّة خلقت الكون ، فالملحد في واقعه مؤمن ، ولكن بمصداق آخر ، فهم لا يوجد عندهم إشكال على أصل وجود الإله ، ولكن اعتراضهم على الإله الّذي يعرضه أصحاب الدّيانات ، فهم لا يعتقدون بالإله الّذي يعرضه اليهود أو المسيحيّون او المسلمون ، ففي الواقع أكثر الملحدين هم ربوبيّون ، ولكنّهم لا يعلمون ، والرّبوبيّ يعتقد بوجود خالق ، ولكن لا يعتقد أنّ الخالق هو الإله الموجود في الدّيانات السّماويّة الثّلاثة من اليهوديّة والمسيحيّة والإسلام ، بل يعتقد بمصداق آخر للخالق ، أو يعتقد بوجود خالق ، ولكن لا يعتقد بوجود الأنبياء ، فلا يؤمن بأنّ الخالق أرسل أنبياء للبشر .

وأمّا اللاأدري فهو الّذي لا يوجد عنده دليل لا على إثبات وجود الإله ولا على إثبات عدم وجود الإله ، والمشكّك هو الّذي يقول باحتمال ٥٠% لوجود الإله و ٥٠% لعدم وجود الإله .

يقول دوكنز في كتابه "حوارات سيدني" :

مهدي حسن : أنت تقول في كتابك وهم الإله ، وهذا مقطعي المفضَّل منه : إنّ الإله المذكور في العهد القديم إِلَهٌ مُتَنَمِّرٌ ، مثير

للشّفقة ، غير عادل بشكل استثنائيّ ، غير متسامح ، محبّ للسّلطة ، غير متسامح مع المثليّين ، وهو عنصريّ ، وائد للبنات ، مصاب بجنون العظمة ، فيه ما يكفي من الصّفات المازوخيّة ، وهو مزاجيّ متقلِّب ، يرتكب القتل الجماعيذ ببساطة ، هذا الوصف لقطعة بلاغيّة يبدو رائعًا ، لكن هل أنت بالفعل تؤمن بذلك ؟ [1]

إنّ مشكلة دوكنز مع إله بهذه الصّفات ، أي المصداق المذكور للإله في التّوراة ، وليست مشكلته مع مبدأ الوجود والقوّة الأزليّة وراء الطّبيعة ؛ لأنّ أصحاب الدّيانات السّماويّة وحتّى المسلمين يطرحون الإله على أنّه شديد العقاب وشديد العذاب ، والطّرف الآخر يتصوّر الإله على أنّه رحيم ، والمسلمون يطرحون دائمًا أنّ الله شديد العذاب ، إذا فعلت كذا في الدّنيا فإنّ الله يعاقبك في الدّنيا بهذه العقوبات ، وإذا مّت تنتقل إلى القبر وفيه الحيّات والعقارب ، ومن عذاب القبر أنّ القبر يضغط عليك حتّى أن حليب أمّك يخرج من أنفك ، وفي يوم القيامة عذاب جهنّم أمامك ، فيكون التّصوّر المطروح للإله أنّه شديد العقاب .

والمفروض أن يكون طرحنا أنّ الله رحيم بالعباد في الدّنيا حتّى أنّه يرزق المشرك والكافر ، وإذا متّ فإنّك تُقْدِمُ على ربّ رحيم في عالم البرزخ ، وهذا الإله يحاول أن ينجيك بقدر ما يستطيع ، وهذا الإله يحاول أن يهديك إلى سبيل النّجاة ، وفي يوم القيامة رحمة الله واسعة

---

[1] حوارات سيدني ص ١٠٧ .

حتّى أنّ إبليس يطمع في رحمته تعالى ، فالعالم أمام تصوّرين : الله الشّديد العقاب في الدّنيا والبرزخ والآخرة ، والله الرّحيم في العوالم الثّلاثة ، إذا طرحت أنّ الله شديد العقاب حتّى المسلمون ينفرون .

ونسأل : طفلك في البيت كيف تعرض الله عليه ؟

دائمًا تقول لولدك : إذا لم تُصَلِّ فالله يذهب بك إلى نار جهنّم ، هكذا تعاملنا مع أولادنا ، لماذا لا نقول بالعكس : إذا صَلَّيْتَ تحصل على الجنّة ؟

قَدِّمْ له النّاحية الإيجابيّة لله سبحانه ، الله هو الرّحمة الواسعة ، والعقاب سيكون لقلّة من النّاس ، والخلود في نار جهنّم لقلة قليلة من النّاس ، وأكثر النّاس سيذهبون إلى الجنّة ؛ لأنّ الله شديد الرّحمة ، فدائمًا الله يجد للعبد شيئًا ، هو فَعَلَ عملًا حسنًا ، فلا بدّ أن نبيّن أنّ الله رحيم بالنّاس ، مثل الأستاذ الرّحيم بطلبته ، فبعض الأساتذة في تصحيح أوراق الامتحانات يحاولون أن يساعدوا الطّلبة بقدر ما يستطيعون ، يحاول أن يجد له كلمةً هنا فيعطيه درجةً ، وكلمةً هناك فيعطيه نصف درجة ، لكي ينجح الطّالب ، والأستاذ الّذي يكون شديد العقاب يأتي إلى الجواب الصّحيح وينقص منه درجة ، وترى الفرق الواضح بين الأستاذين ، أستاذ يتعامل مع الطّلبة برحمة ، وأستاذ يتعامل مع الطّلبة بشدّة ، وهذا مثال واضح لبيان رحمة الله تعالى ، والله يتعامل بنفس الطّريقة مع النّاس ، حتّى الملحد عنده أعمال خير ، مثلًا يحسن إلى جاره .

عن أبي عبدالله عليه السّلام : من أشبع مؤمنًا وجبت له الجنّة [١] .

وعن عليّ بن الحسين عليهما السّلام : من أطعم مؤمنًا من جوع أطعمه الله من ثمار الجنّة ، ومن سقى مؤمنًا من ظمأ سقاه الله من الرّحيق المختوم [٢] .

وعن أبي عبدالله عليه السّلام : . . . وحقّ على الله أن يُطْعِمَ من أطعم مؤمنًا من طعام الجنّة [٣] .

وهذه الرّوايات لم تحدّد أنّ الّذي أشبع مؤمنًا أو أطعمه أو سقاه مؤمن أو غير مؤمن ، ذكرتهم بدون قيد الإيمان .

وتوجد روايات تقول بأنّه إذا فعل الإنسان كذا فله الجنّة .

عن رسول الله صلّى الله عليه وآله : دخل عبد الجنّة بغصن من شوك كان على طريق المسلمين [٤] .

عن أمير المؤمنين عليه السّلام : ضمنت لستّة الجنّة : رجل خرج بصدقة فمات فله الجنّة ، ورجل خرج يعود مريضًا فمات فله الجنّة ، ورجل خرج مجاهدًا في سبيل الله فمات فله الجنّة ، ورجل خرج حاجًّا فمات فله الجنّة ، ورجل خرج إلى الجمعة فمات فله الجنّة ، ورجل خرج في جنازة رجل مسلم فمات فله الجنّة [٥] .

---

[١] الكافي ج٢ ص٢٠١ ح١ .

[٢] المصدر السّابق ص٢٠١ ح٥ .

[٣] المصدر السّابق ص٢٠٣ ح١٧ .

[٤] الخصال للشّيخ الصّدوق ص٣٢ .

[٥] وسائل الشّيعة للحرّ العامليّ ج٨ ص٧١ ح٢٩ .

وبعض هذه الأعمال أعمال بسيطة ، تقول غصن من شوك ، نقول نعم ؛ لأنّ الله يعطي لهذا العمل الصّغير قيمةً كبيرةً ، فعند الله هذا العمل كبير .

أنت في السّيّارة وترى زجاجة ملقيّة في الشّارع ، توقف السّيّارة وتنزل وتأخذ هذه الزّجاجة وتجعلها على طرف أو تلقيها في سلّة القمامة ، أنت قمت بعمل عظيم ، نعم عند النّاس هذا العمل سهل يسير ، ولكنّه عند الله عمل عظيم ، تساعد إنسانًا مسلمًا ، هذا عمل عظيم ، حتّى لو كنت تساعد إنسانًا غير مسلم فهو عمل عظيم عند الله .

الله برحمته يبحث لكلّ إنسان عن المحاسن الموجودة عنده ، فيعطيه الثّواب على هذه المحاسن ، حتّى الإنسان الملحد ، نرى أنّ الله يرزقه ، والله يشفيه من الأمراض ، والله يحلّ له المشاكل ، وكأنّ الله يريد أن يقول له : أنا واقف إلى جانبك ، انتبه ، أنا موجود عندك ، متى ما تحتاجني توجّه إليّ .

هذا الملحد إذا أصابته مشكلة ونفدت أمامه الطّرق الطّبيعيّة فإنّه يتوجّه إلى الإله لعلّ هناك قوّة خفيّة في هذا الكون تحلّ له هذه المشكلة ، هو توجّه إلى الإله حتّى لو لم يطلق عليه اسم الإله ، يسمّيه قوّة خفيّة أو حلّال المشاكل أو القوّة السّارية في الكون .

الله برحمته ينبّه النّاس إلى وجوده دائمًا ، أنا موجود إلى جنبك ، في أيّ وقت تحتاجوني ادعوني ، ادعوني وأنا أستجيب لكم ،

والاستجابة سريعة من الله ، ولكنّ الموانع تكون من عند النّاس ، فالله مجيب الدّعوات دائمًا ، حتّى مع الإنسان الملحد ، ويحاول أن ينبّهه دائمّا بأنّني موجود أمامك .

قد يحدث للملحد حادث سيّارة والله ينقذه لينبّهه إلى وجوده ، وكم من قصص الملحدين أنّه لا يعتقد بالإله ، ولكنّه يتوجّه إليه ، أحدهم كانت ابنته مريضة ، فذهب إلى الكنيسة وتوجّه إلى الإله ، وقال بأنّني لا أدري أنّك موجود أو غير موجود ، ولكن إذا كنت موجودًا فَاشْفِ ابنتي ، وفعلًا رجع إلى المستشفى وإذا البنت قد شُفِيَتْ من مرضها ، والأطبّاء كانوا يستغربون من شفائها من مرض خبيث ، فسألوه : إلى أين ذهبت ؟!

الله ينبّه الإنسان دائمًا ، استجابة الدّعاء ليست للإنسان المسلم المؤمن فقط ، الله يستجيب حتّى للإنسان الملحد ، ينبّهه إلى وجوده ، يقول له : التفت لي ، أنا مجيب الدّعوات .

ورد في الموسوعة الفلسفيّة العربيّة : الإلحاد هو المذهب الّذي يرى في العقل الإنسانيّ القدرة على تفسير الكون تفسيرًا متحرّرًا من المعتقدات الشّائعة للعامّة ، والّذي يرفض الاعتقاد بكلّ ما يتجاوز الطّبيعة من أرواح وآلهة وخلود وبعث بعد الموت وكلّ ما يخالف قوانين الطّبيعة من معجزات وخوارق . . . والملحد هو الشّخص الّذي لا يؤمن بالآلهة . . . [1] .

---

[1] الموسوعة الفلسفيّة العربيّة ج١ ص٨٧ مادّة "إلحاد" .

وفي ص٨٩ : الإلحاد المطلق في العصر الحديث : وهي المحاولات الّتي تمّت لوضع نمط صريح من الإلحاد واستبعاد الإله ، وقد شهد القرن التّاسع عشر مولد مذهب كامل التّكوين في الإلحاد ينكر وجود الله (الصّحيح أن يترجم إلى الإله) دون قيد أو شرط .

إذن :

الملحد هو من ينكر وجود الإله ويقيم الدّليل على عدم وجود الإله ، لا فقط يعتقد بعدم وجود الإله ، مثل المؤمن بوجود الإله لا بدّ أن يقيم الدّليل على وجوده ، فحينما يقول بأنّه يعتقد بوجود إله خالق لهذا الكون فلا بدّ أن يقيم الدّليل على ذلك .

وسنأتي فيما بعد بالتّفصيل إلى الأدلّة الّتي تثبت وجود إله خالق للكون : الأدلّة الفطريّة ، والأدلّة العقليّة ، والأدلّة الآفاقية ، والأدلّة الأنفسيّة .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

عالميّة الإسلام

(٤٦)

الإلحاد النّظريّ والإلحاد العمليّ [١]

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

أوّلًا نتكلّم عن الإنسان المؤمن قبل أن ندخل إلى البحث عن الإنسان الملحد ، واهتمامنا الأوّل هو الإنسان المؤمن ، ونريد أن نستفيد من هذه المواضيع لأجل ترسيخ الإيمان عند المؤمنين .

يقول القرآن الكريم :

"وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ" [١] .

يوجد إيمان نظريّ وإيمان عمليّ ، والإيمان النّظريّ هو أن يعتقد الإنسان من ناحية نظريّة بوجود الإله بشكل عامّ وبوجود الله بشكل خاصّ ، والإيمان العمليّ هو أن يحوّل الإنسان هذا الإيمان النّظريّ إلى

---

[١] أُلْقِيَتْ هذه المحاضرة في الدّيوانيّة الأسبوعيّة في منطقة بيان ، الجمعة ٢١ رجب ١٤٤٠ هـ ، الموافق ٢٠١٩/٣/٢٩ م .

[١] يوسف : ١٠٦ .

عمل بحيث يوجد تطابق بين العمل والإيمان ، فعلى أساس الاعتقاد بالله عزّ وجلّ يتحرّك الإنسان المؤمن ، فهو من ناحية نظريّة عنده إيمان نظريّ ، ومن ناحية عمليّة يرتّب العمل على أساس هذا الاعتقاد ، فعنده إيمان عمليّ ، والإيمان العمليّ معناه أنّ الإيمان له تأثير وله ثمار لا فقط أنّ الإنسان يعتقد من ناحية نظريّة ، ولكنّه من ناحية العمل لا يلتزم بإيمانه ، فالإيمان النّظريّ لا بدّ أن يعطي انعكاسًا من حيث العمل ، فيوجد توافق بين الإيمان والعمل .

ومرّةً الإنسان يكون عنده إيمان نظريّ ، فيعتقد من ناحية نظريّة أنّه يوجد إله خالق للكون ، فيؤمن بالإله ، ولكنّه من ناحية العمل لا يرتّب آثار هذا الإيمان ، فلا يطيع الله الطّاعة الكاملة ، ولا يكون مطيعًا للنّبيّ صلّى الله عليه وآله الطّاعة الكاملة ، فمرّةً يصعد ومرّةً ينزل ، تارةً يتكامل وتارةً يتسافل ، مرّةً يطيع الله عزّ وجلّ ومرّةً يطيع الشّيطان ، هذا الإنسان من ناحية نظريّة عنده اعتقاد وإيمان ، ولكنّه من ناحية عمليّة هو مشرك ؛ لأنّه يشرك بالله من ناحية عمليّة حينما يطيع الشّيطان ، وأعماله مختلطة من طاعة الله وطاعة الشّيطان ، أي خليط من الواجبات والمحرّمات ، وقلبه تارةً يكون صالحًا وتارةً أخرى يكون طالحًا ، فالإنسان العاصي إنسان مشرك ، ولكنّه مشرك من ناحية عمليّة ؛ لأنّه من ناحيّة نظريّة هو يعتقد بالتّوحيد ، فعنده اعتقاد نظريّ بالتّوحيد ، والآية الكريمة تريد أن تقول إنّ هذا الإنسان مؤمن من ناحية نظريّة ، ولكنّه مشرك من ناحية عمليّة .

عن أبي جعفر (أي الباقر) عليه السّلام في قول الله تبارك وتعالى : **"وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ"** ، قال : شرك طاعة ، ليس شرك عبادة ، والمعاصي الّتي يرتكبون فهي شرك طاعة ، أطاعوا فيها الشّيطان فأشركوا بالله في الطّاعة لغيره ، وليس بإشراك عبادة أن يعبدوا غير الله [1] .

لا يمكن أن نقول إيمان نظريّ وشرك نظريّ ؛ لأنّه إذا كان عنده إيمان نظريّ فلا يوجد شرك نظريّ لأنّهما متضادّان ، فالآية تبيّن أنّ أكثر المعتقدين بالله نظريًّا هم مشركون من ناحية عمليّة ؛ لأنّ أكثر الناس يعصون الله ، والواقع أمامك ، ولينظر كلّ شخص إلى نفسه ، فأحيانًا يتنازل الإنسان عن إيمانه النّظريّ ولا يرتّب الأثر العمليّ على هذا الإيمان ، يعلم أنّ هذا حرام ، ولكن يُقْدِمُ عليه ويرتكبه .

مثلًا ترى شخصًا يشرب الخمر اسأله هل تعتقد بالله ؟

يقول : نعم ، ويقسم بالله على ذلك ، ولكنّه من ناحية عمليّة يشرب الخمر ، فمن ناحية عمليّة هو مشرك ، ولكنّه من ناحية نظريّة هو يعتقد بالله ، ممكن أنّه يصلّي ، ولكن يشرب الخمر ، ويقول الله أكبر ، ويعتقد بالتّوحيد ، ولو سألته هل يوجد خالق غير الله ؟

يجيبك : لا ، أنا أعتقد أنّ خالق الكون هو الله فقط ، ولكنّه من ناحية عمليّة يكون مشركًا .

إذن هذه الآية تريد أن تبيّن الإيمان النّظريّ والشّرك العمليّ ،

---

[1] بحار الأنوار ج٦٩ ص٩٤ ح٥ .

فالإيمان يجتمع مع الشّرك ، الإيمان النّظريّ والشّرك العمليّ .

نأتي الآن إلى الإلحاد ، ونبدأ بسؤال :

ما هو الفرق بين الإلحاد النّظريّ والإلحاد العمليّ ؟

الجواب :

الإنسان الّذي لا يعتقد بوجود الإله الخالق – هو من ناحية نظريّة لا يعتقد ، وإذا رتّب الآثار العمليّة على هذا الاعتقاد النّظريّ فهو ملحد من ناحية عمليّة ، فيوجد عنده تطابق بين العمل والاعتقاد ، فهو ملحد نظريّ وملحد عمليّ .

وقلنا بأنّ دوكنز من ناحية نظريّة هو لاأدريّ مؤقّت ، ولكنّه من ناحية عمليّة يعمل على أساس أنّه لا يوجد إله ، أي يعمل على أساس أنّه ملحد ، فلا يوجد عنده تطابق بين العمل والنّظريّة .

وإذا كان الإنسان يعتقد بأيّ اعتقاد فالمفروض أنّه يرتّب الآثار العمليّة على هذا الاعتقاد ، فحينما يتعامل مع الأشياء من ناحية عمليّة فالمفروض أن يطبّق نظريّته الاعتقاديّة ؛ لكي يوجد تناسب بين العمل والنّظريّة ، وإذا لم يوجد توافق بين العمل والنّظريّة فهذا الاعتقاد النّظريّ عنده اعتقاد ضعيف غير راسخ ، مثلًا من يعتقد من ناحية نظريّة بوجود الله عزّ وجلّ ولا يعمل على أساس هذا الاعتقاد فاعتقاده ضعيف .

وإذا كان اعتقاد الإنسان قويًّا فإنّه يرتّب الآثار بدون تكلّف ولا تصنّع ، فحينما يُقْدِمُ على الصّلاة هو يدرك أنّ هذه الصّلاة لها

مكانة خاصّة عند الله ؛ لأنّ الصّلاة عمود الدّين ، ولكنّها عمود الدّين من ناحية عمليّة لا من ناحية نظريّة ، فالصّلاة هي العمود العمليّ للدّين ، فتكون الصّلاة على رأس العبادات العمليّة .

عن رسول الله صلّى الله عليه وآله : أوّل ما يُنْظَرُ في عمل العبد في يوم القيامة في صلاته ، فإن قُبِلَتْ نُظِرَ في غيرها ، وإن لم تُقْبَلْ لم يُنْظَرْ في عمله بشيء [1] .

وعنه صلّى الله عليه وآله : إنّ عمود الدّين الصّلاة ، وهي أوّل ما يُنْظَرُ فيه من عمل ابن آدم ، فإن صحّت نُظِرَ في عمله ، وإن لم تصح لم يُنْظَرْ في بقيّة عمله " [2] .

والبعض يقول بأنّه إذا كان الإنسان لا يصلّي فهو كافر فَيُقْتَلُ ، هو فهمه خاطئ من أنّ الصّلاة عمود الدّين أي أنّها عمود للدّين النّظريّ ، فإذا ترك الصّلاة فقد هدم الدّين من ناحية نظريّة ، لذلك يقول بكفره ووجوب قتله ، نقول لا ، إنّ هذه الرواية تريد أن تقول بأنّ الصّلاة عمود العبادات ، لا عمود الدّين النّظريّ ، وإنّما عمود الدّين العمليّ .

لذلك يقال في بعض المذاهب إنّ تارك الصّلاة يُقْتَلُ بسبب فهمهم الخاطئ للرّواية ، ويقال أيضًا بأنّه إذا كان الإنسان كسولًا حينما يؤدّي الصّلاة فإنّه يستتاب ثلاثة أيّام ، فإذا تاب يُتْرَكُ ، وإذا

---

[1] بحار الأنوار ج٧٩ ص٢٢٧ ح٥٣ .

[2] المصدر السّابق ح٥٤ .

لم يَتُبْ يُقْتَل .

أمّا في مدرسة أهل البيت عليهم السّلام فمن لا يصلّي يكون إنسانًا عاصيًا ، وحال الصّلاة حال بقيّة الواجبات ، لا تفرق من هذه الجهة ، والصّلاة عمود الدّين العمليّ أي عمود العبادات العمليّة ورأس العبادات العمليّة .

عن أبي جعفر الباقر عليه السّلام : . . . إنّ أوّل ما يُحَاسَبُ به العبد الصّلاة ، فإن قُبِلَتْ قُبِلَ ما سواها . . . [1] .

أي قُبِلَ ما سواها من العبادات ، لا أنّه قُبِلَ ما سواها من الأمور الدّينيّة النّظريّة ، وإنما قُبِلَ الدّين العمليّ ، فمن يترك الصّلاة يُعْتَبَرُ مسلمًا عاصيًا ، حاله حال من يشرب الخمر ، فهو مسلم عاصٍ ، وحاله حال من لا يصوم ، يكون مسلمًا عاصيًا ، نعم له حسابه عند الله تعالى ، ولكنّه لا يكون كافرًا ولا يُقْتَلُ بسبب أنّه لا يصلّي ، كما يقول به بعض مذاهب المسلمين ، لذلك يأتي إشكال من النّاس على الإسلام : لماذا يُقْتَلُ المسلم الّذي لا يصلّي ؟

وهذا الإشكال لا يَرِدُ على مدرسة أهل البيت عليهم السّلام ، فالصّلاة رأس العبادات العمليّة ، ومن يترك عبادة عمليّة فهو مسلم عاصٍ ، ولا يكون كافرًا ، ولا يُقْتَلُ .

إذن :

الإنسان الملحد حينما يلحد من ناحية نظريّة لا بدّ أن يوجد عنده

---

[1] الكافي ج٣ ص٢٦٨ ح٤ .

تطابق بين عمله ونظريّته الاعتقادية ، ولا بدّ أن نبحث عن الآثار العمليّة المترتّبة على الإلحاد النّظريّ ، مثلما نبحث عن الأعمال الّتي تترتّب على الإيمان النّظريّ .

سؤال : هل الإلحاد دين ؟

الجواب :

نعم الإلحاد عبارة عن دين ، لذلك يقول الله تعالى في كتابه الكريم مخاطبًا النّبيّ صلّى الله عليه وآله :

"قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ" [1] .

سؤال : ما هو الدّين ؟

الجواب :

الدّين عبارة عن مجموعة من الاعتقادات تترتّب عليها مجموعة من الأعمال ، فالمؤمن عنده اعتقادات وأعمال مترتّبة على اعتقاداته ، وكذلك الملحد عنده اعتقادات وأعمال ناشئة من اعتقاداته ، لذلك بناءً على هذا التّعريف فالإلحاد عبارة عن دين ، والملحد إنسان متديّن بدين الإلحاد ، فالملحد عنده اعتقادات ويرتّب عليها الآثار العمليّة ، والبعض قد يقول بأنّ الإلحاد ليس دينًا بناءً على تعريفات أخرى للدّين ، ولكنّ الآية الكريمة تبيّن أنّ الكفر والإلحاد عبارة عن

---

[1] الكافرون : ١-٦ .

دين ، فالنّبيّ صلّى الله عليه وآله يقول للكفّار : "**لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ**" ، فالكافر عنده دين ، والكافر هو الملحد .

إذن :

أيّ اعتقادات موجودة عند أيّ إنسان لها آثار عمليّة مترتّبة عليها ، وهذا الإنسان يُعْتَبَرُ صاحب دين ، ويكون متديّنا بهذا الدّين ، فلا يوجد إنسان بلا دين حتّى الإنسان الملحد ؛ لأنّ كلّ إنسان عنده مجموعة من الاعتقادات الّتي يترتّب عليها أعمال معيّنة .

ونقرأ هنا من بعض المصادر الفرق بين الإلحاد النّظريّ والإلحاد العمليّ .

ورد في الموسوعة الفلسفيّة العربيّة : الإلحاد العمليّ هو موقف كلّ من يتصرّف في هذه الحياة وكأنّ الله غير موجود ، وأمّا الإلحاد النّظريّ فهو مذهب كلّ من يسلب عن الله صفة الوجود أو لا يُقِرُّ له بها ، وغالبًا ما يوصف الإلحاد العمليّ الخالص كذلك شأن الإلحاد النّظريّ إذا ما اقترن بسلوك عمليّ ، وهنا نكون أقرب إلى المجون أو الزّندقة ، ولكن هذا لا يعني أن كلّ إلحاد هو بالضّرورة موقف أو مذهب لا أخلاقيّ ، فَكُثُرٌ هم فلاسفة الإلحاد الّذين تطلّعوا إلى الاستعاضة عن الأخلاق الدّينيّة بأخلاق مدنيّة أو علمانيّة ، أي بمذاهب تبغي بناء سلالم جديدة للقيم ، وليس التّحلّل من كلّ قيمة ، والواقع أنّ اللاأخلاقيّة ليست صفة الإلحاد المباطِنة له

بقدر ما هي تهمته المقترِنة [1] .

ليس جميع الملحدين من الفاسدين أخلاقيًّا ، فبعضهم يتمسّك بالأخلاق والقيم والمبادئ الإنسانيّة العامّة ، ويطرحون نظريّات جديدة في الأخلاق المدنيّة أو الأخلاق العلمانيّة في مقابل الأخلاق الدّينيّة ، ولا يقولون بالتّحلّل من جميع القيم والمبادئ ، ويحاولون أن يبنوا أخلاقًا جديدةً ، فينادون بالأخلاق والمبادئ الإنسانيّة العامّة ، وهذه المبادئ الإنسانيّة العامّة موجودة في الأديان أيضًا ، والإسلام يطرح الأخلاق ضمن المبادئ والقيم الإنسانيّة العامّة ، لذلك هي أخلاق ومبادئ وقيم عالميّة ، وهذا يحتاج إلى بحث في الآيات القرآنيّة الّتي تدعو إلى الأخلاق لنرى هل هي أخلاق عالميّة أو أخلاق محلّيّة .

وسيأتي بحث مستقلّ عن موضوع "الأخلاق والقيم والمبادئ العالميّة في القرآن" ، نأتي بجميع الآيات الّتي تتحدّث عن المبادئ العالميّة ، ونحتاج إلى بيان "النّظريّة الأخلاقيّة في القرآن" ، فنأتي بجميع الآيات الّتي تتحدّث عن الأخلاق لنبيّن النّظريّة الأخلاقيّة في القرآن ، وهذا سيأتي في بحوث الفقه الأخلاقيّ حينما ننتهي من بحوث الفقه العقائديّ .

إذن القول بأنّ كلّ ملحد يكون فاسدًا من ناحية أخلاقيّة ليست مقولة صحيحة ، بل يوجد ملحدون متمسّكون بالأخلاق ، مثلًا يحسن إلى جاره ولا يقبل الفساد الأخلاقيّ ، فلا يقبل بالزّنا والسّرقة ،

---

[1] الموسوعة الفلسفيّة العربيّة ج٢ ص١٦٨ .

فهم لا يتبنّون اللّاأخلاقيّة ، لذلك يدعون إلى الأخلاق والمبادئ الإنسانيّة العامّة ، فاللّاأخلاقيّة ليست صفة ملازمة للإلحاد ، بل هي تهمة منسوبة للإلحاد ؛ لأن ليس جميع الملحدين فاسدين أخلاقيًّا .

نعم بعض الملحدين يريدون التّحلّل والانفلات من جميع الأخلاق ، يذهب إلى الإلحاد لا لأنّه مقتنع بالإلحاد ، ولكن لا يريد أيّ تكبيل وتقييد ، فيعتبر الصّلاة والصّيام قيودًا ، ولو سألته عن دليله على الإلحاد تجده لا يملك جوابًا ، وقد يكون أكثر المسلمين الّذين يلحدون من هذا القسم الّذي لا يريد قيودًا دينيّة ، يريدون التّحلّل ، وأمّا المفكّرون الملحدون فإنّهم يطرحون الأدلّة لإثبات الإلحاد ، وأمّا أولئك فلا توجد عندهم أدلّة ، وحين النّقاش لا تصل معهم إلى نتيجة ، فهم يكرّرون كلمات الملحدين الغربيّين ، وحينما تقيم له الأدلّة على وجود الإله لا يعرف كيف يردّ على هذه الأدلّة ، ومن يقول بأنّه ملحد لا بدّ أن تكون عنده الأدلّة على إثبات الإلحاد ، وعنده الرّدود على أدلّة المؤمنين بوجود الإله ، فيبيّن أدلّته الّتي تثبت عدم وجود الإله ، ويناقش أدلّة إثبات وجود الإله ، فعنده الأدلّة النّافية لوجود الإله والرّدّ على الأدلّة المثبِتة لوجود الإله ، وهذا هو الإنسان الملحد المفكّر الّذي توجد عنده الأدلّة النّافية والرّدّ على الأدلّة المثبِتة .

وإذا لم تكن عنده الأدلّة النّافية والرّدّ على الأدلة المثبِتة فهو في الواقع ليس ملحدًا حقيقيًّا ، ودوكنز يقول بأنّه لا توجد عنده أدلّة

على عدم وجود الإله ، ولكن يعمل كأنّ الإله غير موجود ، بل هو طرح في مقابلاته احتمال وجود الإله حتّى لو كان الاحتمال ضعيفًا ، فالاحتمال الأكبر يكون لعدم وجود الإله ، والاحتمال الأصغر يكون لوجود الإله ، فدوكنز من ناحية نظريّة ليس ملحدًا نظريًّا ، بل هو لاأدريّ مؤقّت ، وينتظر الدّليل على إثبات وجود الإله ، ولكنّه من ناحية عمليّة ملحد عمليّ ، وإذا ثبت عنده الدّليل على وجود الإله فإنّه سينتقل من اللّاأدريّة إلى الإيمان ، فهو لحدّ الآن لا يوجد عنده دليل على وجود الإله ، ولكنّه جالس على السّياج ينتظر الدّليل الّذي يثبت وجود الإله .

ورد في الموسوعة الفلسفيّة العربيّة في مقالة كتبها حسن حنفي يقول فيها : والملحد هو الشّخص الّذي لا يؤمن بالآلهة المعترف بها في بلدته ، ولا يخضع لطقوس عبادتها ، وهذا هو المعنى الدّينيّ ، فالإلحاد يساوي الكفر ، وكذلك يُقْصَدُ به من لا يؤمن بوجود الله ، ويسمّى ملحدًا نظريًّا ، أو الّذي يحيا ويتصرّف كما لو لم يكن الله موجودًا ، فهو ملحد من النّاحية العمليّة . . . وهذا الملحد العمليّ يطلق عليه لفظ فاسق [1] .

يؤمنون بإله واحد أو عدّة آلهة ، وعند الإغريق وُجِدَتْ عدّة آلهة ، إله البحر ، وإله المطر ، وإله القوّة ، وإلهة الجمال ، ولو نبحث تاريخيًّا نجد أنّ هؤلاء جعلوا الملائكة آلهة ، فهناك ملائكة مسئولة عن

---

[1] الموسوعة الفلسفيّة العربيّة ج١ ص٨٧ .

البحـار ، وملائكـة مسـئولة عـن المطـر ، فهـم في اعتقـاداتهم حوّلـوا الملائكـة إلى آلهـة ، وهـذا يحتـاج إلى بحـث تاريخـيّ ، فالمَلَـك المسئول عن المطر حوّلوه إلى إله المطر ، وهكذا في إله الرياح ، وأعطوهم أسماء مثل زيوس ملك الآلهة وحاكمها وهو إله الرعد والبرق ، وأبولو إله الشمس والفنون ، وأثينا إلهة الحكمة ، وآريس إله الحرب والانتقام ، ونبتون إله البحار [١] .

وبعض هـذه الآلهـة في الواقـع عبـارة عـن ملائكـة ، ولكـن تـدريجيًّا تحوّلـت الملائكـة في اعتقـاداتهم إلى آلهـة ، وأضـافوا إليهـا آلهـة أخـرى ، فصار عندهم تعدّد في الإله .

والإلحاد هو الكفر ، ويمكن أن نبحث بحثًا قرآنيًّا في آيات الكفر لنرى أنّه هل يوجد كفر نظريّ وكفر عمليّ ، فالمشركون في مكّة كـانوا يعتقـدون بالله ، ولكـنّهم يعبـدون الأصـنام ليقرّبـوهم زلفـى إلى الله ، كالواسـطة بـين الإنسـان والله ، بالإضـافة إلى أنّ هنـاك كفّـارًا لا يعتقدون بالله تعالى .

نتائج البحث :

النّتيجة الأولى :

يتبـيّن بأنّـه لا يوجـد أيّ ملحـد نظـريّ ؛ لأنّـه لا يوجـد أيّ دليـل قطعـيّ على عـدم وجـود الإلـه ، ففـي الواقـع لا يوجـد ملحـد نظـريّ ، وكلّ ما هو موجود هو احتمال عدم وجود الإله ، وفي المقابل يوجد

---

[١] أسماء آلهة الإغريق أخذتها من موقع ar.m.wikipedia.org .

احتمال وجود الإله ، والّذين يقولون بالإلحاد في العالم هم ملحدون عمليًّا أي يتعاملون مع الحياة كأنّ الإله غير موجود لا أنّهم يقطعون بعدم وجود الإله من ناحية نظريّة ، ورأس الإلحاد دوكنز ليس ملحدًا نظريًّا بل هو ملحد عمليّ ، فمن ناحية نظريّة لا يوجد أيّ ملحد نظري ، والملحدون الموجودون في العالم هم ملحدون من ناحية عمليّة فقط .

النّتيجة الثّانية :

لا توجد ملازمة بين الإلحاد والمجون واللّاأخلاق ، فقد يكون ملحدًا ، ولكن يكون متخلّقًا بالأخلاق الإنسانيّة وملتزمًا بالقيم العامّة ، ولا يسلك طريق المجون والفساد والانحراف .

أقسام العلم النّظريّ :

يوجد قسمان :

القسم الأوّل : العلم النّظريّ المرتبط بالإله :

هذا القسم يتعلّق بالأصل الأوّل من أصول اعتقاداتنا ، والملحد ينفي وجود الإله ، وهنا يتمّ البحث عن وجود الإله ، وحينما يكون نقاشنا في القسم الأوّل لا ننتقل إلى المباحث الأخرى ، أوّلًا لا بدّ أن يكون البحث معهم عن وجود الإله وعدم وجود الإله ، والبعض في كثير من الأحيان يقفز إلى أبحاث تالية ، مثلًا ملحد يريد أن يناقش في النّبوّة ، نقول لا ، لا بدّ أن نناقش أوّلًا في الألوهيّة قبل الانتقال إلى مباحث النّبوّة ، أو يريد أن يناقش في الإمامة ، أو يناقش في

المعاد ، أوّل بحث بيننا هو الإله ، وننتهي من هذا البحث ، وبعد ذلك ننتقل إلى البحوث الأخرى إذا وصلنا إلى نتيجة في بحث الإله .

والبحوث عن وجود الإله الخالق ستأتي فيما بعد إن شاء الله ؛ لكي نقيم الأدلّة على وجود الإله .

القسم الثّاني : العلم النّظريّ المرتبط بالنّبوّة :

وهذا القسم يتعلّق بالأصل الثّاني من أصول اعتقاداتنا ، وهو النّبوّة ، فهو يعتقد بوجود الإله ، أي يكون ربوبيًّا ، ولكنّه ينفي النّبوّة ، فهو لا يعتقد بوجود الأنبياء ولا يعترف بالأديان ، وهنا لا يأتي البحث معه عن وجود الإله لأنّه يعتقد بوجود الإله ، وإنّما يتمّ البحث معه عن وجود الأنبياء والأديان ، فهو يقول بأنّ الأنبياء أشخاص ادّعوا النّبوّة ، وأنّه لا وجود للأديان ، فالأديان صنيعة الأشخاص الّذين ادّعوا النّبوّة ، وأنّ الأديان ليست من هذا الإله ، نعم هو خالق للكون ، ولكنّه لم يرسل أنبياء ولم يؤسّس الأديان .

وستأتي البحوث عن النّبوّة وعن الأديان فيما بعد إن شاء الله ، وأوّل بحث سيكون عن فلسفة الأديان .

يقول الدّكتور رمسيس عوض في كتابه "ملحدون محدَثون ومعاصِرون" : والإلحاد كلمة غامضة ليس لها مدلول محدّد ، يطلقها البعض على الّذين ينكرون الدّين ، وفي حين يرى آخرون أنّها تطلق فقط على الّذين ينكرون وجود الله ، والقارئ لهذا الكتاب سوف يدرك أنّ عددًا كبيرًا من الفلاسفة ممّن ينكرون الدّين المُنْزَل لا

ينكرون وجود الله ، ولهذا يصعب وصفهم بالملحدين [١] .

إنّ من ينكر النّبوّة والأديان ويعتقد بالإله يُعْتَبَرُ من الرّبوبيّين لا من الملحدين ، فالملحد هو خصوص من ينكر وجود الإله ، ولا نقول إنّهم ينكرون وجود الله فقط ؛ لكي يكون موضوعنا عامًّا شاملًا لكلّ من ينكر وجود الإله لا خصوص من ينكر وجود الله فقط .

يقول محمّد محمود فيّ كتابه "نبوّة محمّد التّاريخ والصّناعة مدخل لقراءة نقديّة : وننطلق في كتابنا هذا في النّظر إلى نبوّة محمّد وللنّبوّة عامّة من افتراض أوّلي مؤدّاه أنّ النّبوّة ظاهرة إنسانيّة صرفة ، وأنّ الإله الّذي تتحدّث عنه النّبوّة لم يُحْدِثِ النّبوّة ويصنعها ، وإنّما النّبوّة هي الّتي أحدثت إلهها وصنعته [٢] .

ويقول في ص٤٥٠ : وسيبقى واقع التّشوّه والانقسام الأخلاقيّ المرتبط بالنّبوّة حيًّا طالما بقيت النّبوّة حيّةً في عقول النّاس ، ولن يزول إلّا عندما تموت النّبوّة وتتحرّر عقول النّاس وأفئدتهم من ذاكرتها وعبئها وميراثها .

يقول المؤلّف : "النّبوّة ظاهرة إنسانيّة صرفة" أي أنّ هؤلاء يدّعون النّبوّة ، نردّ على قوله ونقول بأنّ النّبوّة ظاهرة إلهيّة صرفة ؛ لأنّهم مبعوثون من الإله عزّ وجلّ .

ويقول المؤلف : "وإنّما النّبوّة هي الّتي أحدثت إلهها وصنعته" ، أي

---

[١] ملحدون محدَثون ومعاصِرون ، في آخر جلد الكتاب .

[٢] نبوّة محمّد التّاريخ والصّناعة مدخل لقراءة نقديّة ، في المقدّمة .

أنّ من ادّعوا النّبوّة قالوا بأنّه يوجد إله وأنّ الإله بهذه الصّفات ، لا أنّ الإله أرسل هؤلاء الأنبياء ، نردّ على قوله ونقول بأنّ الأنبياء والرّسل على مرّ التاريخ كانوا يدعون إلى إله واحد لا شريك له ، فكلّهم يدعون إلى إله واحد ، وعدد الأنبياء ١٢٤ ألف نبيّ كما في بعض الرّوايات ، والأنبياء المذكورون في القرآن كانت دعوتهم دائمًا إلى إله واحد ، لا أنّ كلّ نبيّ كان يصنع إلهًا خاصًّا به ، كانوا كلّهم متّفقين على إله واحد ، لا أنّ كلّ إنسان يدّعي النّبوّة يطرح إلهًا خاصًّا ، فدعوتهم إلى إله واحد معناه أنّ جميعهم مبعوثون من إله واحد ، وهذا إشكال يَرِدُ على رأي المؤلّف ، فما هو ردّ المؤلّف على أنّ جميع الأنبياء يدعون إلى إله واحد ؟

اتّجاهات النّافين لوجود الإله :

النّافون لوجود الإله على اتّجاهين :

الاتّجاه الأوّل : وجود الإله حدوثًا لا بقاءً :

هم يؤمنون بوجود الإله ، ولكنّهم يقولون بوجود الإله حدوثًا لا بقاءً ، فالإله كان موجودًا ، ويقولون الآن بموته ، كما هو قول نيتشه حيث يقول بموت الإله ، فهذا الاتّجاه يعتقد بوجود الإله حدوثًا ، وعدم وجوده بقاءً ، فالإله كان موجودًا سابقا ، ولكنّه الآن غير موجود ، فهو خلق الكون ثمّ تركه ، وجعل قوانين معيّنة ورفع يده عن إدارة الكون ، والقوانين هي الّتي تدير الكون ، فالكون يحتاج إلى الإله ابتداءً في الحدوث فقط ، ولا يحتاجه في البقاء والاستمرار ،

وبعض علماء المسلمين يقولون بأنّ الله خلق الكون ثمّ تركه ، فالكون يحتاج إلى الإله حدوثًا لا بقاءً .

ويمكن مراجعة الكتب التّالية :

الله في الفلسفة الحديثة [1] ، تأليف : جيمس كولينز ، ترجمة : فؤاد كامل ، تحت عنوان : نيتشه والتّبشير بموت الإله ، ص٣٦٤ .

ملحدون محدَثون ومعاصرون ، تأليف : الدّكتور رمسيس عوض ، ص٢٠ .

موسوعة الفلسفة ، تأليف : الدّكتور عبدالرّحمن بدويّ ، ج٢ ص٥٠٩ سيرة نيتشه .

الاتّجاه الثّاني : عدم وجود الإله حدوثًا وبقاءً :

هم يؤمنون بعدم وجود الإله حدوثًا وبقاءً ، فالإله ليس موجودًا لا سابقًا ولا حاليًّا ، فلا يوجد إله أبدًا لا في الماضي ولا في الحاضر ولا في المستقبل .

وهنا لا بدّ أن يبيّن أصحاب الاتّجاه الثّاني كيف وُجِدَ الكون ، مثلًا يقولون بأنّ الطّبيعة أوجدت نفسها ، ولكن إذا كان الكون حادثًا فلا بدّ من وجود مُحْدِث لأنّ الكون ليس أزليًّا ، فالكون إذا كان قد بدأ من الانفجار العظيم فهناك بداية للكون ، وإذا كان

---

[1] لا بدّ أن تكون التّرجمة : الإله في الفلسفة الحديثة ، ولكنّهم يترجمون كلمة God إلى الله ، مع أنّ الكتّاب الغربيّين لا يعرفون الله ، وإنّما يعرفون الإله ، نعم نحن المسلمين نعتقد بأنّ الإله الخالق للكون هو الله تعالى .

يوجد بداية للكون فلا بدّ من وجود المُحْدِث والصّانع والخالق ، فإذا قلنا بأنّ الطّبيعة هي الخالق فتكون الطّبيعة هي الإله ، فنكون متّفقين على وجود الإله ، والاختلاف بيننا في مصداق الإله ، المؤمنون بوجود الإله يقولون إنّ الإله ليس جزءًا من الكون ، فهو الّذي أوجد الكون ، والّذين يؤمنون بأنّ الطّبيعة أوجدت نفسها فالطبيعة هي الإله ، وهو موجود ضمن الكون ، فنحن متّفقون على وجود الإله ، ولكنّ الاختلاف في أنّ هذا الإله هو ضمن الكون أو ليس جزءًا من الكون ، ولا يوجد بيننا اختلاف على أصل وجود الإله .

إذن :

لا أحد ينكر أصل وجود الإله ، فالإله موجود ، ولكنّ الاختلاف بين الجميع في مصداق هذا الإله ، وبعض الأديان الوضعيّة قد يؤمنون أيضًا بوجود الإله ، ولكن له مصداق آخر ، وهذا الإله حسب الدّيانات الهنديّة قد يكون كريشنا أو يطرحون إلهًا آخر ، وقد يجسّمون هذا الإله ، فالإله موجود عند الجميع ، ولكنّهم يختلفون في تحديد المصداق ، وبعض الأديان الوضعيّة لم تتعرّض للإله خالق الكون ، يقال إنّ البوذيّة لم تتكلّم عن الإله ، فالدّين البوذيّ عبارة عن مواعظ وحكم ، ونحتاج إلى بحث في الأديان الوضعيّة لنعرف عقائدها بالضّبط من خلال كتبهم المقدّسة أو الكتب الّتي يعتمدون عليها .

وبالنسبة للنّافين لوجود الإله يوجد اتّجاهان : النّفي بقاءً ، والنّفي

حدوثًا وبقاءً .

اتّجاهات منكري النّبوّة :

في منكري النّبوّة يوجد اتّجاهان أيضًا :

الاتّجاه الأوّل : إنكار النّبوّة بقاءً لا حدوثًا :

اتّجاه ينكر وجود النّبوّة بقاءً لا حدوثًا ، نعم كان يوجد أنبياء سابقون ، ولكنّ الآن لا نحتاج إلى النّبوّة ، والبعض يقول بأنّ عقل الإنسان نما ونضج بمقدار يكفي أن يكون هو النّبيّ ، فلا نحتاج إلى أنبياء مبعوثين من الإله ، فعقل الإنسان الآن ناضج ويستطيع أن يشرّع الأحكام والتّعاليم ، فنستغني عن النّبوّة ، فالنّبيّ صلّى الله عليه وآله كان مُرْسَلًا ، ولكنّ العقل البشريّ اليوم لا يحتاج إلى الأنبياء ، فلا نحتاج إلى الأنبياء بقاءً .

الاتّجاه الثّاني : إنكار النّبوّة حدوثًا وبقاءً :

هذا الاتّجاه ينكر وجود النّبوّة حدوثًا وبقاءً ، فلا نحتاج إلى الأنبياء لا حدوثًا ولا بقاءً ، نعم نعتقد بوجود الإله ، ولكنّ الإله لم يُرْسِلْ أنبياء ، وهؤلاء الأشخاص هم مدّعون للنّبوّة ، طرحوا أحكامًا ، ونحن بعقولنا يمكن أن نصل إلى وضع التّشريعات والقوانين والأحكام .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

عالميّة الإسلام

(٤٧)

من هم اللّاأدريّون ؟ [١]

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

اللّاأدريّون :

هم الّذين ينفون أدلّة القائلين بوجود الإله ، ويقولون بأنّه لا يوجد دليل على وجود الإله ، ولا يقولون بأنّه يوجد دليل على عدم وجود الإله ، فلا يوجد عندهم دليل على وجود الإله ، ولا دليل على عدم وجود الإله ، فهم لاأدريّون يشكّون في وجود الإله ، لا يثبتون ولا ينفون ، فلا توجد عندهم أدلّة لا على الإثبات ولا على النّفي ، ولا يوجد عندهم دليل على اللّاأدريّة ، بل لأنّه لم يثبت عندهم لا وجود الإله ولا عدم وجود الإله فصاروا لاأدريّين ، لا يدرون أنّ الإله موجود أو غير موجود ، وبعضهم يعيش الحيرة والتّردّد .

---

[١] أُلْقِيَتْ هذه المحاضرة في الدّيوانيّة الأسبوعيّة في منطقة بيان ، الجمعة ٢٨ رجب ١٤٤٠ هـ ، الموافق ٢٠١٩/٤/٥ م .

يقـول الـدّكتور رمسـيس عـوض في كتابـه "الإلحـاد في الغـرب" : جورج جاكوب هوليوك George Jacob Holyoake المتوفّى ١٩٠٦ م ، حُكِمَ عليه بالسّجن فدخل عليه قسّيس ، ودار بينهما الحوار التّالي : القسّيس قال له : هل أنت حقيقةً ملحد يا مستر هليوك ؟ أجابه : نعم ، إنّي كذلك . قال له القسّيس : هل تنكر وجود الله (الإله) ؟ أجابه : هذا غير صحيح ، فأنا أنكر أنّ هناك أسبابًا كافيةً للإيمان بوجوده . القسّيس قال : يسعدني للغاية أن أجد أنّه ليس لديك الشّجاعة أن تنكر وجود الله (الإله) . فأجابه : وإنّه ليؤسفني أن أجد أنّ لديك الشّجاعة أن تقول بوجود إله ، فلأنّه من السّخف أن أنكر ما لا أستطيع التّدليل عليه ، فإنّ من غير اللّائق بك أن تؤكّد بشكل قاطع ما لا تستطيع إثباته [١] .

هو ملحد ، ولكنّه لا ينكر وجود الإله ، هو يقول بأنّ الأدلّة الّتي يقول بها المثبتون لوجود الإله غير كافية للإيمان به ، فلا يقبل أدلّة المثبتين لوجود الإله ، فقد تكون أدلّتهم في ذاك الزّمان أدلّة ضعيفة لا تثبت وجود الإله ، ومع عدم وجود الدّليل على وجود الإله لا يثبت ولا ينفي ، فهو ينكر وجود الإله لعدم وجود الأدلّة الّتي تثبت وجود الإله ، لا أنّه ينكر أصل وجود الإله ، فإذا جاءت أدلّة قويّة تثبت وجود الإله سيقول بوجود الإله ، ويقول للقسّيس أنت تؤمن بوجود الإله مع أنّه لا يوجد عندك دليل على وجوده ، والأدلّة الّتي تقيمونها

---

[١] الإلحاد في الغرب ص٢٣٨و٢٤٦ .

ليست أدلّة كافية ، فهو لا يثبت وجود الإله ولا ينفي وجوده بسبب عدم وجود الأدلّة لا على الإثبات ولا على النّفي ، فهو ألحد بسبب عدم وجود أدلّة كافية تثبت وجود الإله ، فلم يَقُمِ الدّليل عنده لا على وجود الإله ولا على نفي الإله ، فهو في واقعه لاأدريّ وإن كان يسمّي نفسه ملحدًا .

إذن :

من يريد أن يثبت وجود الإله فلا بدّ أن يقيم أدلّة قويّة بحيث إنّ الطّرف الآخر لا يمكنه إنكار هذه الأدلّة .

ولو نسأل المسلمين : ما هي الأدلّة على وجود الله ؟

لا بدّ أن يأتوا بأدلّة قويّة بحيث لا يمكن إنكارها من أيّ أحد ، وكم مسلم يمكنه الإجابة على هذا السّؤال ؟

وإذا لم يكن عنده الدّليل على وجود الله فمعناه أنّه آمن بالله بالوراثة ، لم يفكّر بالأدلّة الّتي تدلّ على وجود الله ، ووجود الله ليست من الأمور الّتي تقبل الوراثة أو التّقليد ، ويقال إنّه في أصول العقائد لا يصحّ التّقليد ، فلا يكفي أن يقول إنّ العالم الفلانيّ يقول بوجود الله فأنا أقول بوجود الله ، لا بدّ أن يفكر بنفسه بحيث يصل إلى إثبات وجود الله ، ولا بدّ أن تكون الأدلّة قويّة وواضحة ، والآن استقرئ بين المسلمين ، كم مسلم يمكنه أن يثبت وجود الله عزّ وجلّ ؟

نجد أنّهم قد أخذوه بالوراثة من الآباء والأجداد ، أو التّقليد بأخذ آراء العلماء ، إلّا القليل من المسلمين الّذين يفكّرون بهذه المسائل .

وكذلك من يتّخذ مذهبًا معيّنًا ومدرسة معيّنة نسأله أيضًا : ما هو الدّليل على صحّة هذا المذهب وهذه المدرسة ؟

لا بدّ أن يكون عنده الدّليل ، وإلّا فإنّه يكون منتميًا إلى هذا المذهب وهذه المدرسة بالوراثة ، لأنّ أبي كان من هذا المذهب فأنا على سيرة أبي ، أبي كان سنّيًّا فأنا على سنّة أبي ، أبي كان شيعيًّا فأنا على تراث أبي ، أبي كان زيديًّا فأنا زيديّ ، أبي كان إسماعيليًّا فأنا إسماعيليّ ، أبي كان إباضيًّا فأنا إباضيّ ، وهؤلاء موجودون بكثرة في جميع المذاهب والمدارس ، وبعض الشّيعة شيعة بالاسم ، كما أنّ بعض السّنّة سنّة بالاسم ، وكذلك في بقيّة المذاهب .

لو تسأله عن أمور المذهب الّذي يدّعي بأنّه منه لا يعرف عنه شيئًا ؛ لأنّهم لم يتفكّروا في هذه الأمور ، هذا يقول أنا شيعيّ وأفتخر ، وذاك يقول أنا سنّيّ وأفتخر ، واليهوديّ يقول وأنا أفتخر ، والمسيحيّ يقول أنا أفتخر أنّي مسيحي ، والبوذي يفتخر أيضًا ببوذيّته .

وكلّ من ينتمي إلى دين لا بدّ أن يقيم الدّليل على صحّة دينه ، حتّى المسيحيّ لا بدّ أن يكون عنده الدّليل ، فحينما تسأله عن أنّ الإله مركّب من ثلاثة لا بدّ أن يقيم الدّليل على صحّة ذلك ، والدّليل لا بدّ أن يكون دليلًا مُقْنِعًا بحيث إنّ الطّرف الآخر لا يستطيع أن ينكر أو يردّ عليه .

لا بدّ أن يأتي كلّ طرف للطّرف الآخر بأدلّة واضحة مقبولة ،

فحينما يأتي بدليل عقليّ قطعيّ فلا بدّ أنّ عقل الطّرف الآخر يقبل ، ويقول إنّ عقلي يسلّم بهذا الدّليل ، يأتي بدليل فطريّ فلا بدّ أنّ فطرة الطّرف الآخر تقبل ، يقول نعم هذا الأمر الفطريّ موجود عندي ، لذلك لا بدّ أن تكون الأدلّة واضحة بحيث لا تَرِدُ عليها إشكالات ، ولا بدّ أن نفكّر بهذه الأدلّة .

ونسأل : كيف يمكن أن نقيم الأدلّة على وجود الإله بحيث تكون هذه الأدلّة واضحة ومقبولة للجميع بحيث لا يستطيعون إنكارها ؟

وسنأتي بعد ذلك إلى بيان الأدلّة الفطريّة والأدلّة العقلية على إثبات وجود الإله .

سؤال : هل داروين كان ملحدًا أو لاأدريًّا ؟

الجواب :

ورد في الموسوعة الفلسفيّة العربيّة قول داروين : في تذبذباتي الكبرى لم أصل قطّ إلى الإلحاد بالمعنى الصّحيح لهذا اللّفظ ، أي إنكار وجود الله (الصّحيح أن يُتَرْجَمَ إلى وجود الإله) ، لكنّي أعتقد على وجه العموم وكلّما امتدّ بي العمر أنّ الوصف الأدقّ لحالتي العقليّة هو اللّاأدريّة [1] .

أهمّ الأدلّة الّتي يتمسّك بها الملحدون :

من أهمّ الأدلّة الّتي يتمسّك بها الملحدون لنفي وجود الإله دليلان :

---

[1] الموسوعة الفلسفيّة العربيّة ج٢ ص١٧١ .

الدّليل الأوّل : نظريّة التّطوّر :

نظريّة التّطوّر لداروين مع أنّ صاحب النّظريّة لا يرى تلازمًا بين نظريّة النّشوء والارتقاء والتّطوّر وبين نفي وجود الإله ، وسيأتي نقاش هذا الدّليل فيما بعد ، ونظريّة التّطوّر يستدلّ بها الملحدون ، ولكنّ داروين لم يكن ملحدًا ، وإنّما هو من اللّاأدريّين ، وحينما طرح نظريّته لم يكن بصدد أن يثبت الإلحاد ، وإنّما كان يبحث بحثًا علميًّا ، ومن خلال ما وصل إليه من أدلّة تبنّى هذه النّظريّة ، فرأى التّطوّر الموجود في الكائنات فاستنتج هذه النّظريّة .

وأنت كإنسان مسلم خذ المعلومات الّتي جمعها واعط تفسيرًا آخر لهذا التّطوّر الموجود في الكائنات ، وفكّر هل يمكن أن تأتي بإشكالات على نظريّة التّطوّر ، لا مباشرةً ينكر هذه النّظريّة ، وإذا سألناه ما هو الدّليل على رفضك لهذه النّظريّة – يقول لا يوجد عندي دليل .

إنّ داروين جمع معلومات لمدّة خمس سنوات ، انتقل من أوروبّا إلى أمريكا على سفينة ، ومجموع رحلته استغرقت خمس سنوات ، وهذا الجهد منه يُثَمَّنُ وَيُقَدَّرُ ، عالم من علماء الطّبيعة يبحث مدّة خمس سنوات ، ويمكن لنا كمسلمين أن نستفيد من داروين من أنّ الإنسان عنده إرادة وجهد لمدّة خمس سنوات يبذلها في شيء معيّن ، فنقدّره على ذلك ، بغضّ النّظر عن النّتيجة الّتي وصل إليها ، جمع معلومات كثيرة جدًّا ، ثمّ فسّر هذه المعلومات ، أنت لا تقبل التّفسير

والنظريّة ، ولكن يمكنك أن تأخذ هذه المعلومات وتعطي تفسيرًا آخر للتّطوّر الظّاهريّ الموجود في الكائنات ، بالإضافة إلى أنّه هل توجد عندك إشكالات على نظريّته ؟

وسيأتي هذا البحث حينما نتناول نظريّة التّطوّر لداروين ، سنطرح نبذة عن هذه النّظريّة ونناقشها ، وتوجد فيديوات كثيرة على اليوتيوب في بيان نظريّة داروين والرّدود عليها ، وتوجد عشرات المحاضرات عن النّظريّة ، مثلًا الأستاذ عدنان إبراهيم شرح نظريّة التّطوّر في ثلاثين محاضرة ، يمكن الرّجوع إلى محاضراته ، ويوجد كثير من المحاضرين تكلّموا بين قابل لها ورادّ عليها ، ولكنّ القول بأنّها نظريّة أتت من الغرب فلا نقبلها هذا القول غير صحيح ، لا بدّ أن نردّ على أيّ نظريّة ردًّا علميًّا .

وإذا قلنا بأنّ كلّ ما يأتي من الغرب يكون مرفوضًا فلا بدّ أن نرفض جميع الاختراعات الحديثة .

وبعض الأشخاص عندهم أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله كان يعيش بطريقة معيّنة فلا بدّ أن نعيش في زماننا بنفس الكيفيّة ، والبعض يقولون بأنّ الإمام المهديّ عليه السّلام سوف يخرج بالسّيف ، نقول بأنّ السّيف كناية عن السّلاح ، ويقولون بأنّ المخترعات الحديثة كلّها لا بدّ أن تزول ويبدأ الإمام عليه السّلام من الصّفر ، ويقولون المفروض أنّنا في زماننا نعيش كما كان يعيش النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، ولو سألناهم : هل البيوت الّتي تعيشون فيها مبنيّة من الطّين ؟

يقولون : لا .

هل تنتقلون بواسطة الفرس أو السّيّارة ؟

يقولون : السّيّارة .

هل تستعملون الهاتف النّقّال ؟

يقولون : نعم .

هل عندكم في البيت مصابيح كهربائيّة ؟

يقولون : نعم .

هل تطبخون بالفرن الغازيّ ؟

يقولون : نعم .

إذن :

كيف تدعون إلى شيء أنتم لا تطبّقونه ؟!!

لا تدعو إلى شيء تعتقد به ، ولكن لا تطبّقه ، وتطلب من الآخرين أن يلتزموا بكيفيّة معيشة النّبيّ صلّى الله عليه وآله وأنت لا تلتزم بها .

كان النّبيّ صلّى الله عليه وآله يستعمل الوسائل الموجودة في زمانه ، كانوا يطبخون بواسطة الخشب ، ولو جاء النّبيّ صلّى الله عليه وآله إلى زماننا فإنّه سيستعمل الفرن الغازيّ لأنّ هذه هي وسيلة الطّبخ في هذا الزّمان ، ويستعمل الهاتف النّقّال ، وينتقل بواسطة السّيّارة ، لا أنّه يستعمل الدّوابّ .

هذه كلّها وسائل تتطوّر عبر الزّمان ، والإنسان يأخذ بوسائل

عصره المتوفّرة في زمانه ، وإذا كان يريد أن يطبخ على الخشب فالمفروض أن لا يستعمل الكبريت ، وإنّما يشعل النّار بواسطة اصطكاك حجرين أو يدير الخشبة مدّة ساعة إلى أن تشتعل النّار .

هذه عبارة عن وسائل ، وهذه الوسائل تعتمد عليها ، نعم تستفيد منها في طريق الخير ، وجميع الأجهزة الموجودة اليوم نستعملها في طريق الخير وإن كان هناك تخطيط شيطانيّ بأن يكون هناك انحراف للبشريّة ، ولكن أنت كفرد مؤمن يمكنك أن تستعمل الوسائل في الخير ، الكاميرا والميكروفون والمسجّلة نستفيد منها في نشر هذه المحاضرات ، ونحمّلها على اليوتيوب لكي يرى العالم هذا الفيديو ، ويمكن لنا أن ننشر أفكارنا الدّينيّة ، فهي عبارة عن وسائل نستفيد منها ، ولكن نجعلها في طريق الخير .

والإمام المهديّ عليه السّلام حينما يظهر يجعل جميع هذه الوسائل في طريق هداية البشرية ، فالمواقع الإباحيّة على الإنترنت والّتي تقدّر بنسبة ٣٠% من المواقع ستزال كلّها ، وحينما يدخل الشّخص إلى الإنترنت يستفيد بحيث يعطيه هداية أكثر ، والإنسان المنحرف لا يجد أمامه وسيلة إلى الانحراف والفساد ، والإمام عليه السّلام يستفيد من وسائل العصر في نشر الهداية .

والإنسان في كلّ زمان يستفيد من وسائل عصره ، مثلًا في المستقبل بدل ما تستعمل الطّائرة تدخل إلى غرفة وتضغط زرًّا وتنتقل إلى مكان آخر ، والآن توجد نظريّات عن كيفيّة الانتقال من مكان

إلى آخر ، ويجري العلماء التّجارب على بعض الجزيئات ، وحسب ما هو موجود في الإنترنت أنّ العلماء نجحوا في نقل جزيء من مكان إلى مكان آخر ، وهذا من تخصّص علماء الفيزياء ، وعندهم الخبر الأكيد عن هذا الموضوع ، ويتكلّمون عن فيزياء الكمّ ، وأنّ الشّيء الواحد يمكن أن يكون في مكانين في نفس الوقت ، وهذا البحث مطروح اليوم ، والشّيء مرّة يكون جسيمًا ومرّة يكون موجات ، وهذا البحث مطروح أيضًا ، وعلماء الفيزياء أدرى بهذه النّظريّات والأبحاث ، ولن نطرحها لأنّها ليست من تخصّصنا ، وكلّ شخص من تخصّص معيّن يتكلّم في تخصصه ، وننقل المعلومات في كلّ مجال من أهل التّخصّص في هذا المجال ، ونحن نقرأ عنها في الإنترنت ونراها في محاضرات اليوتيوب ، وهذه النّظريّات موجودة ، ويمكن لنا الاستفادة من النّظريّات الحديثة في إثبات وجود الإله .

إذن :

داروين كان عنده جهد لمدّة خمس سنوات .

ونسأل : أنت هل يمكنك أن تبذل جهدًا في بحث معيّن لمدّة خمس سنوات ؟

نحن الآن في موضوع "عالميّة الإسلام" ، وهذا الموضوع يحتاج إلى سنوات لطرحه .

كم سنة يمكن لنا أن نبحث في هذا الموضوع ؟

المدّة لا نهائيّة ؛ لأنّ المواضيع لا تنتهي ، ولكن هل يوجد عندنا

المـزاج والصّـبر لأن نبحـث ، وذلـك بأن نقـرأ الكتـب ونسـتمع إلى المحاضرات في هذا الموضوع ، ولا بدّ أن نقرأ كثيرًا من الكتب ، ولا بدّ أن نستمع إلى كثير من المحاضرات لكي نأتي بشيء جديد ، فيحتاج البحث إلى جهد سنوات طويلة .

هل كلّ إنسان عنده المزاج والإرادة بأن يبحث في موضوع مدّة خمس سنوات لكي يعطيك بعد ذلك تفسيرًا للمعلومات الّتي جمعها ؟

وداروين أعطى تفسيرًا ، وأنت لا تقبل تفسيره ، خذ المعلومات واعطنا تفسيرًا آخر ، داروين يعتقد أنّ هذه النّظريّة هي التّفسير الصّحيح للمعلومات الّتي جمعها ، أنت خذ هذه المعلومات واعط تفسيرًا يتناسب مع دينك .

هل الإنسان تطوّر من الكائنات الأخرى أو له خلق مستقلّ ؟

ظاهر بعض الآيات أنّ للإنسان خلقًا مستقلًّا ، ولكن ماذا تفعل بالآية الكريمة : "**كَمَا أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ**" [1] .

لا بدّ أن تُدْخِلَ هذه الآية في بحثك عن كيفيّة خلق الإنسان ، وتدلّ الآية على أنّ قبل آدم عليه السّلام كان يوجد قوم آخرون ، وأنتم من ذرّيّة هؤلاء الآخرين ، فإذا كان كذلك فالمعنى أنّ آدم عليه السّلام مخلوق من طين ولكن بتدرّج وليس فجأة ، نعم كن فيكون ولكن بتدرّج ، وهذه نظريّة وتلك نظريّة ، والآن نحن لسنا بصدد بيان النّظريّة الصّحيحة .

---

[1] الأنعام : ١٣٣ .

وسنأتي في بحث مستقلّ إلى كيفية خلق آدم عليه السّلام ، ونحاول أن نجمع بين الآيات القرآنيّة وبين البحوث العلميّة الّتي وصل إليها العلماء الآن .

بعض الآيات القرآنيّة تشير إلى أنّ الإنسان نشأ من ذرّيّة قوم آخرين .

وبعض الآيات فيها أنّ الخلق كان أطوارًا .

"وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوارا" [1] .

نسأل : هذه الأطوار ماذا تعني ؟

لا بدّ أن نبحث لا أن نقول مباشرةً إنّ من يقول إنّ آدم عليه السّلام لم يُخْلَقْ بشكل مستقلّ هو كافر ، أنت فهمت الآيات بهذا الفهم ، فهذه هي نظريّتك ، وشخص آخر يفهم الآيات بفهم آخر ، وهذه هي نظريّته ، والبحث النّظريّ قابل للاختلاف في الآراء ، والآيات القرآنية ظاهرة في هذه المعاني ، وليست نصًّا فيها ، فأنت تبحث وتصل إلى نظريّة عن بداية الخلق .

"قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الخَلْقَ" [2] .

الله عزّ وجلّ يطلب من الإنسان أن يسير في الأرض ويبحث في طبقات الأرض لكي يصل إلى كيفيّة بداية الخلق ، والمسلمون اليوم لا يقومون بهذه المهمّة ، والغرب يقوم بهذه المهمّة ، يجدون جمجمة أو

---

[1] نوح : ١٤ .

[2] العنكبوت : ١٩-٢٠ .

عظمـة في أفريقيـا فـترى علمـاء الغـرب يـذهبون إلى تلـك المنطقـة ، ويسعون إلى معرفة ما هي هذه الجمجمة وهذه العظمة ، وأيّ مسلم لـو يجـد جمجمـة أو عظمـة فإنّـه يرميهـا ولا يهـتمّ بهـا ويرميهـا في سلّة القمامة .

هـم عنـدهم روحيّـة البحـث العلمـيّ ، والمفـروض أنّ هـذه الرّوحيّـة تكـون موجـودة أيضًـا عنـد المسـلمين ؛ لأنّ هـذه الأمـور أمـور إنسـانيّة وليست إسلاميّة فقط ، أنت تريد أن تعرف من أين جئت ، فلا بدّ أن يكـون عنـدك الفضـول لمعرفـة ذلـك ، هـم عنـدهم هـذا الفضـول ، والمسـلمون يفتقـدون الفضـول العلمـيّ ، فالمسـلمون يعيشـون يـومهم ، لذلك يقال عِشْ يومك ولا تفكّر بالأمس ولا بالغد ، هذه هي نظريّة المسـلمين ، لـذلك فالمسـلمون لا يوجـد عنـدهم تخطـيط للمسـتقبل ، دول العـالم المتقدّمـة يقولـون بعـد عشـرين سـنة سـنحقّق كـذا ، وبعـد ثلاثين سنة سنحقّق كذا .

ونسأل المسلمين : ماذا تريدون أن تحقّقوا بعد عشرين سنة ؟

لا يدرون ، بعد سنة لا يدرون ، بعد ستّة أشهر لا يدرون ، حتّى أنـت كفـرد لا تخطّـط للمسـتقبل ، فـالتّخطيط لـيس موجـودًا عنـد المسلمين لا كأفراد ولا كأمّة ، لا توجد عندنا خطط ، وحينما تطرح الدّول خطّة خمسيّة فإنّها لا تدخل حيّز التّنفيذ ، لذلك لا توجد عند المسلمين نظرة إلى المستقبل ، ونظرهم دائمًا متوجّه إلى الماضي .

إذا أرادوا شيئًا قالوا كان المسلمون سابقًا ، الحضارة الإسلاميّة

سابقًا ، ولكنّهم لا يخططون للحضارة الإسلاميّة مستقبلًا ، فيعيشون الماضي ، كنّا خير أمّة أُخْرِجَتْ للنّاس ، دائمًا النّظر إلى الماضي .

وأكثر من ذلك فإنّهم إذا أرادوا رأيًا في مسألة فهم يرجعون إلى عالم في الماضي ، العالم الفلانيّ قال هذا الرّأي قبل ألف سنة .

نسأل : ماذا يقول علماء عصرنا في هذه المسألة ؟

وهذا هو المهمّ ، قد لا يصلح الرّأي القديم لزماننا الحاليّ ، المسلمون يقولون دائمًا قال العلماء السّابقون ، ونجمد على آرائهم ، وكأنّ العلماء السّابقين كان عندهم عقول مفكِّرة ، وعلماء زماننا لا توجد عندهم عقول مُبْدِعَة ، علماؤنا الحاليّون عندهم عقول أيضًا ، بل أكثر من ذلك فإنّ المنظومة الفكريّة لعلمائنا الحاليّين أوسع من المنظومة الفكريّة لعلمائنا السّابقين قبل ألف سنة ، يوجد كمّ هائل من المعلومات اليوم ، في ذاك الزّمان كان عند العالم خمسة كتب ، العالِم اليوم مكتبات العالَم كلّها تحت يده ، فالمنظومة الفكريّة المعرفيّة في زماننا أوسع من المنظومة السّابقة .

والآن حينما يريد العالِم أن يعطي رأيًا في موضوع معيّن فإذا كان العالم السّابق عنده خمسة كتب فهو عنده خمسة ملايين كتاب في هذا الموضوع ، وتوجد بحوث جديدة فيه ، ونريد رأي العلماء الحاليّين في هذا الموضوع ، ماذا يقول علماؤنا المعاصرون ؟

مثل الجامعات لا يأتون بآراء العلماء السّابقين ، بل يأتون إلى آراء العلماء الحاليّين ، وحينما يريدون مسألة في الفيزياء فإنّهم يرجعون إلى

عـالم معاصـر ، ولا يرجعـون إلى العلمـاء السّـابقين ، نعـم العلمـاء السّابقون لهم كلّ التّقدير ، فقد بذلوا أقصى جهودهم وفي ظروف صعبة ، ولكنّ الآراء تتغيّر وتتجدّد ، لذلك مناهج الجامعات كلّ خمس سنوات أو ثلاث سنوات تتغيّر لأنّ المعلومات متجدّدة ، مثلًا في الفيزياء توجد معلومات جديدة ، وقد يغيّرون المناهج في كلّيّة الفيزياء في كلّ سنة ، وبعض الكتب الّتي ندرسها الآن مكتوبة قبل ألف سنة ، وبعضها من مائتي سنة ، كان العلماء السّابقون يجيبون على إشكالات عصورهم ، وفي زماننا توجد إشكالات جديدة تحتاج إلى أجوبة جديدة ، ولا بدّ أن يواكب كل عالمٍ عَصْرَهُ الّذي يعيش فيه .

عن الإمام الصّادق عليه السّلام : . . . ، والعالم بزمانه لا تهجم عليه اللّوابس ، . . . [1] .

نحتاج أن نتابع إشكالات زماننا الحاليّ ، والآن توجد فلسفات غربيّة كثيرة ، وكلّها تحتاج إلى ردود ، وبعض العلماء يقومون بهذا الدّور بجهود فرديّة ، هو يبحث في هذه الأمور ويطرح الآراء ، وكتبنا الحوزويّة لا بدّ أن تتطوّر وتسير مع الزّمان ، وحينما نريد أن نعرف آراء العلماء فلا بدّ أن نأتي إلى آراء العلماء الحاليّين ، نعم بعض آراء

---

[1] الكافي ص٢٦-٢٧ ح٢٩ ، الْتَبَسَ عليه الأمر : اختلط عليه بحيث لا يمكنه معرفة الحقيقة ، وفي الأمر لَبْسٌ : فيه شبهة واختلاط وعدم وضوح ، وفي القرآن الكريم : "**وَلَا تَلْبِسُوا الحَقَّ بِالبَاطِلِ**" . (البقرة:٤٢)

العلماء السّابقين آراء مستمرّة ؛ لأنّهم طرحوا القواعد العامّة ، ولكن بعض الإشكالات المطروحة في زمانهم لا تأتي في زماننا ، فنحتاج إلى أجوبة للإشكالات الجديدة الموجودة في عصرنا ، ندرس كتب الماضين حتّى نعيش في زماننا وننتقل إلى المستقبل ، كما هو الحال في العلوم الطّبيعيّة ، يأخذ من العلماء السّابقين ويبحث بحثًا جديدًا في زمانه ويعطينا آراءً للمستقبل ، حتّى في العلوم الدّينيّة نحتاج إلى نفس الشّيء ، فجميع العلوم تتطوّر .

والتّطوّر موجود في علومنا الدّينيّة ، مثلًا في أصول الفقه العمليّ نرى هذا التّطوّر بوضوح ، كانوا يدرسون كتابًا يحتوي على أربعمائة صفحة ويصير مجتهدًا ، والآن تحتاج إلى دراسة عشرة مجلّدات حتّى تصير مجتهدًا ، ولكنّ الدّين ليس عبارة عن فقه عمليّ وأصول الفقه العمليّ فقط ، لا بدّ أنّه بنفس الطّريقة تكون عندنا بحوث كثيرة في العقائد والأخلاق والتّفسير والتّاريخ وغيرها ، ونفس الكمّ الموجود في الفقه العمليّ لا بدّ أن يكون موجودًا في باقي التّخصّصات ، لا أنّ البحوث العقائديّة والأخلاقيّة تكون قليلةً ، والمفروض أن تكون العقائد والأخلاق بنفس طريقة الفقه العمليّ ، سابقًا كان الطّلبة يدرسون العقائد من كتاب واحد ، والآن تحتاج إلى عشرة مجلّدات كما هو الحال في الفقه العمليّ ، ولا بدّ أن تكون مؤلّفات جديدة ، وجميع العلوم تتطوّر عبر الزّمان ولا تقف عند حدّ معيّن .

وكلّ هذا لأجل أن لا نعيش الماضي دائمًا ، والمسلمون بطبيعتهم

يعيشون الماضي ، ولكن بثوب هذا الزّمان ، ولا توجد عندهم نظرة إلى المستقبل ، بعكس الدّول المتقدّمة فإنّهم يأخذون من الماضي حتّى يسرعوا إلى المستقبل ، فيعيشون المستقبل ويخطّطون للزّمان القادم بعد عشرين أو ثلاثين أو أربعين سنة ، من اخترع الهاتف النّقّال تُوُفِّيَ ، ولكنّ تطوير النّقّال ببرامج جديدة ما زال موجودًا ، وفي كلّ سنة يطرحون أشياء جديدة ، مع أنّ المخترع الأصليّ غير موجود الآن ، ولكن ترك أفكارًا للمستقبل ، ففي كل سنة يوجد تطوير معيّن على الجهاز .

إذن :

داروين من اللّاأدريّين ، والنّظريّة الّتي طرحها من أهمّ الأدلّة عند الملحدين ، فالملحدون الّذين ينفون وجود الإله عندهم أهمّ دليلين ، الدّليل الأول هو نظريّة التّطوّر لداروين ، مع أنّ صاحب النظرية في واقعه لاأدريّ وليس ملحدًا ، ولم يذكر أنّه من خلال النّظريّة يريد أن ينفي وجود الإله ، فلا يوجد تلازم بين نظريّة التّطوّر وعدم وجود الإله ، نعم الملحدون استفادوا من هذه النّظريّة ، وسيأتي النّقاش مع نظريّة داروين في محلّه المناسب إن شاء الله تعالى ، وأنّ الملحدين كيف استفادوا من هذه النّظريّة لإثبات عدم وجود الإله ، وما هي الإشكالات والرّدود على كلام الملحدين .

الدّليل الثّاني : وجود الشّرور في العالم :

الدّليل الثّاني الّذي استفاد منه الملحدون في نفي وجود الإله هو

وجود الشّرور في عالمنا المحسوس ، فالشّرور لا تنسجم مع وجود الإله الخالق العالم القادر الحكيم ، وسيأتي نقاش هذا الدّليل حينما نصل إلى هذا البحث إن شاء الله ، وسنبيّن كيف يمكن لنا أن نحلّ هذه المشكلة ، هناك شرور في العالم من الفيضانات والزّلازل والأمراض ، وإذا كانت شرورًا فلا تتناسب مع علم الإله وقدرته وحكمته ، والإله الخالق لا بدّ أن يكون مصدرًا للخير فقط ، والمفروض أن لا يصدر منه أيّ شر مطلقًا ، وهذا إشكال قويّ يحتاج إلى حلّ ، وطرح العلماء خمسة أو ستة حلول ، وسنبيّن هذه الحلول .

ونسأل : هل يمكن إضافة حلّ آخر إلى هذه الحلول المطروحة سابقًا ؟

يقول الدّكتور رمسيس عوض في كتابه "ملحدون محدَثون ومعاصِرون" : جورج مور George Moore المتوفّى ١٩٣٣ م يقول : إنني كافر يعتقد أنّ الله (الصّحيح أن يترجم إلى الإله) غير موجود ، وأظنّ أنّ الدّليل يبرّر اعتقادي هذا ، وبقدر ما أعتقد أنّه لا يوجد دليل على وجوده فإنّي أعتقد كذلك أنّه لا يوجد دليل على عدم وجوده ، ومن ثمّ فإنّي لست ملحدًا بمعنًى ، إنّني لا أنكر أنّ الله (الإله) موجود ، فالمحاجّات الّتي أسوقها هي لمجرّد حثّ النّاس على أنّه لا يوجد ثمّة أسباب للاعتقاد بوجوده ، دون أن يعني هذا حثّهم على الإيمان بوجود أسباب للاعتقاد بعدم وجوده ، إنّني لا أؤمن أنّ الله (الإله) موجود ، ولكن في الوقت نفسه لا أؤمن بعدم وجوده ، وليس

هناك ذرّة واحدة من دليل يَنُمُّ عن أدنى احتمال لوجود الله (الإله) أو لعدم وجوده [١] .

إنّ بعض الّذين يُطْلَقُ عليهم "ملحدون" ليسوا ملحدين حقيقةً ، بل هم في الواقع لاأدريّون ، حتّى ريتشارد دوكنز تبيّن أنّه لاأدريّ لا أنّه ملحد ، ولكنّه من ناحية عمليّة يتعامل كأنّ الإله غير موجود ، فهو لاأدريّ نظريّ وملحد عمليّ ، فكما لا يجدون دليلًا على وجود الإله ، كذلك لا يجدون دليلًا على عدم وجود الإله ، فهم لا يثبتون وجود الإله ولا ينفونه ، يقولون لا ندري ، والمثبتون لوجود الإله لا بدّ أن يقيموا الأدلّة القويّة على إثبات وجوده ، ولو كانت الأدلّة ضعيفة فأولئك يصيرون من اللّاأدريّين ، وعدم إيمان هؤلاء المنكرين لوجود الإله ناشئ من ضعف الأدلّة الّتي يستدلّ بها المثبتون لوجود الإله ، وبطلان الدّليل لا يلازم بطلان المدلول ، فبطلان الدّليل لا يدلّ على بطلان المدلول ، فالمدلول قد يكون موجودًا ، ولكنّ الدّليل على إثبات وجوده ضعيف ، فالشّيء قد يكون موجودًا ، ولكن لا توجد عندي أدلّة تثبت وجوده أو أنّ أدلّتي ضعيفة لا تدلّ على وجوده ، وقد تأتي أدلّة أخرى قويّة تثبت وجود المدلول ، فهو شاكّ حائر لا يدري أنّ الإله موجود أو غير موجود .

مثلًا تقول يوجد إنسان بعشرة رءوس ، يقول لك اثبت لي ذلك ، تقول هو موجود ، ولكن لا يوجد عندي دليل أو يوجد عندي دليل

---

[١] ملحدون محدَثون ومعاصِرون ص٦٠ ، المحاجّات : أي المحاججات .

ضعيف لا يقبله الطّرف الآخر ، فبطلان الدّليل لا يعني عدم وجود المدلول ، فقد يكون المدلول موجودًا ، ولكن لا يوجد عندي دليل أو أنّ دليلي ضعيف .

إنّ المسلمين يعتقدون بوجود الله ، ولكن ما هي أدلّتهم الّتي تثبت وجوده تعالى ؟

قد تكون أدلّتهم ضعيفة ، ولكن ضعف أدلّتهم لا يدلّ على عدم وجود الله ، فالله موجود ، ولكنّ الأدلّة على وجوده أدلّة ضعيفة .

واللّاأدريّ يقول إنّ أدلّة الطرفين أدلّة ضعيفة ، وإذا طرف من الأطراف استطاع أن يأتي بدليل قويّ يقنعني بوجود الإله فسأقول بوجوده ، أو الطّرف الآخر يأتي بدليل يثبت عدم وجود الإله فسأميل مع هذا الطّرف ، هو لاأدريّ مؤقّت وينتظر الدّليل على الوجود أو على عدم الوجود .

لذلك نحن المسلمين لا بدّ أن تكون عندنا القدرة على طرح الأدلّة القويّة لإثبات وجود الله للعالَم كلّه بمختلف أطيافهم وقوميّاتهم وجنسيّاتهم ، واليوم الإسلام لم يصل إلى كلّ العالَم ، قد تكون أدلّتنا ضعيفة ، نحن لم نبيّن الإسلام بصورة صحيحة ، فصورة الإسلام المطروحة اليوم هي الإرهاب والقتل والقتال ، وعندنا شعارات مثل الإسلام دين السّلام ، والإرهابيّون أعطوا صورة غير حقيقيّة للإسلام وأظهروا أنّ الإسلام دين الحرب .

كيف يمكن لنا أن نثبت أنّ الإسلام دين السّلام ؟

لا فقط بالشّعارات والكلام بل بالعمل ، اثْبِتْ أنّ الإسلام دين السّلام ودين التّسامح مع الآخرين ، مع أنّه توجد عندك مسألة ، وهي أنّ الكافر يُعْرَضُ عليه الإسلام ، وإذا لم يَقْبَلْ يُقْتَل ، فهو بين خيارين ، وأنّ اليهوديّ والمسيحيّ يُعْرَضُ عليهما الإسلام ، فإمّا يُسْلِمُ وإمّا يعطي الجزية وإمّا يُقْتَلُ ، فهما بين ثلاث خيارات ، وهذه المسائل موجودة عند جميع المسلمين ، فكيف يمكن أن نثبت أنّ الإسلام دين التّسامح مع الأديان الأخرى ومع النّاس بشكل عامّ وفتاوى المسلمين تخيّرهم بين اختيارين أو ثلاثة اختيارات وأحدها القتل ؟

القرآن الكريم يقول :

"لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ" [1] .

البعض يفسّر الآية ويقول قبل أن يدخل الإسلام لا إكراه في الدّين ، ولكنّه إذا دخل إلى الإسلام فلا يمكنه الخروج ، فإذا خرج يُقْتَلُ ، نقول وحتّى قبل أن يدخل إلى الإسلام إذا كان كافرًا يُخَيَّرُ بين أمرين : يُسْلِمُ أو يُقْتَلُ ، وإذا كان من أهل الكتاب يُخَيَّرُ بين ثلاثة أمور : يُسْلِمُ أو يُعْطِي الجزية أو يُقْتَلُ ، فهو على أيّ حال سواء دخل إلى الإسلام أم لم يدخل إلى الإسلام فمصيره القتل ، لذلك يقال إنّ الإسلام دين السّيف ، والمسلمون في تاريخهم يوجد الكثير من القتل والدّماء ، لأقلّ شيء يُقْتَلُ ، لدرجة أنّ البعض يقول إنّه إذا

---

[1] البقرة : ٢٥٦ .

جهر بالنّيّة في الصّلاة فإنّه يُقْتَلُ ، وفي بعض الكتب في موارد كثيرة تجد هذه العبارة : "يُسْتَتابُ وإلّا يُقْتَلُ" ، وتجد أنّ الأمور بسيطة لا تستحقّ أن يُقْتَلُ من يأتي بها ، يوجد حبّ للدّماء ، لذلك تاريخ المسلمين مملوء بالدّماء ، اقرأ كتب التّاريخ ، البعض يقول إنّ هذا تاريخ الإسلام ، نقول لا ، إنّ هذا تاريخ المسلمين ، تاريخ الإسلام تاريخ ناصع البياض ، لا يوجد فيه دماء ، فالدّين الإسلاميّ دين السّلام ودين التّسامح ، ولكن تاريخ المسلمين فيه الكثير من الدماء ، وما زلنا نعيش هذه الدماء في زماننا المعاصر .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

عالميّة الإسلام

(٤٨)

أقسام اللّاأدريّين [١]

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

مقدّمة :

قبل الدّخول في الموضوع أقدّم مقدّمة ، نرى اليوم اتّساع الفجوة بين جيل الشّباب والدّين ، وهذه الفجوة في اتّساع ؛ لأنّ هؤلاء الشّباب اليوم بعد وجود وسائل التّواصل عندهم أسئلة وإشكالات جديدة ، وهذه الإشكالات الجديدة لم تكن موجودةً سابقًا ، فهم يسمعون الشّرق والغرب .

وهذه الإشكالات والأسئلة إذا لم يُجَبْ عليها أو أجيب عنها بإجابات غير مقنعة أو يقال للشّابّ لا تسأل إنّ هذا خط أحمر – فهذا الشّاب بطبيعة الحال سيتّخذ موقفًا من الدّين ، لا يقول إنّ

---

[١] أُلْقِيَتْ هذه المحاضرة في الدّيوانيّة الأسبوعيّة في منطقة بيان ، الجمعة ٦ شعبان ١٤٤٠ هـ ، الموافق ٢٠١٩/٤/١٢ م .

العالم الفلاني لم يُجِبْ على أسئلتي ، بل يقول إنّ الإسلام لا توجد عنده أجوبة ، لذلك على العلماء الاهتمام ومعرفة الإشكالات الجديدة الّتي يطرحها النّاس ، لا أن يطرح إشكالات قديمة عفى عليها الزّمن ويجيب عليها ، لا بدّ من معرفة هذه الإشكالات الجديدة الّتي تُطْرَحُ على الدّين ومحاولة الوصول إلى الإجابات المقنعة ، وإذا لم يحصل الشّابّ على الإجابات المقنعة فإنّه سيبتعد عن الدّين تدريجيًّا ، كما هو الحال الآن في انتشار الإلحاد بين الشّباب .

وهنا يأتي أيضًا دور الآباء والأمّهات ، لا فقط مسئوليّة عالم الدّين ، الأب والأمّ أيضًا عليهما مسئوليّة التّعلّم ، هذا الشّابّ أوّل ما يبدأ بطرح الأسئلة داخل البيت على الأبوين ، لذلك على الآباء والأمّهات أن يتعلّموا دينهم ، لا أن يكونوا مسلمين بالاسم والهويّة فقط ، والإنسان إذا قال بأنّه يعتقد بدين فلا بدّ أن يعرف هذا الدّين ، لا أن يكون متديّنًا بالوراثة وصار اسمه مسلمًا فقط ، هذا لا يكفي ، لا بدّ أن يقتنع بهذا الدّين ، ولا بدّ أن يتعلّم معالم الدّين ، لذلك على الآباء والأمّهات معرفة الإشكالات الجديدة الّتي تُطْرَحُ ، وأن يعرفوا إجاباتها من العلماء لكي يجيبوا على تساؤلات الشّابّ في بيته قبل أن ينتقل إلى المدرسة والمجتمع ، ولكنّ الملاحظ قلّة اهتمام الآباء والأمّهات بالاطّلاع على الدّين بشكل عامّ ، وبالخصوص هذه الإشكالات الجديدة ، وفي بلدنا الأب مشغول بعمله ثمّ بالدّيوانيّة ، والأم تهتمّ بالموضة والماركات ، وهذه ظاهرة عامّة ، وإذا لم يهتمّ الآباء

والأمّهات بالتّعلّم فإنّنا سَنُغْزَى في عقر دارنا ، ولا يستغرب الأب أو الأمّ أنّه بعد فترة يجد أنّ ابنه أو ابنته صارا ملحدين ؛ لأنّ الشّابّ والشّابّة يطرحان الأسئلة داخل البيت أوّلًا ، ولكن لا يجدان الأجوبة ، ويجدان الأجوبة من الأصدقاء ، والأصدقاء لا يملكون الإجابات الكافية ، لذلك يبتعدان عن الدّين تدريجيًّا ، وتتّسع الفجوة بين الجيل النّاشئ والدّين ، وهذا الأب بعد أن يجد أنّ ابنه صار ملحدًا يبدأ بلطم نفسه ، والآن يريد حلًّا ، نقول إنّ هذا الزّرع أنت زرعته ، ولم تهتمّ بزرعك منذ البداية ، تركت زرعك فأنتج هذا النّتاج ، والآن يبدأ بالذّهاب إلى علماء الدّين ويسأل ما هو الحلّ ، هل يمكن أن آتي بابني عندك وتتكلّم معه في هذا الموضوع ؟!

وقد يكون الأمر بعد فوات الأوان ، هذا الشّابّ قضى سنوات في الإلحاد وقرأ كتب الشّرق والغرب ، وقرأ كتب الفلاسفة الملحدين ، واقتنع بأفكارهم ، هذا الاقتناع لا يزول بسهولة ، مثلما أنت الآن مقتنع بالدّين ، واقتناعاتك لا تزول بسهولة ، فهذا الشّابّ بعد مدّة من الزّمن لا يمكن الحديث معه في الموضوع ، وقد يذهب إلى عالم لا يوجد عنده اطّلاع على الإشكالات المعاصرة ، وقد يغضب هذا العالم على الشّابّ ، يقول له أنت ملحد أنت كافر ، وهذا الكلام لا يقنع الشّابّ ، فلا بدّ من جهةٍ أن يتابع العلماء الإشكالات الجديدة ويعرف الأجوبة ويطرح هذه الأجوبة على النّاس ، ومن جهة أخرى على الآباء والأمّهات أن يتعلّموا دينهم ، وأن يكونوا مطّلعين على

الإشكالات الحديثة ، وأن يعرفوا الإجابات ، والتساؤلات لا يمكن قطعها ، وطبيعة الإنسان أنّه يسأل وخاصّة الشّابّ ، وفي بيتك ترى الطّفل منذ الصّغر وهو يبدأ بطرح الأسئلة ، والآن الأجهزة الحديثة موجودة بأيدي الأطفال ، والآباء والأمّهات لا يعرفون إلى أيّ المواقع يذهب ، ماذا يشاهد ، اشْتَرَى له الجهاز وَتَرَكَهُ ، لا بدّ أن يتابع الإشكالات حتّى يمكن له أن يجيب عليها ، وواجب الآباء والأمّهات أن يتعلّموا أحكام دينهم .

تجد لحدّ الآن أسئلة النّاس تدور حول الطّهارة والنّجاسة ، هذا طاهر أو نجس ، أنا وسواسيّ كيف أتطهّر ، والأسئلة تدور حول أحكام الفقه العمليّ ، وهذه الأحكام لا بدّ أن تصير أحكامًا بديهيّة عند النّاس ، وأسئلتهم تدور حول هذه الأمور البديهيّة .

وتستغرب أنّ شخصًا عمره خمسون أو ستّون سنة ويسأل عن هذه الأحكام ، تتوقّع أسئلة الطّهارة والنّجاسة من شابّ عمره ستّ عشرة سنة ، لا يعرف كيف يطهّر ، وأمّا بعد خمسين سنة ويسأل عن الطّهارة والنّجاسة ، المفروض أنّه قد قطع مراحل في الدّين ، وأحيانًا عالم متخصّص في الفلسفة يجلس في مجلس ، والمفروض أنّ الحاضرين يستفيدون منه في مجال تخصّصه ، يسأل أحدهم : مولانا عندي أسئلة في الطّهارة والنجاسة .

عالم متخصّص في الفلسفة وتسأله بعض الأسئلة البسيطة في الطّهارة ، اسأله في العقائد ، أو عالم عنده اطّلاع على الفكر

الحديث ، ويسأله عن رفع يده عن الرّكبة في الرّكوع : هل تبطل الصّلاة أو لا تبطل ؟

هذه المسألة بسيطة وتجدها في الرّسالة العمليّة أو في استفتاءات مواقع العلماء ، لا بدّ أن تسأله عن الإشكالات المعاصرة وأجوبتها .

وإذا قلت له بأنّه لا يجب أن تضع يدك على الرّكبة أثناء الرّكوع يستغرب ، ويقول لا يمكن فالصّلاة تبطل ، هذه المسألة البسيطة لا يعرفها هذا السّائل ، وقد يكون عمره ستّين سنة ، وهو يصلّي مدّة خمسين سنة .

هناك مسائل بسيطة لا بدّ أن يتعلّمها المسلم ، فهو بمجرّد ما يبلغ المفروض أن يدرس الرّسالة العمليّة ، وحلقات العلماء موجودة ، والآن جميع الدّروس موجودة في اليوتيوب ، تجد دروسًا ومحاضرات في مختلف المسائل الدّينيّة ، ولكنّ المشكلة أنّ النّاس لا يطّلعون .

عالم متخصّص في مجال معيّن يجلس في مجلس ويسأله الحاضرون أسئلة بسيطة وأجوبتها بديهيّة ، هذه المسائل لا بدّ أن يتعلّمها الإنسان في بداية حياته ، لا تجد أحدًا يسأل في العقائد ويذكر الإشكالات على الدّين ، ولا أحد يسأل عن الأخلاق .

الآن الغرب تجاوز المسلمين في الإشكالات ، تجد إشكالات على القرآن وأنّه لا توجد عند المسلمين مخطوطات قديمة ، وهذا القرآن من أين أتيتم به ، والمفروض أن توجد عندنا مخطوطات من زمان النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، فالنّبيّ صلّى الله عليه وآله كان مهتمًّا بكتابة

القرآن عن طريق الكتّاب ، فأين المخطوطات ، عندكم مخطوطات من القرن الثّاني أو القرن الثّالث ، فهذا القرآن من أين أتيتم به ، هذا إشكال على القرآن ، ولا بد أن يجاب عليه ، وإذا لم يُجِبِ المسلمون عليه فمعنى ذلك أنّ هذا القرآن يكون من تأليف المسلمين في القرن الثّاني أو الثّالث ، وأنّه حصل تغيير في القرآن ، والمسلمون يعتقدون بأنّ القرآن غير محرّف ، ولكنّ الطّرف الآخر يطالبنا بالدّليل ، ولا يمكن أن تقول للعالَم أنّ هذا القرآن غير محرّف بدون دليل ، بالإضافة إلى أنّ هناك علماء من المسلمين يقولون بتحريف القرآن أو بنقصه ، وهناك روايات تدلّ على نقص القرآن أو تحريفه ، وهذه الرّوايات موجودة عند جميع المذاهب ، فهذا الإشكال على القرآن كيف يمكن أن يجيب عليه المسلمون ؟

وتوجد إشكالات على التّوحيد وعلى النّبوّة وعلى الإمامة وعلى المعاد ، وإشكالات على كلّ شيء في الدّين ، حتّى في لغة القرآن ، القرآن نزل بلسان عربيّ مبين ، ويشكلون بأنّه توجد كلمات آراميّة وسريانيّة وفارسيّة في القرآن .

هذا الإشكال كيف تجيب عليه ؟ هل القرآن كلّه باللّسان العربيّ أو هناك بعض الكلمات الّتي دخلت على القرآن من اللّغات الأخرى ؟

هذا الإشكال يحتاج إلى جواب ، ونحن المسلمين نعتقد أنّ القرآن كلّه عربيّ ، فكيف نجيب على هذا الإشكال ؟

والإشكالات الآن مطروحة بكثرة ، توجد إشكالات على أصل وجود الله ، وإشكالات على التوحيد ، أو يقولون بأنّه يوجد إلهان : إله الخير وإله الشر .

كيف تجيب على هذا الإشكال ؟

وكيف تجيب على إشكال الشّرور في العالم ؟

وتوجد إشكالات على النّبوّة ، وأنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله كان مدّعيًا للنّبوّة ، ولا يوجد اتّصال بينه وبين السّماء ، وتوجد روايات وقصص في كتب المسلمين أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله كان يخطئ ، لو كان عنده اتّصال بالله لما كان يخطئ ، وأقلّ شيء في قضيّة تأبير النّخل ، بالإضافة إلى بعض القصص والرّوايات الموجودة في كتب المسلمين والتي تظهر كثرة أخطاء النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، وهذه الأخطاء منسوبة إلى النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، ونحن نعتقد أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله لا يخطئ ، فهو معصوم ، وهذه الرّوايات والقصص من وضع الوضّاعين الّذين أرادوا تشويه صورة النّبيّ صلّى الله عليه وآله .

وتوجد إشكالات على المعاد ، يقولون بأنّه لا يوجد يوم القيامة ويوم الحساب ، فالإنسان يموت وَيُدْفَنُ في القبر ويتحلّل إلى تراب وينتهي أمره .

كيف يمكن للمسلمين أن يثبتوا المعاد ويوم القيامة ووجود يوم لحساب جميع النّاس ووجود الجنّة والنّار ؟

العقائد تحتاج إلى أدلّة واضحة ، ولا بدّ أن تكون الأدلّة واضحة بحيث إنّ الطّرف الآخر لا يمكنه أن ينكر هذه الأدلّة ، ويقبلها بكلّ سهولة ، ولا بدّ أن تكون الأدلّة قويّة .

وفي جميع المعارف الدّينيّة لا بدّ أن تكون أدلّتنا أدلّة قويّة ، وفي زماننا لا يُقْبَلُ منك أن تقول اسكت ولا تتكلّم وهذا خط أحمر ، لا يقبل النّاس هذا الكلام ، وسابقًا كان النّاس يعيشون في قرية ، والمفروض أنّ كلامنا الآن لا يكون على مستوى قرية بل على مستوى العالم ، والآن بعض العلماء والخطباء يتكلّمون على مستوى قرية ، وكأنّ الفضائيّات تنقل إلى أصحاب القرية ، هذه الفضائيّات تنقل المحاضرة أو الخطبة إلى العالم ، فلا بدّ أن تعرف ماذا تطرح ، وهذا الخطيب يتحدّث في كلّ شيء ، وما أكثر الكرامات الّتي ينقلونها ، ويريد كثرة الصّلوات على النّبيّ وآله في المجلس ، وينقل قصّة بعد قصّة ، بالإضافة إلى بعض الأشعار ، وينتهي المجلس بهذا المقدار ، وإذا طرح أحد الخطباء بحثًا علميًّا فلا يجد مستمعين له ، لا بدّ أنّ اهتمامات المسلمين تصعد مع الاهتمام بالعالم ، ونحن ندّعي أنّ الإسلام دين عالميّ ، وصالح لكلّ زمان ومكان ، وقادر على حلّ مشاكل البشريّة ، ولكنّ المستوى الفكريّ والمستوى الخطابيّ عند المسلمين لا يرقى إلى مستوى هذا الادّعاء ، ادّعاء المسلمين عالٍ جدًّا ، ولكنّ مواضيعهم وخطاباتهم لا ترقى إلى هذا المستوى العالي ، وإذا ادّعى الإنسان شيئًا فلا بدّ أن يثبت هذا الشّيء ؛ لكي يثبت

للعالم أنّ الإسلام دين عالميّ ، وإذا بقي المسلمون على هذا المستوى الموجود اليوم فلا يستطيعون أن يثبتوا صلاحية هذا الدّين لأن يكون دينًا محلّيًّا فضلًا عن أن يكون دينًا عالميًّا .

إذن :

نحتاج إلى أن نتابع الإشكالات الجديدة ، وما أكثر الكتب ، والإنسان لا يستطيع أن يتابع كلّ ما يُطْبَعُ من كتب ، ولا يتّسع له الوقت أن يسمع كلّ ما يُنْشَرُ من محاضرات ، ولكن لا بدّ أن يتابع ما يمكنه لكي يستطيع أن يجيب على جميع الأسئلة والإشكالات ، وهدفنا من موضوع "عالميّة الإسلام" هو هذا الأمر ، سنحاول أن نجيب على الإشكالات المعاصرة ، ولحدّ الآن لم ندخل في البحوث العميقة ، ما زلنا على السّطح ، ومع كلّ هذه المحاضرات ما زلنا على ساحل البحر ، ولم ندخل في عمق البحر ، وسنأتي إلى الإشكالات الكثيرة الّتي تُطْرَحُ في مختلف جوانب الدّين ونحاول الإجابة عليها .

وترون أنّ الاهتمام ضعيف جدًّا بمثل هذه المواضيع ، ولكن مسئوليّة العالِم أن يطرح هذه المواضيع ، ومسئوليّة المسلمين أن يتابعوا مثل هذه المواضيع ، بالحضور أو بالاستماع والمتابعة لمن لا يستطيع الحضور ، والبعض يقول إنّ المحاضرة طويلة تصل إلى خمس وأربعين دقيقة ، ولكن يمكنك أن تقسّم المحاضرة على الأسبوع ، وكلّ يوم استمع لخمس أو عشر دقائق ، ولا تقول ما دام أنّ مدّة المحاضرة خمس وأربعين دقيقة إذن لا نسمعها ، وكذلك استمع إلى العلماء

الآخرين الّذين يتحدّثون في مثل هذه المواضيع ، وكذلك توجد مواقع على الإنترنت لا بدّ أن تتابعها حيث تتناول هذه الإشكالات الجديدة وتجيب عليها ، فلا بدّ من متابعتها ، نعم الوقت لا يتّسع لجميع الأشياء ، ولكن تابع بالمقدار الممكن ، ولا بدّ أن يخصّص الإنسان وقتًا خلال اليوم لأجل التّعلّم ، لا بدّ أن يقرأ ، ولا بدّ أن يستمع ؛ لكي يتعلّم دينه ، أو يكون مدّعيًا أنّه مسلم ، ولا يكفي الادّعاء فقط ، فهو في عالم البرزخ والقيامة يُسْأَلُ : لماذا اخترت الإسلام كدين ؟

لا بدّ أن يكون عنده الجواب ، ويظنّ أنّ الأسئلة تُوَجَّهُ إلى الملحدين فقط :

من ربّك ؟ من نبيّك ؟ من إمامك ؟

والملحد يُسْأَلُ أيضًا عن اعتقاداته ، ولكنّ الإنسان المسلم يُسْأَلُ أيضًا ، يظنّ أنّه إذا قال : "أنا مسلم" – فيقال له تفضّل إلى الجنة بلا حساب ، سَيُسْأَلُ أيضًا :

لماذا اخترت الإسلام ؟ ولماذا اخترت هذا المذهب وهذه المدرسة ؟

لا بدّ أن يكون عنده الجواب المقنع ، وهو يتحدّث مع الملائكة المطّلعين على كلّ شيء ، والإنسان لا يستطيع أن يكذب في عالم البرزخ لأنّ اللّسان انتهى ، الرّوح هي الّتي تتكلّم بلسان حالها ، وكلّ اعتقاداته واضحة أمام الملائكة .

إذن لا بدّ أن نهتمّ بهذه المواضيع الجديدة ، ولا بدّ أن يطّلع العلماء

على الإشكالات المعاصرة ، ونحتاج إلى تجديد الفكر الدّينيّ بالإضافة إلى تجديد الخطاب الدّينيّ ، فالفكر الدّينيّ الموجود اليوم لا يمكنه أن يجيب على الإشكالات المعاصرة .

والقرآن الكريم يحتاج إلى فهم جديد ، والمفروض أنّه في كلّ زمان يكون لنا فهم جديد للقرآن ، لا أنّه إذا أردت تفسير آية ترجع إلى كتب التّفاسير قبل ألف سنة ، طرح العالم تفسير القرآن بحسب منظومته الفكريّة بمستوى ذلك الزّمان ، والآن أنت في عصر المعلومات ، عندك منظومة فكريّة واسعة جدًّا ، ذاك العالم كان عنده كتب قليلة ، والآن عندك ملايين الكتب ، وكان يجيب على إشكالات زمانه ، ولم تكن عنده إشكالات اليوم ، وإشكالات اليوم تجد أجوبتها في القرآن أو الروايات أو بإعمال العقل والفكر ، ولكن لا بدّ أن تبحث عن الأجوبة ، نعم بعض الإشكالات متشابهة بين زماننا وذاك الزّمان ؛ لأنّ نفس العقل الإنسانيّ موجود في زماننا وفي الزّمان السّابق ، ولكنّ إشكالات اليوم إشكالات جديدة تحتاج إلى طرح فكريّ جديد وخطاب جديد .

وسيأتي بحث مستقلّ عن موضوع "تجديد الفكر الدّينيّ و"تجديد الخطاب الدّينيّ" ، وسنبحث عن العقل المسلم اليوم بماذا يفكّر ، ونستقرئ أفكار المسلمين ، وسنرى أنّها ليست أفكارًا عاليةً بعلوّ الإسلام ، وإنّما هي أفكار عرفيّة دانية أقلّ مستوى من الإسلام .

إذن لا بدّ من تجديد الفكر الدّينيّ ، وبعض الأفكار لم يقل بها

العلماء السّابقون ، ولكنّ المهمّ أن يكون عندك الدّليل على الفكرة الجديدة ، فما هو دليلك ، كان دليلًا قرآنيًّا أو روائيًّا أو عقليًّا أو عرفيًّا أو علميًّا ، المهمّ أن يكون عندك الدّليل ، وأنت مقتنع بهذا الدّليل ، نعم الطّرف الآخر قد لا يقتنع بدليلك ، وهذه هي طبيعة البحوث النّظريّة ، فيقع الاختلاف في الآراء ووجهات النّظر ، والعلماء السّابقون لم يُغْلِقُوا باب الأفكار ، فباب الأفكار ما زال مفتوحًا ، والأفكار الّتي طرحوها ليست هي الأفكار النّهائيّة ، فالأفكار في جميع العلوم تتطوّر وتأتي أفكار جديدة ، وهذه هي طبيعة جميع العلوم أنّها تتطوّر ولا تقف عند حدّ معيّن ، سواء العلوم الطّبيعيّة أم العلوم الدّينيّة ، لذلك تجد أقوال العلماء عبر الزّمان تتغيّر وتتطوّر ، يأخذ من السّابق ويضيف إليه شيئًا ، والعالم اللّاحق يأخذ ممّن سبقه ويضيف عليه شيئًا ، وقد يعترض على بعض الأفكار القديمة ويضيف أفكارًا جديدة ، وباب الاجتهاد مفتوح في مدرسة أهل البيت عليهم السّلام .

وليس بالضّرورة أنّه إذا طرحت رأيًا جديدًا أن يقال لك : مَنْ مِنَ العلماء السّابقين قال بهذا الرّأي ؟

من الممكن أنّه لم يقل عالم سابق بهذا الرّأي ، المهمّ ما هو دليلك الذي تستند إليه في رأيك الجديد ؟ هل عندك قراءة جديدة للنّصّ الدّينيّ ؟ وما هو الدّليل على صحّتها ؟ هل عندك فهم جديد للنّصّ الدّينيّ ؟ وما هو دليلك عليه ؟

إذا طرح أيّ شخص فكرة معيّنة تسأله عن الدّليل عليها ، سواء كان عالِمًا أم غير عالِم .

الرّجوع إلى الموضوع :

كان الكلام عن اللّاأدريّين ، واللّاأدريّ لا يأخذ بأدلّة القائلين بوجود الإله ولا بأدلّة القائلين بعدم وجود الإله ، لا يدري أنّ الإله موجود أو غير موجود ، وقرأنا بعض الكلمات لبعض المؤلّفين ، والآن نقرأ بعض الكلمات الأخرى .

يقول الدّكتور رمسيس عوض في كتابه "ملحدون محدَثون ومعاصِرون" : بقي أن نبيّن أنّ الفيلسوف البريطانيّ برتراند رسل Bertrand Russell لم يكن ملحدًا ، بل كان – شأنه شأن توماس وجوليان هكسلي Julian and Thomas Huxley – لاأدريًّا ، أي أنّه لا يدري إذا كان الله (الإله) موجودًا أم لا [١] .

ويقول الدّكتور رمسيس عوض أيضًا : قول جولز إير Jules Ayer المتوفّى ١٩٨٩ م : ليس هناك طريقة لإثبات حتّى احتمال وجود إله مثل الإله الّذي تؤمن به المسيحيّة ، ويحرص على توضيح وجهة نظره في هذا الشّأن حتّى لا تختلط بكلّ من الإلحاد ، فالشّخص اللّاأدريّ يقول . . . والشّخص الملحد يقول . . . [٢] .

المدّعون للإلحاد عندهم مشكلة مع الإله الّذي تقول به اليهوديّة أو

---

[١] ملحدون محدَثون ومعاصِرون ص٥٢–٦٠ .

[٢] المصدر السّابق ص٦٣ .

المسيحيّة ، أي تصوّر اليهوديّة أو المسيحيّة للإله ، فاليهود لهم تصوّر عن الإله ، والمسيحيّون لهم تصوّر عن الإله ، فالتّصوّرات المطروحة لا يقبلها .

وهناك تصوير للإله عند بعض المسلمين ، والمسلمون الآخرون لا يقبلونه ، مثلًا الله له جسم وجالس على العرش ، فمشكلة بعض الملحدين مع هذا التّصوّر عن الله سبحانه لا مع الله تعالى ، فعند المسلم الّذي يقول بأنّ الله جسم يكون المسلم الّذي لا يقول بجسميّة الله ملحدًا كافرًا ، وكذلك العكس ، فهم يلحدون بهذا التّصوّر عن الله ، ولا يلحدون بالله نفسه ، ولكنّنا نقول بأنّ الجميع مسلمون ، وكلّ شخص من هؤلاء المسلمين عنده تصوّر عن الله مثلما أنّه يوجد عندك تصوّر عن الله ، هو عنده تصوّر آخر عن الله ، وكلّ طرف يطرح أدلّته القرآنيّة على صحّة تصوره .

من يقول بالجسميّة يقول إنّ دليلي قرآنيّ وهو قوله تعالى :

"يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ" [1] .

والطّرف الآخر يقول بأنّ الله ليس بجسم ، ويأتي بدليل قرآنيّ وهو :

"لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ" [2] .

إنّ من يقول بالجسميّة لا يجمع بين الآيات القرآنيّة ، وإنّما يأخذ ببعض الكتاب .

---

[1] الفتح : ١٠ .

[2] الشّورى : ١١ .

نسأل : الله جسم أو ليس بجسم أمر نظريّ أو أمر بديهيّ ؟

أمر نظريّ يحتاج إلى بحث ، لذلك تختلف التّصوّرات في الأديان المختلفة ، وفي الدّين الواحد ، وفي المذهب الواحد ، ولكنّ المهمّ ما هو دليلك على صحّة تصوّرك ؟

إنّ من تشهّد الشّهادتين هو مسلم ، ومن الطّبيعيّ أن تكون عنده تصوّرات تختلف عن تصوّراتك ، ويظلّ على إسلامه ، ولا يخرج خارج الإسلام ، يعتقد بالله ربًّا وبالنّبيّ رسولًا ، أنت تعتقد بأنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله معصوم في كلّ شيء ، وهو يعتقد أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله معصوم في التّبليغ فقط ، والبحث بحث نظريّ ، أنت عندك دليل اقتنعت به ، وهو عنده دليل اقتنع به ، فينفتح باب الحوار والنّقاش العلميّ في هذه الأمور ؛ لكي يصل الأطراف إلى الرّأي الّذي عليه دليل مُقْنِعٌ ، ولنفرض أنّهم لم يصلوا إلى الاتّفاق على رأي واحد ، لا أنت استطعت إقناعه ، ولا هو استطاع أن يقنعك ، أنت مسلم وهو مسلم ، ولا يخرج أحدكما خارج الإسلام ، والنّصّ الدّينيّ يمكن أن يُفْهَمَ بطرق مختلفة ، وهذه هي طبيعة الإنسان ، أيّ نصّ تقرأه حتّى لو كان في كتاب عاديّ أنت تفهم شيئًا ، والآخر يفهم شيئًا آخر ، لذلك تتناقشون وتتحاورون عن هذه العبارة ، هل المقصود منها هذا الرّأي أو الرّأي الآخر ؟

حتّى في الرّسالة العمليّة يقع الاختلاف في أنّ هذا الاحتياط وجوبيّ أو استحبابيّ ، عالم يقول لك احتياط وجوبيّ ، والعالم الآخر يقول

لك احتياط استحبابيّ ، وهذا الاختلاف الفكريّ النّظريّ من طبيعة الإنسان ؛ لأنّ العقول متمايزة والأفهام مختلفة .

وكثير من الّذين يُطْلَقُ عليهم "ملحدون" ليسوا ملحدين في الواقع ، فهم يلحدون ويكفرون بالتّصوّرات المطروحة عن الإله ، ولا يلحدون ولا يكفرون بالإله الواقعيّ ، وبعضهم من الرّبوبيّين ، وبعضهم من اللّاأدريّين ، وبعضهم من الشاكّين ، ولا يمكن إقامة الدّليل على عدم وجود الإله كما قال دوكنز .

ومن أسباب انتشار الإلحاد في المجتمعات المسلمة هو بعض القراءات والأفهام والتّصورات الّتي تُقَدَّمُ عن الله تعالى وعن الدّين الإسلاميّ ؛ لأنّ بعض التّصوّرات المطروحة عن الدّين تؤدّي إلى الإلحاد ، مثلًا حينما يقال بأنّ الإسلام دين السّيف ، وأنّه يجب نشر الإسلام بالقوّة وإجبار النّاس على دخول الإسلام بحدّ السيف ، فإمّا دخول الإسلام وإمّا القتل .

وأنت كإنسان مسلم لا تقبل نشر الإسلام بالقوّة ؛ لأنّه إذا قلنا بقاعدة نشر الدّين بالقوّة فذاك اليهوديّ يقول أيضًا لا بدّ أن ننشر اليهوديّة بالقوة ، والمسيحيّ يقول نفس القول ، والبوذيّ كذلك ، ومن يعبد البقرة أو يقدّسها يقول نفس القول ، ولا تبقى القاعدة كقاعدة خاصّة بالمسلمين ، فكلّ صاحب دين يريد أن ينشر دينه في العالم بالقوّة ، ومعنى ذلك أنّ العالم سيتحوّل إلى ساحة حرب بين جميع الأديان والمذاهب .

ومن جهة أخرى يقول المسلمون بأنّ الإسلام دين السّلام ودين التّسامح مع الأديان الأخرى ، وترى نفس الشّخص الّذي يقول بالإرهاب وقتل الآخرين يقول بأنّ الإسلام دين السّلام والتّسامح ، ويقول بأنّ آية السّيف نسخت كلّ آية في القرآن تدعو إلى السّلام والتّسامح ، ثمّ يقول بأنّ الدّين يدعو إلى السّلم ويستدلّ بالآية :

". . . **ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً** . . ." .

وذاك الّذي يذبح ويقطع الرءوس ويفصلها عن الأجساد تجد له محاضرة يدعو فيها إلى السّلام ، ويقول بأنّ الإسلام دين التّسامح مع الأديان الأخرى ، وفي نفس الوقت يكفّر فرق المسلمين ويدعو إلى قتلهم ، بل ويدعو إلى قتل كلّ كافر في العالم .

إذن بعض القراءات الّتي تُطْرَحُ عن الإسلام هذه القراءات سبب في نشر الإلحاد بين المسلمين .

ومن أسباب انتشار الإلحاد في العالم هو تقديم علماء الأديان قراءاتهم وتصوّراتهم وفهمهم عن دينهم ، كقول علماء المسيحيّة بالتّثليث وأنّ الإله الواحد مركّب من ثلاثة ، وتأتي عدّة إشكالات على هذا القول ، وفرقة من المسيحيّين يعتقدون بأنّ المسيح عيسى بن مريم من البشر ، وليس ابن الله ، والّذي يقدّس البقرة يأخذ من بولها ويتمسّح به ، والمسلم الّذي يدعو إلى شرب بول البعير ، فيأتي الإشكال على الإسلام ، وإذا لم تثبت بطريقة علميّة أنّ بول البعير له فوائد علاجيّة ولم توجد عند المسلمين شهادات من المختبرات العالميّة

فلا يستطيعون أن يدّعوا هذا الادّعاء .

ويوردون إشكالات على ما يسمّى بـ "الطّبّ النّبويّ" ، ويقولون إنّ هذا هو الطّبّ القديم الموجود في ذاك الزّمان ، ولا بدّ أن يثبت المسلمون أنّ ما ذُكِرَ في الرّوايات هي فعلًا علاج للأمراض ، وكثير من الرّوايات في "الطّبّ النّبويّ" روايات مرسلة لا سند لها ، رُوِيَ عن النّبي أنّه قال كذا ، مثلًا تأكل المرأة الحامل السّفرجل فتلد طفلًا جميلًا ، لا بدّ من إثبات هذا الأمر علميًّا ، مثلما أنّ علماء الغرب يأخذون عيّنات من المتبرّعين ويجرّبون عليهم الأدوية ، وأنت كطبيب متخصّص في الأعشاب لا بدّ أن تأتي بعيّنة من المتبرّعين وتجرّب عليهم الأدوية كبحوث علميّة وتعطينا النّتائج ، مع أنّ العلاج بالطّعام والأعشاب توجد له جامعات ومستشفيات متخصّصة في الهند والصّين ، ويعالجون الأمراض بالأعشاب ، وعندهم دراسات موسَّعة في العلاج بالأعشاب ، وكذلك العلاج بالطّعام ، فإذا عنده مرض معيّن فإنّه يمتنع عن بعض الأطعمة ، مثلًا إذا كان عندك زكام يقال لك اشرب عصير اللّيمون لأنّ فيه فيتامين سي ، ولكن لا بدّ أن تثبت كلّ ذلك بطريقة علميّة لكي لا ينفتح باب للخرافات والمشعوذين ، وليس كلّ مرض سببه الجنّ كما يرى الآن العقل المسلم ، يقولون إنّ جميع الأمراض في الإنسان سببها الجنّ ، نقول إنّ الجنّ في عالم والإنسان في عالم آخر ، فيذهبون إلى المشعوذين .

ولو نفتح هنا في الدّيوانية عيادة للأمراض النّاتجة من الجنّ لما كان

لكم موطئ قدم في هذا المكان ، ولرأيتم أشخاصًا ينتظرون خارج البيت ، ولكن إذا طرحنا مواضيع فكريّة ترى أنّ المستمعين قليلون ، إذا كان يقرأ على ماء ويبيع الزّجاجة بعشرة دنانير ترى الطّوابير الّتي تنتظر لأخذ زجاجة من الماء ، والنّاس عندهم الاستعداد للشّراء ، وكلّه دجل وشعوذة ، والمشكلة في عقول المسلمين ، إذا طرحنا موضوع "عالميّة الإسلام" ترى القليل من المستمعين ، وإذا كان يبيع زجاجة ماء بعشرة دنانير ترى الكثير مستعدين للشّراء ، ويظنّون بأنّ هذا الماء سيشفيهم من الأمراض لأنّ فلانًا نفخ عليه .

إذن من المهمّ أن نفكّر كيف نقدّم هذا الدّين للعالم ؟

والتّصوّرات عن الإله وعن الأديان هي الّتي تسبّب الإشكالات وتساهم في نشر الإلحاد في العالم .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

عالميّة الإسلام

(٤٩)

تابع أقسام اللّاأدريّين [١]

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

بعض الرّسائل تصل والأشخاص الّذين يرسلون هذه الرّسائل ما زالوا ينظرون إلى إسلام القرية ، وفي محاضرات "عالميّة الإسلام" نتحدّث عن إسلام أمّ القرى .

"وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ولِتُنذِرَ أُمَّ القُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا . . ." [٢] .

ما زالت نظرتهم للإسلام نظرة ضيّقة ، وكأنّ الإسلام جاء لقرية فقط ، جاء بأحكام تتناسب مع قرية صغيرة ، وأمّا في محاضراتنا فنحاول أن نبيّن عالميّة الإسلام ، بحيث ننظر إلى الأحكام بمنظار

---

[١] أُلْقِيَتْ هذه المحاضرة في الدّيوانيّة الأسبوعيّة في منطقة بيان ، الجمعة ١٣ شعبان ١٤٤٠ هـ ، الموافق ٢٠١٩/٤/١٩ م .

[٢] الأنعام : ٩٢ .

العالميّة ، لنفرض أنّه قيل لك هذا العالم أمامك ، وتريد أن تجعل قوانين عالميّة ، ما هي القوانين الّتي تجعلها لأجل العالم ؟

ومرّة يقال لك اجعل قوانين لقرية ، تجد أنّ القوانين في القرية تكون قوانين محدودة ، وأمّا القوانين الّتي تريد أن تحكم بها العالم لا بدّ أن تكون قوانين عالميّة .

من الإشكالات الّتي تُطْرَحُ أنّ الدّين ثابت ومشاكل العالم متغيّرة ، فكيف يمكن للدّين الثّابت أن يحلّ المشاكل المتغيّرة ؟

وهذا إشكال وارد على الإسلام ، فإذا تريد أن تجعل قوانين عالميّة فلا بدّ أن يكون عندك نوعان من الأحكام : أحكام ثابتة وأحكام متغيّرة ، وهذا البحث يأتي تحت عنوان "الثّابت والمتغيّر في الإسلام" ، ونقول بأنّ الإسلام يحتوي على هذين النّوعين من القوانين ، فتوجد قواعد كلّيّة عامّة تصلح لكلّ زمان ومكان ، وهناك قوانين متغيّرة تسير مع الزّمن المتطوّر ومع الأمور المتغيّرة في العالم .

كمثال بسيط : حينما تريد أن تقصر في الصّلاة وتصلّي ركعتين بدل أربع ركعات ، المسألة المطروحة هي أنّه إذا قطعت مسافة أربعة وأربعين كيلومترًا وكانت إقامتك أقلّ من عشرة أيّام فصلاتك تكون قصرًا ، فلا بدّ أن نبحث أنّ تحديد هذه المسافة هل هي ثابتة بحيث إنّ هذه المسافة تعمّ كلّ زمان ومكان أو أنّ هذه المسافة كانت مختصّة بزمان النّبيّ صلّى الله عليه وآله وما بعده حينما كانت وسائل السّفر عبارة عن الدّوابّ ، وهذا يحتاج إلى بحث ، وهل نحتاج إلى نظريّة

دخالة الزّمان والمكان في الأحكام أو لا نحتاجها ؟

من لا يتبنّى هذه النّظرية يقول إنّ هذه المسافة ثابتة حتّى لو كان السّفر بواسطة الطّائرة النّفّاثة ، وتستطيع أن تدور حول العالم في عدّة ساعات ، ومن يتبنّى دخالة الزّمان والمكان في الأحكام يقول إنّ هذه المسافة متغيّرة ، وتتناسب مع وسائل النّقل في كلّ زمان أو مكان .

وقبل هذا لا بدّ أن نثبت صحّة نظريّة دخالة الزّمان والمكان في الأحكام ، فنحتاج إلى بحث مسبق ، وهذا البحث سيأتي بعد ذلك إن شاء الله تعالى ، وسنرى ما هي الأدلّة الشّرعيّة الّتي تدلّ على صحّة نظريّة دخالة الظّروف الزّمانيّة والمكانيّة في موضوعات الأحكام لا في الأحكام مباشرةً ، بل في موضوعات الأحكام ، ولكن اختصارًا يقال دخالة الزّمان والمكان في الأحكام .

إذن :

ينظر البعض لحدّ الآن إلى "إسلام القرية" ، وهنا نحن نحاول أن نطرح "إسلام أمّ القرى" بحيث نبيّن أنّ هذه الأحكام تتناسب مع عالميّة الإسلام ، وإذا لم نثبت أنّ الأحكام الدّينيّة تتناسب مع عالميّة الإسلام فلا يمكن لنا أن نطرح هذه الأحكام للعالم ؛ لأنّه سيقول لنا النّاس إنّ هذه الأحكام لا تناسبنا .

وطرحنا بعض الأمثلة كالزّكاة والاحتكار ، فلا بدّ أن ننظر إلى الأحكام الدّينيّة بمنظار العالميّة لنرى أيّ الأحكام المطروحة اليوم تتناسب مع العالميّة وأيّها لا تتناسب مع العالميّة ، وهذا أمر مهمّ جدًّا

لكي لا يقال لنا عندكم إسلام القرية ، ونحن نريد أن نثبت للعالم إسلام أم القرى ، وأنّ الإسلام صالح لكلّ زمان ومكان ، وفيه من الأحكام المتطوّرة الّتي تكون صالحةً لحلّ جميع المشاكل ، بحيث يمكن لنا طرح حلّ لكلّ مشكلة من المشاكل العالميّة ، لا فقط المشاكل المحدودة ضمن قرية .

وأيضا من الرّسائل الّتي وصلت أنّه بمناسبة مولد الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشّريف أن نطرح محاضرة عن "عالمية الإمام المهديّ عليه السّلام" ، وهذا الاقتراح جيّد ، ولكنّنا نسير ضمن سلسلة معيّنة في هذه البحوث ، والآن كلامنا عن "الإله" ، وبعد ذلك سننتقل إلى النّبوّة ، ثمّ إلى الإمامة ، وفي الإمامة نتحدّث عن عالميّة الإمام المهديّ عليه السّلام ، مع الأدلّة الّتي تثبت الدّعوة العالميّة للإمام عليه السّلام ، ولكنّنا نسير ضمن منهج معيّن لمحاضراتنا في موضوع عالميّة الإسلام .

وتكلّمنا سابقًا في موضوع "تكاليف المؤمن في عصر الغيبة" في سلسلة من المحاضرات في هذه الدّيوانيّة في ثمان وخمسين محاضرة موجودة على قناتنا في اليوتيوب لمن يرغب بالاستماع إلى هذه المحاضرات .

الآن في زماننا كيف نقدّم الله عزّ وجلّ إلى العالم ؟ هل نُقَدِّمُ الله للعالم على أنّه قمّة الرّحمة وقمّة الرأفة وقمّة اللّطف وقمّة الرّفق ، أو نُقَدِّمُ الله سبحانه للعالم على أنّه قمّة القسوة وقمّة الشّدّة ، وأنّ الله أو

الإله خلق النّاس ولكنّه يعاديهم ، فدائمًا يريد أن يعذّبهم ، فيوجد عذاب في الدّنيا وعذاب في الآخرة ، أو أنّ الله رحيم بالعباد ، فيريد أن يرحمهم في الدّنيا وفي الآخرة ؟

هاتان صورتان لله سبحانه ، والإرهابيّون يقدّمون إله القسوة ، إله العذاب ، إله العقاب ، وإله القسوة والعذاب والعقاب لا يُقْبَلُ عالميًّا ، يريدون الإله الرّحيم ، ونقول بأنّ الإسلام دين الرّحمة ودين التّسامح ، ولكنّ المسلمين في ممارساتهم لا يُظْهِرُونَ هذا الأمر ، فبعض الأحكام الّتي تُطْرَحُ في المدارس والمذاهب المسلمة الّتي تنتسب إلى الإسلام يقدّمون الإسلام على أنّه إسلام القسوة من خلال فتاواهم وممارساتهم ، فحينما يقتلون ويذبحون وينحرون فهذا الإسلام لا يُقْبَلُ ، يقولون إنّ إلهكم يدعو إلى القتل والقتال ، ودعوتكم أنّكم تعرضون الإسلام على الكافر ، فإذا لم يقبل تقتلونه ، وبالنّسبة لأهل الكتاب تعرضون عليه الإسلام فإمّا أن يقبل وإمّا أن يدفع الجزية وإمّا أن تقتلونه ، فدعوتكم تتضمّن القتل دائمًا ، وبالنّسبة للمسلم إذا ترك الإسلام تقتلونه أيضًا ، فإسلامكم دائمًا فيه قتل ودماء .

ومن جهة أخرى تدّعون أنّ الإسلام دين الرّحمة ودين التّسامح مع الأديان الأخرى ، ولكنّكم في أحكامكم وفتاواكم وممارساتكم أنتم لا تُظْهِرُونَ أنّ الإسلام دين الرّحمة ، وفي محاضراتنا نريد أن نبيّن أنّ الإسلام دين الرّحمة من خلال الأحكام الّتي يطرحها الإسلام ، وهذه الأحكام تتطلّب أن تكون ممارسات المسلمين مع العالم كلّه على

أساس الرّحمة ، سواء من يكون في داخل الإسلام أم من يكون خارج الإسلام .

هل المسلمون يتعاملون مع البوذيّ على أساس الرّحمة أو على أساس القتل ، تقبل الإسلام أو تُقْتَلُ ولا يوجد خيار ثالث ؟

هل يريد المسلمون أن يعيشوا ضمن المجتمع الإسلاميّ كما كان في مجتمع المدينة المنوّرة في زمان النّبيّ صلّى الله عليه وآله حيث كان يوجد مختلف الأديان والطوائف ؟

كان أهل الكتاب من اليهود والمسيحيّين موجودين في المدينة ولم يقتلهم النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، والمنافقون لم يقتلهم النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، حتّى رأس النّفاق لم يقتله النّبيّ صلّى الله عليه وآله مع أنّه كان معروفا بين المسلمين من أنّه رأس النفاق ، وقد يكون بعض المشركين موجودين في المدينة ، وأيضًا لم يقتلهم النّبيّ صلّى الله عليه وآله .

فنسأل : أحكام القتل من أين أتت وهذه هي ممارسات النّبيّ صلّى الله عليه وآله مع الأديان والفِرَق والطوائف ؟

والقرآن الكريم يقول :

"وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ" [1] .

وقد طرحنا بحثًا سابقًا عن هذا الموضوع تحت عنوان "قاتلوا الّذين

---

[1] البقرة : ١٩٠ .

يقاتلونكم" ، والقتال يكون مع من يقاتل المسلمين فقط ، والمسلمون لا يبدؤون بالقتال أبدًا ؛ لأنّ الإسلام دين السّلام لا دين الحرب .

في معركة النّهروان مع الخوارج قال أمير المؤمنين عليه السّلام لأصحابه : "لا تبدؤوهم بقتال حتّى يُحْدِثُوا حدثًا" [١] .

"لا تبدؤوهم بقتال حتّى يكونوا هم الّذين يبدؤونكم" [٢] .

"لا تبدؤوهم بقتال حتّى يبدؤوكم" [٣] .

أنّ عليّا قال في الحروريّة : "لا تبدؤوهم بقتال" [٤] .

وقول الإمام عليه السّلام يتناسب مع القرآن ، والجهاد الموجود في القرآن هو جهاد من يقاتل المسلمين فقط ، والمسلم لا يبدأ بالقتال ، والإسلام لا يدعو إلى القتال ابتداءً ، ولا يدعو إلى احتلال أراضي الآخرين ، ولا احتلال المجتمعات الأخرى ، ولا توجد هذه الدّعوات في الإسلام ، والقرآن الكريم يقول : **"ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ"** [٥] .

---

[١] فتح الباري شرح صحيح البخاريّ لابن حجر العسقلانيّ ج١٢ ص٢٦٤ ، نيل الأوطار لمحمّد بن عليّ الشّوكانيّ ج٧ ص٣٥٠ .

[٢] المستدرك على الصّحيحين للحاكم النّيسابوريّ ج٤ ص٥٣٢ .

[٣] شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٢ ص٢٧٢ .

[٤] إرواء الغليل لمحمّد ناصر الدّين الألبانيّ ج٨ ص١١٩ رقم ٢٤٦٩ ، وقال الألبانيّ : حسن .

[٥] النّحل : ١٢٥ .

هذه هي دعوة القرآن ، وأمّا دعوة السّيف فلا توجد في الإسلام ، بأن ترفع السّيف في وجه الأمم الأخرى وتخيّرهم بين أمرين : إمّا تسلمون وإمّا تقتلون ، فليست هي دعوة الإسلام .

إنّ الجهاد في الإسلام جهاد دفاعيّ لا جهاد هجوميّ ، وصارت كلمة "الجهاد" طعنًا في الإسلام والمسلمين ، وهذا مطروح ضمن المقابلات الفضائيّة الّتي تنتشر في الغرب ، يفهمون من الجهاد الاعتداء على الآخرين ، ولا بدّ أن نبيّن أنّ الجهاد دفاع عن النّفس ، وهو نفس القتال الّذي يكون دفاعًا عن النّفس .

كيف نبيّن هذا الدّين للعالم ؟

ما هي صورة الله أمام العالم ؟

هذه أمور مهمّة ؛ لكي يعرف العالم أنّ المسلمين يكونون رحماء فيما بينهم ومع الآخرين ، نعم أشدّاء على الكفّار المقاتلين ، وأمّا الكافر المسالم غير المقاتل فلا نبدأه بقتال ، من يهجم عليك أنت تدافع عن نفسك ، وتكون شديدًا عليه .

"وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُمْ مِن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ" [1] .

نعم قوّة دفاعيّة لا هجوميّة ، بحيث إنّ دولة الإسلام تكون لها الهيبة أمام العالم ، ويخافون من الهجوم عليها ؛ لأنّها تملك القوة بمختلف أنواعها ، من القوّة العسكريّة والقوّة الثّقافيّة والقوّة العلميّة

---

[1] الأنفال : ٦٠ .

والقوّة الفكريّة وقوّة الاكتفاء الذّاتيّ في مختلف المجالات ، تملك كلّ مصداق من مصاديق القوّة ، والقوّة الفكريّة والعلميّة والثّقافيّة من أهم القوى ، والمسلمون اليوم ضعفاء من حيث الفكر والعلم والثّقافة ، والدّولة الإسلاميّة تملك قوّة الاكتفاء الذّاتيّ من حيث الصّناعة والزّراعة والثّروة المعدنيّة والثّروة السمكيّة وجميع القوى الأخرى بحيث إنّ المسلمين لا يحتاجون إلى الدّول الأخرى ، هذه هي الدّولة الإسلاميّة الّتي نريدها ، وهي دولة الإمام المهديّ عليه السّلام ، وهي دولة العدالة الإنسانيّة ، ودولة الحقّ ، ودولة الرّحمة .

الرّجوع إلى الموضوع :

نرجع إلى موضوعنا في أقسام اللّاأدريّين .

يقول الدّكتور رمسيس عوض في كتابه "ملحدون محدَثون ومعاصِرون" عن جوليان هكسلي Julian Huxley صاحب نظريّة المذهب الإنسانيّ : ويؤكّد هكسلي في أكثر من موضع أنّ انهيار الدّين في العصر الحديث لا يعني اندثار ما نسمّيه بالدّافع الدّينيّ للإنسان ، كلّ ما هنالك أنّه يجب على هذا الحافز الدّينيّ الكامن في الإنسان أن يأخذ شكلًا جديدًا [١] .

سيأتي بحث عن "المذهب الإنسانيّ الإسلاميّ" في مقابل نظريّة جوليان هكسلي ، فهل يمكن أن نطرح نظريّة بعنوان "المذهب الإنسانيّ في الإسلام" ؟ وما هي أسس هذه النّظريّة الإسلاميّة ؟

---

[١] ملحدون محدَثون ومعاصِرون ص٦٥ .

وسنرى ما هي أسس النّظريّة الّتي طرحها هكسلي ، وهل يمكن أن نطرح أسسًا في مقابل الأسس الّتي طرحها ؟

وأيّ نظريّة تُطْرَحُ في العالم نبحث أنّه هل يمكننا أن نطرح نظريّة إسلاميّة في مقابلها أو لا ؟

نعم بعض الأسس الّتي يطرحها أصحاب النّظريّات نوافق عليها لأنّها تتوافق مع الدّين ، وهي أسس إنسانيّة ، ولكن يمكن أن نغيّر بعض الأسس الّتي يطرحونها ، ونجعلها نظريّات إسلاميّة ، مثلًا الحداثة الغربيّة هل يمكن أن نطرح في مقابلها الحداثة الإسلاميّة أو لا ؟

وهذا البحث سنأتي إليه حينما نبحث في موضوع "الحداثة وما بعد الحداثة" ، وفي مقابلها نبحث في الحداثة الإسلاميّة ، ونطرح أسسًا في مقابل الأسس الّتي يطرحونها في نظريّاتهم ، ونستخرج أسس الحداثة الإسلاميّة من القرآن الكريم .

ذكر هكسلي "الدّافع الدّينيّ للإنسان" ، وهذا ما نسمّيه "فطرة الإنسان" ، فيوجد أمر في باطن الإنسان يدفعه للبحث عن الإله وعن الدّين ، فالاعتقاد بالإله وبالدّين أمر فطريّ عند الإنسان ، ولكن هذا ادّعاء بأنّه من فطرة الإنسان ، ولا بدّ أن نثبته بالأدلّة .

إنّ الإنسان لا يستطيع أن يعيش بلا دين ، والشّاهد على ذلك أنّه في أيّ قوم من الأقوام السّابقين كان يوجد إله يعبدونه ، حتّى في العصر الحجريّ ، وقد رأى الباحثون في الكهوف بعض الرّسومات

الّتي تدلّ على أنّهم يعتقدون بإله ، فالاعتقاد بالإله أمر فطريّ ، ولكنّ الإنسان يخطئ في مصداق الإله ، هذا الإله المطلق يخطئ الإنسان في تشخيصه ، فقد يعبد إنسانًا أو صنمًا أو حيوانًا ، ولولا هذا الأمر الفطريّ لما كان الإنسان يتّجه إلى العبادة ، فالعبادة أمر فطريّ ، والدّين أمر فطريّ ، والبحث عن الإله أمر فطريّ ، فحينما يرى هذا الكون يتساءل : من الّذي خلق الكون ؟

قد يتصوّره إنسانًا مثله ، أو يتصوّر إلها يجسّمه على شكل إنسان ، أو يظن أنّه هذا الصّنم أو هذا الحيوان ، فمن فطرة الإنسان العبادة والتّوجّه إلى الإله ، ومن فطرة الإنسان اتّخاذ الدّين الّذي هو مجموعة من الاعتقادات ومجموعة من الأعمال المترتّبة على هذه الاعتقادات ، فالمسلم يعتقد بالله فيصلّي ، حتّى الإنسان الملحد هو صاحب دين ؛ لأنّ الملحد عنده مجموعة من الاعتقادات الّتي تترتّب عليها مجموعة من الأعمال ، وهذا هو تعريف الدّين ، فيوجد دين الإلحاد ، لذلك في الآية الكريمة :

"قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ" [(١)] .

والحديث في الآيات مع الكافرين : **"قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ"** ، والقرآن يقول بأنّ لهم دينًا ، وهو دين الكفر ؛ لأنّ تعريف الدّين

[(١)] الكافرون : ١-٦ .

ينطبق عليه ، والإنسان الملحد لا يعتقد بوجود الإله ، فتترتّب على اعتقاده مجموعة من الأعمال والسّلوكيّات ، وما دام أنّه يعتقد بعدم وجود إله وعدم وجود الحساب فالبعض منهم ينفلت من ناحية أخلاقيّة ، ولا يوجد عنده مقياس للأخلاق ، وهذا العمل مترتّب على هذا الاعتقاد ، وأنت كإنسان تعتقد بالله لا بدّ أن تأتي بالأخلاقيّات ، وسلوكك لا بدّ أن يكون مبنيًّا على أساس مجموعة من الأخلاقيّات المترتّبة على الاعتقاد بالله تعالى .

إذن الإنسان لا يستطيع أن يعيش بلا إله وبلا دين ، وسيأتي بحث ذلك تفصيلًا حينما نتحدّث عن "فلسفة الدّين" ، وسيأتي أنّ الحاجة إلى الإله وإلى الدّين أمر فطريّ عند الإنسان ، ولكن لا بدّ أن نقيم الأدلّة على إثبات ذلك ، وسنبيّن ما هي الفطرة الموجودة عند الإنسان .

"فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ" [(١)] .

"صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ" [(٢)] .

يقول الدّكتور رمسيس عوض في كتابه "ملحدون محدَثون ومعاصِرون" عن أنتوني أوهير Anthony O'Hear : وترجع غرابة كتاب أوهير إلى أنّه يحبّذ الشّكّ في الدّين ويدعو إليه ، دون أن يحبّذ الإلحاد

---

(١) الرّوم : ٣٠ .

(٢) البقرة : ١٣٨ .

أو يدافع عنه ، وليس أدلّ على هذا ممّا سطّره في عام ١٩٩١ عندما صرّح أنّه لا يقبل أن يصنّف نفسه ملحدًا ؛ لأنّ الإلحاد يتضمّن استبعاد احتمال وجود الله (الإله) ، ولكنّ أوهير يعترف بعجزه عن تحديد أبعاد هذا الاحتمال [١] .

أوهير لا يدعو إلى الإلحاد ، ولكنّه يدعو إلى الدّين أو إلى الشّكّ في الدّين ، وهو لا يستبعد احتمال وجود الإله ، ولكنّه لا يستطيع تحديد نسبة هذا الاحتمال ، هل احتمال وجود الإله ١% أو ٥٠% أو ٩٩% ، وإذا كان يوجد عنده احتمال وجود الإله فلازمه احتمال وجود الدّين الّذي يريده الإله .

أقسام اللّاأدريّين :

ينقسم اللّاأدريّون إلى قسمين :

١- اللاأدري الإيجابي .

٢- اللاأدري السلبي .

يقول الدّكتور رمسيس عوض في كتابه "ملحدون محدَثون ومعاصِرون" عن مايكل سكريفن Michael Scriven : يرى سكريفن أنّه من المفيد التّمييز بين نوعين من اللّاأدريّة : اللّاأدريّة الإيجابيّة واللّاأدريّة السّلبيّة ، واللّاأدريّ الإيجابيّ - في نظره - هو الّذي يرى أنّ الدّلائل المتوافرة من شأنها أن تجعل موقفه الموقف السّليم ، وأن تجعل موقف المؤمن بوجود الله (الإله) والملحد الموقف الخاطئ ، أمّا

---

[١] ملحدون محدَثون ومعاصِرون ص٩١ .

اللّاأدريّة السّلبيّة فتتلخّص بكلّ بساطة في الموقف الرّافض لكل من الإيمان بوجود الله (الإله) والإلحاد دون أيّ إشارة إلى خطأ كلّ من هذين الموقفين ، واللّاأدريّة السّلبيّة قد تكون مجرّد تعبير عن الحيرة والتّردّد والجهل ، ومن ثمّ فإنّ اللّاأدريّ السّلبيّ – في رأيه – هو الّذي لم يقطع شوطًا كبيرًا على درب التّفكير مثلما فعل اللّاأدريّ الإيجابيّ ، وذلك لعجزه عن تقرير صحّة أيّ من هذه المواقف الثّلاثة الممكنة :

١– الإيمان بوجود الله (الإله) . ٢–الإلحاد . ٣–اللّاأدريّة .

. . . إنّ اللّاأدريّة كموقف مسألة تثير الاهتمام وتدعو إلى الاختلاف والجدل ، أمّا اللّاأدريّة بمعنى الامتناع عن اتّخاذ موقف فهي ببساطة دلائل على غياب النّشاط الفكريّ أو غياب القدرة على ممارسة هذا النّشاط أو الافتقار إلى الشّجاعة الأدبيّة [١] .

إنّ اللّاأدريّ الإيجابيّ يعتقد أنّ عنده الدّليل على لاأدريّته ، وأن موقف المثبتين لوجود الإله وموقف النّافين لوجود الإله كليهما باطل ، فلا يقبل أدلّة المثبتين ولا أدلّة النافين ، واللّاأدريّ الإيجابيّ يكون من المفكّرين ، فهو يفكّر بهذه المواضيع ، ويحاول أن يجد أدلّة تدعم موقفه ، ويناقش أدلّة المثبتين وأدلّة النافين .

وأكثر اللّاأدريّين يكونون من السّلبيّين الّذين ليس لديهم اطّلاع لا على أدلّة المؤمنين المثبتين لوجود الإله ولا على أدلّة الملحدين النّافين لوجود الإله ، وليس عندهم أدلّة على اللّاأدريّة ، فهم بين

---

[١] ملحدون محدَثون ومعاصِرون ص٩٣–٩٤ .

الحيرة والتّردّد والجهل ، وهم ليسوا من أهل الفكر ، فهم لاأدريّون لعوامل أخرى ، كأن يظهر بمظهر الحداثويّ أو التّنويريّ أو المتحضِّر أو التّقدّميّ ، وكذلك الملحدون فإنّ قليلًا منهم يكونون من المفكّرين ، وأكثرهم أتباع بلا تفكير ، فالملحدون من المسلمين يكرّرون كلمات الغربيّين .

ولا بدّ أن ننتبه إلى أنّ النّاس يتفاوتون في مستوى ذكائهم وفهمهم واستيعابهم .

يقول القرآن الكريم :

"**أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِها** . . ." [١] .

الوعاء العقليّ الذّهنيّ الفكريّ للإنسان يختلف من شخص لآخر ، وهذا مُلاحَظٌ عند النّاس ، فالنّاس يختلفون في ذكائهم وفهمهم واستيعابهم ، مثل الأودية الّتي تختلف في استيعابها لماء المطر .

عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله : "أمرنا معاشر الأنبياء أن نخاطب النّاس على قدر عقولهم" [٢] .

عن الإمام الصّادق عليه السّلام : "ما كلّم رسول الله صلّى الله عليه وآله العباد بكنه عقله قطّ" [٣] .

أي بحقيقة عقل النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، وإنّما كان صلّى الله عليه

---

[١] الرّعد ١٧ .

[٢] بحار الأنوار ج٢٥ ص٣٨٤ ح٣٨ .

[٣] الأمالي للشّيخ الصّدوق ص٥٠٤ .

وآله يتكلّم مع النّاس على مقدار عقولهم .

قد تجد شخصًا فاشلًا في الدراسة ، وتأتي إلى درجته في الفيزياء ويكون حاصلًا على ٢٠% مثلًا ، وبعد ذلك يأتي ليشرح نظريّات ستيفن هوكنج Stephen Hawking في الفيزياء ، هو لا يمتلك مبادئ الفيزياء ، أو أنّه راسب في مادّة علم الأحياء ، ويريد أن يناقش نظريّة التّطوّر .

كيف يمكنه أن يناقش نظريّات تحتاج إلى مستوى عالٍ من الذّكاء والفهم ؟!

إذا لم يكن عنده مبادئ الفيزياء فكيف يمكنه أن يفهم نظريّات ستيفن هوكنج ؟!

حينما يطرح العلماء نظريّة الكوانتم أو فيزياء الكمّ فإذا لم يكن عنده اطّلاع على الفيزياء فلا يمكن له أن يفهم هذه النّظريّة ، فكيف يمكن لشخص عنده مستوى منخفض من الذّكاء والفهم أن يناقش النّظريّات العلمية ويقول بأنّ هذه هي نظريات الملحدين وأنا أريد أن أدافع عنها ؟!

وعادةً المفكّرون في العالم يكونون قليلين ، ومن يحرّك العالّم هم عدد قليل من المفكّرين ، وأكثر النّاس أتباع ومقلِّدون ومنفِّذون ، حتّى في الاختراعات الحديثة المخترعون قليلون ، وباقي النّاس يأخذون هذا الاختراع ، من اخترع الإضاءة هو شخص واحد ، ولكنّ العالَم بعد ذلك يقوم بتنفيذ هذا الاختراع ، والهواتف النّقّالة من اختراع أشخاص

معدودين ، وأكثر النّاس مستعملون ، وحتّى في عالم السّياسة من يخطّط للعالم أشخاص معدودون ، مجموعة قليلة تخطّط سياسة العالم ، وجميع الدّول تطبّق هذه السّياسة ، ومن يخرج عن الطّوق يُحَارَبُ ، وَيُقَاطَعُ اقتصاديًّا ، ويبعثون الإرهابيّين إليها ، ولا بدّ أن تسير الدّول ضمن سياستهم وإلّا تكون خارج الدّائرة ، ويحاولون أن يقضوا عليها بمختلف الطّرق .

في الغرب المفكّرون لهم قيمة ، وتجد وسائل الإعلام تتحدّث عنهم ، ويقابلونهم في القنوات الفضائيّة ، ومقابلات في الصّحف ، وهذا المفكّر حينما يطبع كتابًا يطبع ملايين النّسخ ، ويصير غنيًّا مليونيرًا من وراء مؤلّفاته ، وأمّا عند المسلمين فالمفكّر والعالم والمثقّف لا قيمة لهم ، والدّليل على ذلك اذهب إلى صفحات الإنستغرام لمفكر أو عالم أو مثقّف ترى له أعداد قليلة جدًّا من المتابعين ، وتذهب إلى صفحات أشخاص تافهين وترى لهم مئات الألوف من المتابعين ، وقد يصل إلى ملايين المتابعين ، واهتمامات المسلمين في زماننا اهتمامات تافهة ، فالمفكّر والعالم والمثقّف لا يُعْطَى له قيمة .

تلك الممثّلة أو المطربة الّتي كانت في الطّائرة مع أحد علماء الدّين ، تقول له بأنّنا سننزل من الطّائرة وأنت لا يستقبلك أحد أو يستقبلك شخص واحد ، وأمّا أنا فالجمهور ينتظرني ، وفعلًا نزل من الطّائرة واستقبله شخص واحد لكي يأخذه إلى الفندق ، وقد تكون له محاضرة في مسجد أو ديوانيّة ، وهذه الممثّلة أو المطربة أو من يكون

لها عناوين أخرى نزلت من الطّائرة وإذا الجمهور ، شبابًا وشابّات ، رجالًا ونساءً ، صغارًا وكبارًا ، وحتّى العجائز ، بانتظار خروجها من المطار .

والنّاس لا يلتفتون إلى ما يفعلون ، هذه ظاهرة تبيّن تفاهة النّاس الّذين يُطْلَقُ عليهم اسم "مسلمون" ، الإنسان المسلم لا بدّ أن تكون اهتماماته اهتمامات عالية ، "مسلم" معناه أنّك تعتقد بالله ، وتعتقد بالنّبيّ صلّى الله عليه وآله ، وتعتقد بالمعاد .

ما هي الاهتمامات الّتي تكون للإنسان المسلم الّذي يعتقد بالله ويعتقد بالنّبيّ صلّى الله عليه وآله ويعتقد بالمعاد ؟

وهذا ينطبق على جميع المسلمين من مختلف المدارس والمذاهب ، وحتّى من أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السّلام ، تجد منهم من يهتمّ بالتّوافه .

إذا أراد المسلمون أن ينهضوا فلا بدّ أن يغيّروا اهتماماتهم ، وكلّ مسلم لا بدّ أن يغيّر اهتماماته بناءً على اعتقاداته ، والآن ممارسات المسلمين ليست على أساس اعتقاداتهم ، الدّين في جهة ، وهم في جهة أخرى ، وقلنا بأنّ الدّين عبارة عن مجموعة من الاعتقادات التي تترتّب عليها مجموعة من الأعمال ، والآن أعمال المسلمين لا تعبّر عن هذه الاعتقادات ، هو يعتقد بالله الإله المطلق ، ولكن اهتماماته اهتمامات تافهة لا تعبّر عن هذا الاعتقاد ، هل الإنسان الّذي يضيع وقته في التّوافه يعتقد بالله السّميع العليم البصير ؟

تأتي إلى مثقّف ومفكّر يطرح محاضرةً فتجد عنده عددًا قليلًا من النّاس ، ولو أنّ المطرب جعلته في ملعب كرة قدم فإنّ الملعب يمتلئ بالنّاس ، بل وينتظرون خارج الملعب ، وتباع التّذاكر في السّوق السّوداء ، مثلًا إذا كانت التّذكرة بعشرة دنانير فإنّها تُبَاعُ بمائتي دينار ، والنّاس عندهم استعداد أن يدفعوا لهذه التّذكرة ، والمثقّف والمفكّر يطرح محاضرة مجّانيّة وتجد بأنّ عدد الحاضرين قليل ، وبعض النّدوات الثّقافيّة تُلْغَى بسبب عدم حضور أحد .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

عالميّة الإسلام

(٥٠)

قل هاتوا برهانكم

وخطوات البحث العلميّ [١]

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

خطوات البحث العلميّ :

كلّ من يدّعي شيئًا عليه أن يقوم بالخطوات الثّلاثة التّالية :

الخطوة الأولى :

أن يعرض مدّعاه عرضًا وافيًا ، ويقيم الدّليل على صحّتها ، وإذا لم يُقِمِ الدّليل على صحّتها تكون دعوى بلا دليل ، فإذا كانت عندك فكرة اطرحها ، ولا بدّ أن تذكر الدّليل على صحّة هذه الفكرة .

"قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ" [٢] .

---

[١] أُلْقِيَتْ هذه المحاضرة في الدّيوانيّة الأسبوعيّة في منطقة بيان ، الجمعة ٩ ذو القعدة ١٤٤٠ هـ ، الموافق ٢٠١٩/٧/١٢ م .

[٢] النّمل : ٦٤ .

إذا كان صادقًا فيما يدّعي وبينه وبين نفسه عنده اقتناع بما يدّعيه فلا بدّ أن يكون عنده الدّليل ، وإذا اقتنع بشيء فلا بدّ أن يكون اقتناعه على أساس الدّليل ، وإذا لا يوجد عنده دليل فهذا الاقتناع لا قيمة له .

إذا كان يعتقد بالله تعالى فنسأله : ما هو دليلك على صحّة هذا الاعتقاد ؟

يقول : أبي كان يعتقد فأنا أعتقد .

فيكون اعتقادًا بالوراثة ، والاعتقاد بالوراثة لا قيمة له .

والآن لنستقرئ بين المسلمين ونسألهم : ما هو الدّليل على وجود الله عزّ وجلّ ؟

كم مسلم يمكنه الإجابة على هذا السّؤال جوابًا تفصيليًّا ؟

العدد سيكون قليلًا جدًّا ؛ لأنّهم يتعلّمون هذه العقائد منذ الصّغر من البيت والمدرسة ووسائل الإعلام ، ولكنّ هذا الاقتناع لا بدّ أن يكون على أساس الدّليل .

وبالنّسبة للشّيعيّ نسأله : ما هو دليلك على الإمامة ؟

هناك إشكالات تأتي على الإمامة ، وأقلّ إشكال هو أنّ أسماء الأئمّة عليهم السّلام غير مذكورة في القرآن ، فما هو الجواب ؟

وإذا كانت الإمامة أصلًا من أصول الدّين أو من أصول المذهب فأين الدّليل القرآنيّ عليها ؟

كم شيعيّ يمكنه الإجابة على هذه الأسئلة جوابًا تفصيليًّا ؟

يقـول بأنّـه توجـد عنـدي روايات ، فيقـال لـه إنّ هـذه الـرّوايات موجودة في كتبكم لا في كتبنا ، فإذا استطعت أن تثبت الإمامة من القرآن فيكون للبحث قيمة .

إذن :

من يدّعي شيئًا عليه أن يقيم الدّليل على صحّة هذا المدّعى .

الخطوة الثّانية :

أن يـردّ علـى جميـع الإشـكالات العلميّـة الّـتي تَـرِدُ علـى مـدّعاه ، تطرح فكرة ويكون عندك الدّليل ، ولكن تَوَقُّعِ الإشكالات ، ولا بدّ أن تجيـب علـى هـذه الإشـكالات ، ولا يمكنـك أن تقـول إنّ هـذه الإشكالات لا تهمّني ، يشكلون عليه فلا بدّ أن يكون عنده الجواب المقنـع ، وإذا لم يـردّ علـى جميـع الإشـكالات العلميّـة فـإنّ دليلـه يكـون دليلًا ناقصًا ، وهذه الإشكالات لا بدّ أن يردّ عليها .

مثلًا يشكلون علينا أنّ القرآن لا توجد له مخطوطات قديمة من أيّام النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، وعنـدكم مخطوطـات مـن القـرن الثّـاني أو الثّالث ، ما هو جواب المسلمين على هذا الإشكال ؟

لا يوجد عنـدك قـرآن مـن زمـان النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، وهـذا يحتاج إلى جواب .

وَيَرِدُ إشكال آخر على القرآن وهـو أن ليس كلّه عربيًّا ، فتوجـد كلمـات دخلـت علـى القـرآن مـن اللّغـة الآراميّـة ، كيـف تجيبـون علـى هذا الإشكال وأنتم تقولون بأنّ القرآن نزل بلسان عربيّ مبين ؟

هذه الإشكالات ستأتي حينما نصل إلى البحث عن القرآن ، يحتاج إلى بحث لكي نثبت للعالم أنّ القرآن كلّه كما ندّعي ، ولا بدّ أن يكون عندنا الدّليل ، وبعض الكلمات كلمات فارسيّة ، فهناك كلمات دخلت على القرآن من اللّغات الأخرى ، فما هو الجواب والقرآن الكريم يقول : **"وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ . . ."** [1] ؟

إذن :

يعرض المدّعى مع الدّليل ويردّ على الإشكالات .

الخطوة الثّالثة :

أن يبطل أدلّة مدّعيات الآخرين الّذين يخالفونه ، فهو عنده مدّعى ، والأطراف الأخرى عندهم مدّعيات ، هو يبيّن دليله ، وهم يبيّنون أدلّتهم ، ولا بدّ أن يردّ على أدلّتهم ، وأن تكون ردوده قويّة مقنعة قائمة على أسس منطقيّة ثابتة ، وأن يُشْكِلَ على أدلّتهم بإشكالات قويّة ، ولا يتّبع أسلوب التّهريج بلفت الأنظار إلى أمور أخرى لا تمتّ إلى أدلّتهم بصلة ، كأن يذكر قضايا شخصيّة غير مرتبطة بالدّليل ، ويحاول تسقيط الآخرين بذكر أمور شخصيّة ، كوجود خلاف بينه وبين زوجته ، كما هو في مناظرات القنوات الفضائيّة ، وهذا أسلوب جدال لا نقاش وحوار ، والخلاف مع زوجته لا علاقة له بالأدلّة ، فهذه قضيّة شخصيّة ، وتسمع المناظرة

---

[1] إبراهيم : ٤ .

ولا تخرج منها بأي نتيجة ، وكلّ طرف يتّهم الطّرف الآخر ، ويقول له أنت لا تفهم ، أنت كذا وأنت كذا ، عليه أن يردّ على الأدلّة لا أن يطرح قضايا شخصيّة ، والمطلوب منه هو أن يُشْكِلَ على أدلّة الأطروحات الأخرى المخالفة بإشكالات قويّة .

إذن :

في البحث العلميّ توجد ثلاث خطوات : الخطوة الأولى هي عرض المدّعى مع الدّليل ، والخطوة الثّانية هي ردّ الإشكالات الّتي تَرِدُ على الدّليل ، والخطوة الثّالثة هي أن يردّ على أدلّة المخالفين .

أخلاقيّات البحث العلميّ :

نذكر هنا شيئًا عن أخلاقيّات البحث العلميّ ، والّتي لا بدّ أن يتّصف بها الباحث حينما يريد أن يناقش الآخرين .

منها الابتعاد عن ذكر القضايا الشّخصيّة ، والتّركيز على نفس البحث بذكر أدلّته ونقض أدلّة المخالفين .

ويحتاج الباحث أيضًا إلى الصّدق والأمانة العلميّة فيما ينقله من أقوال المخالفين ، إذا أراد أن يذكر كلام الطّرف الآخر فلا بدّ أن يأتي بكلماته من مصادره المعتبرة ، وإذا أراد أن يناقش الملحدين فلا بدّ أن يأتي بأقوالهم من مصادرهم بدون تحريف .

ويحتاج الباحث أيضًا إلى الخبرة العلميّة والخلفيّة النّظريّة فيما يطرح من أفكار ، والاستفادة من العلوم الّتي درسها ، وجمع المعلومات والبيانات الكافية عن الموضوع بالرّجوع إلى المصادر الّتي تساعده في

بحثه سواء كانت هذه المصادر مؤيِّدة لفكرته أم معارِضة لها ، حتّى من يخالفه الرّأي يقرأ كلامه ، وهذا يفيده في بحثه ، ولا يذكر فقط أقوال المؤيّدين لرأيه لكي يوهم القارئ أو السّامع بأنّ جميع الباحثين مؤيّدين له ، ولا يذكر أقوال المعارضين لرأيه ، وحتّى في البحوث الدّينيّة إذا كان عنده فكرة معيّنة يذكر العلماء الّذين يؤيّدون رأيه ، ولا يشير إلى آراء العلماء المعارضين لرأيه ، وفي البحث العلميّ لا بدّ أن يذكر آراء المؤيّدين والمعارضين له ، فيذكر أدلّته ويناقش أدلّة المعارضين ، والدّليل هو المهمّ .

والإنسان غير العالم يكتفي بالفتوى ، فتقول له فتوى مرجعك هي هذه ، ويمكن أن يجمع فتاوى العلماء في المسألة ، وأمّا العالم فلا يكتفي بالفتاوى ، وإنّما يريد الأدلة ، وحينما يبحث في أقوال العلماء لا يقتصر على الفتاوى والآراء ، بل يريد الدّليل ، لنفرض أنّ الشّيخ المفيد رضوان الله عليه طرح رأيًا معيّنًا ، العالم يبحث عن دليل الشّيخ المفيد الّذي أدّى به إلى القول بهذا الرّأي ، ولا يكتفي بالرّأي ، وأمّا غير العالم فيكتفي بالرّأي ، فيقول قال الشّيخ المفيد ، والعالم يريد قول الشّيخ المفيد مع الدّليل لكي يُقَيِّمَ الدّليل ، وأنّه هل يمكن الاعتماد على هذا الدّليل أو لا يمكن .

والدّليل هو المهمّ بالنّسبة للعالم ، وفي بحوثنا يأتي اعتراض بأنّ مَنْ مِنَ العلماء قال بهذا الرّأي ، يبحثون عن الرّأي فقط ، وفي بحوثنا نطرح الرّأي مع الدّليل ، وفي محاضراتنا نذكر آراء العلماء ، ونذكر

الأدلّة الّتي يعتمد عليها العلماء لتأييد آرائهم ، ثمّ نأتي ونناقش هذه الأدلّة لنبيّن مثلًا أنّها لا تدلّ على هذه الآراء ، وخاصّة مع وجود الآراء المختلفة للعلماء ، ونناقش أدلّة كل رأي ، نعم أنت ترجع إلى مرجعك وتأخذ منه الفتوى ، ولكن في بحوثنا نريد أن نستعرض أقوال العلماء مع دليل كلّ قول ، ونسأل دائما : ما هو الدّليل على صحّة هذا القول ؟

العالم الأول قد يعتمد على رواية صحيحة عنده ، وعند العالم الثّاني هذه الرّواية ضعيفة ، فتختلف الفتاوى ، عالم يتبنّى نظريّة دخالة الزّمان والمكان في الأحكام ، والعالم الآخر لا يتبنّى هذه النّظريّة ، وبطبيعة الحال ستختلف آراؤهم في المسائل ، وفي بحوثنا نعرض الرّأي والرّأي الآخر مع دليل كلّ رأي .

وبعض الّذين يتابعون المحاضرات يقولون لنترك الفقه العقائديّ والفقه الأخلاقيّ وندخل إلى الفقه العمليّ ، مع أنّ الأساس هو العقائد والأخلاق ، ويتصوّر المسلمون عن الدّين أنّه الفقه العمليّ فقط ، ولكنّ العقائد والأخلاق أهمّ ، وإذا انتهينا من بحث الإله من الممكن أن ندخل في أبحاث الفقه العمليّ ، ولكن قبل ذلك لا بدّ أن نقدّم بشكل تفصيليّ نظريّة دخالة الزّمان والمكان في الأحكام ، ونذكر الدّليل على صحّة هذه النّظريّة ؟

ونحتاج إلى عدّة محاضرات لبيان هذه النّظريّة وذكر أدلّتها ، وأوّلًا لا بدّ أن نرجع إلى القرآن لنرى أنّ القرآن يؤيّد هذه النّظريّة أو لا

يؤيّد ، وبعد ذلك نذهب إلى الرّوايات ، والآن هذه فكرة ، فهل نذهب مباشرة إلى الفقه العمليّ أو نستمرّ في بحوث الفقه العقائديّ والفقه الأخلاقيّ إلى أن نصل إلى أبحاث الفقه العمليّ ؟

إذن :

الباحث يرجع إلى المصادر المؤيِّدة والمصادر المخالِفة لرأيه ، فإذا وصل إلى حقيقة عند من يخالفه الرّأي فإنّه يتقبّل هذه الحقيقة حتّى لو لم توافق معتقداته وأفكاره ، أنت تعتقد بشيء ، ولكن تجد أنّ الدّليل عند الطّرف الآخر يدلّ على رأي آخر يخالف رأيك ، فلا بدّ أن تتقبّل لأنّ عنده الدّليل ، فما دام عنده الدّليل تأخذ بقوله ، وإذا كنت تصرّ على اعتقاد لا يوجد عندك دليل عليه فمعنى ذلك أنّك تتّبع العصبيّة ، تتعصّب لرأيك بلا دليل ، وهذا عادةً ما يحدث بين الأديان والمذاهب والمدارس المختلفة ، فالشّيعيّ إذا طرح السّنيّ فكرة مع دليل صحيح يدلّ عليها فلا يقبل ، وكذلك السّنيّ لا يقبل إذا طرح الشّيعيّ رأيًا مع دليل يدلّ عليه ؛ لأنّه توجد مجموعة من الموروثات والقوالب الفكريّة عند جميع الأطراف ، ومن الصّعب تغيير الموروثات والقوالب الفكريّة ، وقد تكون بعض الموروثات والقوالب الفكريّة بلا دليل ، فلا بدّ أن نأتي إلى الأدلّة ، قد تكون بعض الاعتقادات بلا دليل ، وقد توجد بعض الرّوايات المنتشرة بيننا ونبني عليها ، وحينما نراجع نجد بأنّه في بعض الكتب يقول المؤلّف : وجدت في كتاب أنّه كذا ، ويذكر الرّواية ، ولا يذكر اسم الكتاب

والمؤلّف ، أو يقول : رأيت عند أحد العلماء ، ولا يذكر اسم العالم ، أو يقول : رُوِيَ أنّه قيل كذا ، وَرُوِيَ أنّه حدث كذا ، وترى بعض العلماء يعتمدون على هذا القول أو الحدث الّذي لا دليل عليه ، ويطرح مسألة شرعيّة على أساس أنّ هذا العمل مستحبّ ، وحينما تبحث عن الدّليل تجد هذه الرّوايات الضعيفة ، والمصادر لا يُعْتَمَدُ عليها ، وبعض العلماء يؤلّفون كتبًا في الرّوايات ، وتجد أنّ الكتب الّتي اعتمد عليها كتب ضعيفة ، وجميع المصادر الّتي اعتمد عليها مصادر ضعيفة ، مثلًا يقول: اشتريت كتابًا ورأيت في آخره أنّ هذا الكتاب منسوب إلى الإمام الرّضا عليه السّلام ، فيعتمد على هذا الكتاب ، وهذا ما يسمّونه "الوجادة" أي أنّه يجد في كتاب ، وأي كتاب لا بدّ أوّلًا أن يبحث العالم عن صحّة نسبة هذا الكتاب إلى المؤلّف ، وإذا كان الكتاب مكتوبًا عليه أنّه منسوب إلى أحد الأئمّة عليهم السّلام – كما في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكريّ عليه السّلام – فالعالم لا بدّ أن يبحث ليتأكّد أنّ هذا الكتاب صدر فعلًا من المعصوم عليه السّلام ، ويختلف العلماء في آرائهم ، فعالم يطمئنّ بهذه النّسبة ويعتمد على الرّوايات المذكورة في هذا الكتاب ، وعالم آخر لا يطمئنّ بها فلا يعتمد على الرّوايات الموجودة فيه ، وعالم يبحث في كتاب فيجد أنّ هذا الكتاب قد اختلط بين نقل نفس المؤلّف للرّوايات ونقل تلامذته ، فلا يمكنه الاعتماد على جميع ما في الكتاب ، كما في بعض التّفاسير كتفسير العيّاشي أو تفسير القمي ،

لا بدّ أن يبحث العالم ليتأكّد أنّ جميع ما في الكتاب كتبه العيّاشي أو القمي رضوان الله عليهما ، أو أنّ هناك بعض الرّوايات الّتي جمعها طلبة المؤلّف ، وهذا هو دور العالم حينما يبحث ، ونحن العوام حينما نرى أنّ الرّواية وردت في تفسير القمي فإنّنا نعتمد عليها ، ولكنّ العلماء يبحثون عن صحّة نسبة هذا الكتاب إلى مؤلّفه ، مثلًا كتاب الكافي للشّيخ الكلينيّ رضوان الله عليه يبحث العالم عن أنّ هذا الكتاب هو الكتاب الّذي كتبه الشّيخ الكلينيّ أو توجد إضافات عليه ، ولا بدّ أن يبحث هذا البحث ، وهذا البحث يجري في جميع الكتب والمصادر ، ونحن العوام نظنّ بأنّ جميع الكتب عبارة عن مصادر يُعْتَمَدُ عليها ، ولكن بعض العلماء قد لا يعتمدون على جميع ما في هذا الكتاب ، فيستندون إلى رواية فيه ، ويتركون رواية أخرى مذكورة فيه .

إذن :

الباحث يتقبّل الحقائق الّتي يوجد عليها دليل .

ومن أخلاقيّات الباحث الاتّصاف بالموضوعيّة والابتعاد عن الانحياز لفكرة بدون دليل ، وكذلك متابعة آخر المعلومات الّتي وردت في البحث الّذي يبحث فيه ، وأن تكون عنده المطالعة المستمرّة في نفس الموضوع لأنّ هناك مستجدات في هذه المواضيع ، وخاصّة المواضيع االمعاصِرة ، والإنترنت وفّر الكثير من المصادر الّتي يمكن الرجوع إليها ، أيّ كتاب تريده تجده في الإنترنت ، فالمصادر الآن متوفّرة ، ولكنّ

العلماء قليلون مع كثرة المصادر ، وعلى العالم وطالب العلم أن يبذلا جهدهما ، وخاصّة في القضايا المعاصِرة .

وكذلك لا بدّ أن توجد عند الباحث المثابرة والتّنظيم والدّقّة والاستمرار بجدّ في بحثه ، وأن يثق الباحث بنفسه وبعلمه وبما يطرحه ، فحينما تبحث تكون عندك الثّقة في نفسك وعلمك .

وكذلك محاولة الإبداع فيما يطرح والإتيان بشيء جديد على أساس الدّليل ، ونكرّر دائما كلمة "الدّليل" ، ولا بدّ من وجود الدّليل على أيّ فكرة يتبنّاها ، ويكون عنده الإبداع ، والمجتهد هو المبدع لا المكرِّر لأقوال العلماء السّابقين ، فالمجتهد المبدع لا بدّ أن يأتي بشيء جديد ، وأمّا إذا كان يكرّر أقوال العلماء السّابقين فهذا ليس مجتهدًا بل هو مقلِّد ، وحينما يقال إنّ فلانًا مجتهد فلا بدّ أن تسأل : ما هو الشّيء الجديد الّذي جاء به ؟

لا ننظر إلى كثرة الكتب الّتي ألّفها لأنّها قد تكون تكرارًا لأقوال العلماء السّابقين ، وإنّما نبحث عن الشّيء الجديد الّذي ذكره في مؤلّفاته ، ومن يريد أن يأتي بشيء جديد لا بدّ أن يبذل جهده في البحث والتّفكير ، فينظر في الأدلّة ويصل إلى شيء جديد لم يصل إليه السّابقون ، وهذا هو المجتهد المبدع ، فالاجتهاد هو الإبداع لا تطبيق القواعد فقط ، وإنّما تطبيق القواعد لأجل الوصول إلى شيء جديد ، وإلّا سيكون تكرارًا لأقوال السّابقين ، ولم يأتِ بشيء جديد .

وإذا وصل الباحث إلى فكرة جديدة مع الدّليل فلا بدّ أن يتّصف بالتّواضع لكي لا يصاب بالعجب والغرور والرّياء ، مثلًا يقول أنا وصلت إلى فكرة جديدة وغيري لم يصل ، وهنا يبدأ دور إبليس ، فيوسوس له ويحاول أن يدخل في نفسه العجب والغرور والتّكبّر والرّياء ، يقول أنا وصلت إلى ما لم يصل إليه الآخرون ، أنا فعلت ما لم يفعله غيري ، وبهذا القول قد يبطل هذا العمل الّذي عمله .

عن أمير المؤمنين عليه السّلام : التّواضع ثمرة العلم [1] .

وعن الإمام الصّادق عليه السّلام : يا طالب العلم ، إنّ العلم ذو فضائل كثيرة : فرأسه التّواضع ، وعينه البراءة من الحسد ، وأذنه الفهم ، ولسانه الصّدق ، وحفظه الفحص ، وقلبه حسن النّيّة ، وعقله معرفة الأشياء والأمور ، ويده الرّحمة ، ورجله زيارة العلماء ، وهمّته السّلامة ، وحكمته الورع ، ومستقرّه النّجاة ، وقائده العافية ، ومركبه الوفاء ، وسلاحه لين الكلمة ، وسيفه الرّضا ، وقوسه المداراة ، وجيشه محاورة العلماء ، وماله الأدب ، وذخيرته اجتناب الذّنوب ، وزاده المعروف ، وماؤه الموادعة ، ودليله الهدى ، ورفيقه محبّة الأخيار [2] .

ومن أخلاقيّات الباحث الاستماع إلى نقد الآخرين للموضوع ، والاستفادة من نقدهم ، والرّدّ على الأسئلة والإشكالات ، ووجود

---

[1] غرر الحكم للآمدي ح٧٦٩ .

[2] الكافي ج١ ص٤٨ ح٢ .

التّفكير العلميّ المنطقيّ عنده ، لذلك لا بدّ أن يدرس علم المنطق لكي تتسلسل أفكاره على أساس منطقيّ ، فيكون تفكيره منطقيًّا ، فينتقل من فكرة إلى فكرة أخرى بترتيب ، مثلًا يستفيد من القياس المنطقيّ للوصول إلى النّتائج .

وكذلك معرفة كيفيّة كتابة البحث العلميّ ، وهذا ما يكتسبه من البحوث السّابقة الّتي قام بها ، فتكون عنده الخبرة في كتابة البحث العلميّ ، وهذه الخبرة يكتسبها من كثرة البحوث الّتي كتبها سابقًا ، فيتعوّد على البحث العلميّ .

والباحث لا بدّ أن تكون عنده بحوث ، والبعض يقول أنا مجتهد ، وتسأله ما هي بحوثك ، وتجد أنّه لا بحوث عنده ، فاللّقب لا يكفي حتّى لو كان عنده شهادة اجتهاد ، وشهادة الاجتهاد لا تظهر أنه فعلًا مجتهد مبدع ، ولا بدّ أن تكون عنده بحوث جديدة ، ويطرح أفكارًا جديدة مع الدّليل .

وبعض العلماء الّذين ينتقلون إلى رحمة الله تعالى حينما نرى منتوجهم نرى أنّها بحوث مكرّرة مع أنّه مجتهد ، ترى بحوثًا عاديّة جدًّا ، وتريد بحثًا يمسّ الواقع فلا تجد عنده شيئًا ، ترى تكرارًا في البحوث التّقليديّة ، نفرض له كتاب في الصّلاة ، وكتاب في الصّيام ، وكتاب في الحج ، ولا يوجد شيء جديد في هذه الكتب ، أفكار مطروحة سابقًا ، وكل حكم شرعيّ فيه رأيان أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة آراء ، والعالم يأتي ويناقش هذه الآراء ويختار رأيًا منها ، ولا

يوجد شيء جديد في بحوثه .

مثلًا تجد له كتابًا في "اللّباس المشكوك" ، هذا البحث يأتي لمن كان يعيش في الماضي حينما كان عنده ثوب واحد وصار متنجّسا ، فماذا يفعل ؟

وأمّا في زماننا فأنت تنزع هذا الثّوب المتنجّس وتلبس ثوبًا آخر طاهرًا وتنتهي المشكلة ، ولا نحتاج إلى بحث طويل في المسألة .

وبعض المسائل كانت تأتي لحلّ مشكلة بسبب الظّروف الموضوعيّة في ذاك الزّمان ، وبعض البحوث بحوث تقليديّة ، ولا بدّ أن نرى أنّ هذا العالم ماذا قدّم من شيء جديد يمسّ واقع النّاس ، فيأتي ببعض الكتابات الّتي يستفيد منها النّاس ، ولا يكتب للعلماء فقط ، فطالب العلم يدرس لكي يأتي بعد ذلك ويفيد النّاس .

يقول الله تعالى في كتابه الكريم :

". . . **فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ**" [1] .

"**وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ**" ، وهذا هو دور العالم ، يرجع إلى قومه ليفيدهم ، نعم هناك مسائل تقليديّة يطرحها ، ولكن لا بدّ أن يبحث عن المشاكل الموجودة عند النّاس ، ويطرح حلولًا لهذه المشاكل ، ولا يبتعد عن المشاكل المعاصِرة في زمانه ، والآن مشكلة الإلحاد منتشرة ، ولا بدّ أنّ العلماء يتصدّون لمثل هذه المسألة ، ولا

---

[1] التّوبة : ١٢٢ .

يكفي أن نقول إنّ فلانًا ملحد ، ونظن بأنّ المشكلة تنتهي ، فهذا الملحد سينشر أفكاره ، ويتأثّر به بعض الشباب ، والعالِم لا بدّ أن يردّ على أفكار الملحدين ويناقش الأفكار والإشكالات ، ولا يكفي أن نقول إنّ فلانًا مرتدّ ، فهذا القول لا يحلّ المشكلة ، لا بدّ أن نناقش آراء الآطراف الأخرى .

هذه بعض أخلاقيّات الباحث ، ويمكن أن تبحث في الإنترنت تحت عنوان "أخلاقيّات الباحث" أو "أخلاقيّات البحث العلميّ" ، وتوجد كثير من المقالات عن هذا الموضوع ، وما ذكرته هنا عبارة عن خلاصة لتلك المقالات .

إذن :

هناك ثلاث خطوات للبحث العمليّ : طرح أدلّتك ، وردّ الإشكالات الّتي تَرِدُ على أدلّتك ، ونقاش أدلّة الطّرف الآخر .

والآن في مشروع "عالميّة الإسلام" أوّلًا لا بدّ أن نعرض المدّعى ، وادّعاؤنا هو أنّ الإسلام دين عالميّ ، وهذا شعار ، والمهمّ ما هو الدّليل على هذا الشّعار ، ولا بدّ أن تكون عندنا أدلّة عالميّة تنفع لحلّ مشاكل العالم ، فإذا وُجِدَتْ مشاكل اقتصاديّة عالميّة فما هو الحلّ الإسلاميّ العالميّ ؟

الآن الرأسماليّة هي المسيطرة على التّجارة ، فما هو البديل الإسلاميّ العالميّ ؟

توجد مشاكل اجتماعيّة في العالم ، ما هو الحلّ الإسلاميّ العالميّ ؟

المشاكل المطروحة في زماننا هل عندنا نظريّات إسلاميّة عالميّة لها ؟

لماذا النّظريّات تأتي إلينا من الغرب دائمًا ولا توجد عندنا نظريّات إسلاميّة ؟

يطرحون مجموعة من النّظريّات ، الحداثة ، وما بعد الحداثة ، والعولمة ، ولا توجد عندنا نظريّات إسلاميّة ، وهل نظرياتنا الإسلاميّة تنجح عالميًّا ؟

لا بدّ أن تكون عندنا نظريّات عالميّة .

المشاكل الاقتصاديّة في العالم ما هو الحلّ الإسلاميّ ؟

مشكلة الفقر في العالم ما هو الحلّ الإسلاميّ ؟

أنت كباحث مسلم تقول عندي حلّ إسلاميّ ، فيشكلون عليك بأنّه يوجد فقر في بلدان المسلمين ، أنتم تقولون إنّ الإسلام يحلّ مشكلة الفقر في العالم ، دعونا نرى هل استطعتم أن تحلّوا مشكلة الفقر في بلدانكم ؟

لديكم فقراء في بلدان المسلمين ، وتريدون أن تحلّوا المشكلة عالميًّا !! ، ما هو جواب هذا الإشكال ؟

إذن لا بدّ أن تكون عندنا نظريّة اقتصاديّة ، ونظريّة اجتماعيّة ، ونظريّة سياسيّة .

نسأل : ما هي نظريّة الحكم في الإسلام ؟

داخل المذهب الواحد يوجد اختلاف في الآراء ، بين ولاية الفقيه وغير ولاية الفقيه ، وبين المذاهب ولاية الفقيه أو الخلافة ، فإذا كان

عنـدكم نظريّـة في الـحكـم الإسـلامي فـالمفروض أن تكـون النّظريّـة واضـحة ، وتكـون مطروحـة في القـرآن أوّلًا ، وبعـد ذلـك نأتي إلى الرّوايات .

فما هي نظريّة الحكم في الإسلام ؟

اطـرح نظريّاتـك الإسـلاميّة وانظـر إلى العـالم هـل يتقبّـل هـذه النظريات أو لا ؟

إذن :

مدّعانا هـو عالميّة الإسلام ، ولا بدّ أن نقيم الأدلّة على إثبات ذلك ، وثانيًا لا بدّ أن نردّ على الإشكالات الّتي يذكرها المسلمون وغير المسلمين ، فالمسلمون عندهم إشكالات على الإسلام مع أنّه مسلم ، ولكنّه لا يتبنّى أطروحاتك ، هو يأتي إلى القرآن ويعطيك أدلّة من القرآن ، ويستنتج استنتاجات أنت لا تستنتجها ، وخاصّة من المحدَثين ، فعندهم نظرات أخرى للقرآن غير تقليديّة ، ناقش هذه الأفكار ، وهو أيضًا مسلم ، وإذا طرح أفكارًا غير تقليديّة تقول عنه إنّه مرتدّ ، ويجب أن ينفصل عن زوجته وتكون أمواله ورثًا مع أنّه ما زال حيًّا ، والبعض يهرب إلى الدّول الغربيّة لأنّه يطرح أفكارًا غير تقليديّة ، ولا يتقبّل منه هذه الأفكار مع أنّه يملك الأدلّة القرآنيّة أو الرّوائيّة على أفكاره ، ولكن ليست ضمن القوالب الفكريّة الّتي ورثناها ضمن الموروث الدّينيّ ، ونحن المسلمين عندنا قوالب فكريّة ضمن الدّين وضمن المذهب ، وفي المذهب توجد عندنا قوالب فكريّة لا

يمكن أن يتنازلوا عنها حتى لو رأوا دليلًا على خلاف هذا القالب ، وأوّل ما يسمع فكرة جديدة يقول إن هذا غير ممكن ، وأوّل سؤال يأتي هو : مَنْ مِنَ العلماء السّابقين قال بهذه الفكرة ؟

ودائمًا يأتي هذا السّؤال ، مع أنّه يملك الدّليل على فكرته ، يأتي بدليل قرآنيّ ، ويكون قد بحث بحثًا موضوعيًّا في الآيات القرآنيّة ، ويصل إلى نتيجة جديدة تكون خلاف القالب الفكريّ الموروث ، ولا يُقْبَلُ منه مع أنّه يملك الدّليل القويّ .

والقوالب الفكريّة الموروثة لا بدّ أن نعرض جميعها على الدّليل ، وهذا شغل العلماء ، فهم يبحثون عن الدّليل ، ولكنّ العالم قد تكون عنده قوالب فكريّة أيضا ، وعنده بعض الآراء ، وحينما نبحث لا نجد الدّليل على رأيه ، وقد نجد أدلّة ضعيفة ، روايات ضعيفة يستند إليها ، وبعض المسائل الشّرعيّة عند أتباع أهل البيت عليهم السّلام يعتمدون فيها على أدلّة ضعيفة من المذاهب الأخرى ، وتوجد في كتبنا الاستدلاليّة الفقهيّة روايات ضعيفة أخذناها من المذاهب الأخرى ، وبعض العلماء يستندون إليها .

مثلًا صلاة ليلة الرّغائب ما هو الدّليل عليها ؟

رواية واحدة ، والبعض قد يقول بالاستحباب بناءً على هذه الرّواية الضّعيفة ، والبعض يقول برجاء المطلوبيّة مع أنّها رواية ضعيفة .

إذن :

حينما تبحث لا بدّ أن تأتي إلى الدّليل على أيّ فكرة تطرحها .

والبعض في بعض المسائل يتخوّف ، مثلًا أيّ أمر مرتبط بالإمام الحسين عليه السّلام يوجد فيه تخوّف ، يقال من الممكن أنّ الإمام الحسين عليه السّلام يريد هذا الأمر ، لا بد أن يكون عنده الدّليل ، وإذا لا يوجد عنده دليل فلا يستطيع أن يقول بالاستحباب ، وتوجد بعض الأمور يقال فيها بالاستحباب ، ولكن حينما نبحث لا نجد عليه دليلا ، والاستناد إلى أنّه يمكن أنّ الإمام الحسين عليه السّلام يريده – هذا لا يشكّل دليلًا ، والبعض يعتبر كلّ ما يتعلّق بقضيّة الإمام الحسين عليه السّلام خطًّا أحمر حتّى لو لم يوجد عليه دليل ، وفي الأحكام الشّرعيّة في الفقه العمليّ من الوجوب والاستحباب والحرمة والكراهة والإباحة تحتاج للقول بها إلى الدّليل الشّرعي ، وقولنا يمكن أنّ الإمام عليه السّلام يريده ليس دليلًا شرعيًّا ، وإذا لا يوجد عنده دليل فلا يمكن أن يقول باستحباب صلاة ليلة الرّغائب ، ويكون قد أدخل في الدّين ما ليس من الدّين بلا دليل ، وهذا هو معني البدعة ، فمع عدم وجود الدّليل لا يمكن أن يقول إنّ هذا الشّيء جزء من الدّين ، وإذا قال ذلك فهذا الأمر يكون بدعة ، ونحن عندنا قوالب فكريّة موروثة لا نستطيع أن نتعدّاها مع أنّها بلا دليل ، ولا بدّ أن يكون عندنا الدّليل في أيّ مسألة من المسائل ، ولا نستطيع أن نقول إنّ هذا من الدّين بلا دليل ، فيكون الأمر بدعة .

ونحن الآن نطرح مشروع عالميّة الإسلام ، فأوّلًا لا بدّ أن نعرض المدّعى ، وتكون عندنا الأدلّة الّتي تثبت هذا المدّعى ، وثانيًا لا بدّ أن

نردّ على جميع الإشكالات الّتي يذكرها المسلمون وغير المسلمين من الأديان الأخرى ، وثالثًا نناقش آراء الأطراف الأخرى الّذين يقولون بأنّ الإسلام ليس دينًا عالميًّا ، كما هو رأي غير المسلمين وبعض المسلمين ، فيقولون إنّ الإسلام دين محلّيّ ، ونحن نشكل على أدلّة من يخالفنا الرّأي بأنّ الإسلام لا يصلح أن يكون دينًا عالميًّا ، ولا بدّ أن نردّ على أدلّتهم بردود علميّة ، فنناقش الدّليل ، ولا يكفي أن يقال إنّ فلانًا كافر أو منافق أو مرتدّ ، فالمشكلة لا تنحلّ بهذه الطّريقة ، لا بدّ أن تأتي إلى أقواله وأدلّته وتناقشها نقاشًا علميًّا وتشكل عليها بإشكالات قويّة بحيث لا تصمد أدلّته أمام هذه الإشكالات .

إذن :

من يدّعي شيئًا عليه أوّلًا أن يأتي بالأدلّة الّتي تثبت مدّعاه ، وثانيًا أن يردّ على الإشكالات الّتي تَرِدُ على أدلّته ، وثالثًا أن يردّ على أدلّة الأطراف الأخرى .

هذه ثلاث خطوات لأيّ بحث علمي ، ولا بدّ أن يتّبعه أيّ باحث من الباحثين في أيّ موضوع من المواضيع ، وخاصّة في المواضيع الحسّاسة .

وفي الأسبوع القادم نطبّق هذه الخطوات الثّلاثة على بحثنا ، وهو أنّه توجد ثلاثة ادّعاءات : من يثبت وجود الإله ، ومن ينفي وجود الإله ، واللّاأدريّ ، ولا بدّ أن يتّبع كلّ فريق الخطوات الثّلاثة ، فكلّ

فريق لا بدّ أن يطرح الأدلّة على مدّعاه ، ويردّ على الإشكالات ، ويناقش أدلّة الأطراف الأخرى ، وبعد هذه الخطوات الثّلاثة يمكنه أن يثبت ما يدّعي ، فيثبت وجود الإله بطرح أدلّته ، وردّ الإشكالات ، ونقاش أدلّة الأطراف الأخرى ، وهذا نأتي إليه في الأسبوع القادم إن شاء الله تعالى .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

عالميّة الإسلام

(٥١)

تطبيق خطوات البحث العلميّ

على وجود الإله [١]

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

كان الكلام في خطوات البحث العلميّ ، وقلنا بأنّه توجد ثلاث خطوات :

الخطوة الأولى هي أنّ أيّ إنسان يكون عنده أيّ مدعى عليه أوّلًا أن يُقِيمَ الأدلّة على صحّة هذا المدّعى .

والخطوة الثّانية هي أن يردّ على الإشكالات الّتي تَرِدُ على أدلّته .

والخطوة الثّالثة هي أن يناقش أدلّة المخالفين لرأيه .

وهذه الخطوات الثّلاثة تكون بأيدينا حينما ندخل إلى أيّ موضوع من المواضيع .

---

[١] أُلْقِيَتْ هذه المحاضرة في الدّيوانيّة الأسبوعيّة في منطقة بيان ، الجمعة ١٦ ذو القعدة ١٤٤٠ هـ ، الموافق ٢٠١٩/٧/١٩ م .

تطبيق الخطوات الثّلاثة على موضوعنا :

توجد ثلاثة ادّعاءات :

١- إثبات وجود الإله .

٢- نفي وجود الإله .

٣- اللّاأدريّة الإيجابيّة : واللّاأدريّ الإيجابيّ هو الّذي يستمرّ في البحث عن الدّليل ، وينتظر الدّليل ، وهو لم يقتنع بأدلّة المثبتين ولا بأدلّة النّافين ، وإذا وجد دليلًا على وجود الإله فإنّه ينتقل إلى الإيمان بالإله ، فهو ذهنه يعمل دائمًا ، وفي انتظار الدّليل ، فيبحث ويقرأ ويسأل ويستمع ، وهو من المفكّرين الّذين يفكّرون بأدلّة الأطراف الأخرى ويناقشونها .

وأمّا اللّاأدريّ السّلبيّ فهو لا يهتمّ بالبحث عن الأدلّة ولو جئت له بألف دليل على إثبات وجود الإله ، ولا يأخذ بهذه الأدلّة ولا يفكّر بها ، وهو لا يعرف الأدلّة ولا يبحث عنها ولا يناقشها ، وهو يعيش الحيرة والشّكّ والتّردّد ، ولا يملك أدلّة على لاأدريّته ، ولا يكون من المفكّرين ، فلا يفكّر بالأدلّة ولا يناقش أدلّة الآخرين ، وحينما تريد أن تناقشه يقول أنا لاأدريّ ولا أريد أن أناقش .

ويكتفي بهذا المقدار ، وكذلك بعض الملحدين ، يقول أنا ملحد ولا أريد أن أناقش وأنا مقتنع بإلحادي .

والبعض يدخل إلى الإلحاد أو اللّاأدريّة السّلبيّة ؛ لأنّه يريد أن يظهر بمظهر التّنويريّ أو التّقدّميّ أو الحضاريّ .

ونحن نقاشنا مع اللّاأدريّ الإيجابيّ ، بالإضافة إلى النّافين لوجود الإله ، فعلينا أن نطرح الأدلّة على إثبات وجود الإله ، ونناقش أدلّة النّافين واللّاأدريّين الإيجابيّين .

لنأتِ إلى المسلمين ، هل المسلمون ينقسمون إلى إيجابيّين وسلبيّين ؟

نقول : نعم .

ولو سألت بعض الأشخاص : هل تؤمن بوجود الله ؟

يقول : نعم .

تسأله : ما هي الأدلّة الّتي تثبت وجود الله ؟

يقول : لا أدري .

وقد يكون أغلب المسلمين هكذا لأنّهم لا يفكّرون .

إذن :

المسلمون ينقسمون أيضًا إلى إيجابيّين وسلبيّين ، هذا الشّخص صار مسلمًا لأنّه وُلِدَ من أبوين مسلمين ، وحينما تريد أن تناقشه لا يعرف الأجوبة ، ولو أنّه وُلِدَ من أبوين مسيحيّين لصار مسيحيًّا ، فهو وُلِدَ ضمن بيئة المسلمين .

والمسلمون السّلبيّون كثيرون ، وأمّا المسلمون الإيجابيّون فهم قليلون ، وهؤلاء الإيجابيّون هم الّذين يبحثون ويفكّرون ويستمعون ويسألون ، وعنده الاستعداد للاستماع إلى محاضرات عن الإلحاد ، ويريد أن يناقش أدلّة الأطراف الأخرى .

والمسلم لا بدّ أن يكون متعلِّما باحثًا عن الحقيقة ، يقرأ ويستمع ويبحث دائمًا ، ولا يقف في مكانه .

وانظر الآن إلى أوضاع المسلمين ، كم مسلم إيجابيّ عندنا ؟

حتما قليلون لأنّ المفكّرين والمثقّفين قليلون ، وهذه هي أوضاع المسلمين اليوم ، المسلمون المفكّرون قليلون ، والمسلم الإيجابيّ هو الّذي يهتمّ بدراسة دينه ، ويهتمّ بطلب العلم والفكر والثقافة ، يسمع ويقرأ ويبحث ويفكّر ، وعقله في عمل مستمرّ ، ولا يقف في مكانه ، وإنّما هو في حركة دائمة ، ولا بد أن نكون جميعنا من المسلمين الإيجابيّين .

المسلم لا بدّ أن يستعمل عقله ، والعقل لا بدّ أن يعمل ، فالعقل قوّة وأداة وآلة جعلها الله في الإنسان ، فلا بدّ أن يقوم باستعمال عقله ، ولا بدّ أن يفكر في كلّ شيء ، وخاصّة في القضايا الدّينيّة .

يسأل نفسه : لماذا أؤمن بالله عزّ وجلّ ؟

لا بدّ أن يفكّر ليصل إلى إجابة هذا السّؤال ، ولا بدّ أن يكون عنده الدّليل .

لماذا تؤمن بالنّبوّة ؟ لماذا تؤمن بالإمامة ؟ لماذا تؤمن بالمعاد ؟

حتّى في أموره الحياتيّة العاديّة لا بد أن يفكّر ، ويستعمل عقله لاختيار الأفضل ، الأفضل بالنّظرة الإلهيّة لا بالنّظرة الدّنيويّة .

وسيأتي موضوع مستقلّ عن العقل إن شاء الله ، فما هو العقل ؟

ونسأل : هل للعقل دور في القضايا الدّينيّة أو ليس له دور ؟

نقول : نعم للعقل دور في القضايا الدّينيّة .

هل الأحكام الدّينيّة تمرّ على العقل أوّلًا أو لا تمرّ ؟

أيّ حكم تسمعه هل يمرّ على فلتر العقل أو لا يمرّ ؟

نقول : نعم يمرّ على العقل ، لذلك قد تقبل وقد ترفض .

ما الّذي يقرّر بأنّ هذا الحكم تعبّدي أو ذاك الحكم عقليّ أو هذا الحكم عرفيّ ؟

نقول : العقل يقرّر .

إذا كان عندك حكم الصّلاة فالعقل يقول بأنّ هذا الحكم تعبّديّ ، وأنا لا دور لي في الأحكام التّعبّديّة .

والعقل يقول إنّ ذاك الحكم يقع في دائرة العقل ، وعندي دليل على هذا الحكم .

والعقل يقول إنّ هذا الحكم حكم عرفيّ ، وهذا الحكم العرفيّ يؤيّده الدين ، وذاك الحكم العرفيّ لا يقرّه الدّين .

إذن :

جميع الأحكام الدّينيّة تمرّ على العقل ، والعقل يصنّف ويميّز بين هذه الأحكام ، فيقول إنّ هذا الحكم شرعيّ ، وهذا الحكم عقائديّ ، وهذا الحكم أخلاقيّ ، وهذا الحكم عقليّ ، وهذا الحكم تعبّديّ ، وهذا الحكم عرفيّ ، فجميع الأحكام الدّينيّة تمرّ على العقل ، مثلما أنّ جميع الأمور الدّنيويّة تمرّ على العقل أيضًا ، والعقل يقرّر ، والعقل قد يقبل أو يرفض ، يسمع بحكم معيّن فيقول بأنّه لا

يمكن أن يوجد مثل هذا الحكم ، مثلًا لو سمعنا بحكم يقول بأنّ تصلّي ألف ركعة واجبة في اليوم ، فالعقل يقول بأنّه لا يمكن لأنّها تستغرق اليوم كلّه ، فلا يمكن أن يوجد مثل هذا الحكم ، وإذا قلت إنّ هذا الحكم شرعيّ ، فالعقل يقول إنّ هذا الحكم قد أُخْطِئ فيه ، فالأحكام تمرّ على العقل والعقل يقرّر ويميّز بينها .

ونحتاج إلى العقل في جميع الأحكام الدّينيّة ، وليس المقصود من الأحكام الدّينيّة الأحكام الفقهيّة العمليّة فقط ، بل المقصود أيّ حكم دينيّ ، أيّ حكم مُسْتَنْبَط من الأدلّة الشّرعيّة ، فهذا الحكم يمرّ على العقل والعقل يقرّر .

لذلك لا بدّ أنّ العقل يفكّر تفكيرًا صحيحًا ؛ لكي يمكنه أن يقرّر ، وشخص قد لا يقبل حكمًا من الأحكام لأنّ عقله لحدّ الآن لم يصل إلى المرحلة الّتي يمكنه فيها أن يميّز بين الأحكام ، ولكنّ العلماء يستطيعون من خلال الممارسة أن يميّزوا بين الأحكام ، وبعض الّذين يبحثون في القرآن حينما يسمعون عن كلام يقال عنه إنّه آية قرآنيّة يقول إنّ هذا الكلام ليس آية قرآنيّة ؛ لأنّه تعوّد على القرآن ، وهذا الكلام ليس مثل السّياقات القرآنيّة ، حتّى لو كان يوجد حرف خطأ فيقول إنّ هذا ليس آية قرآنيّة ، ويستطيع أن يميّز بسبب وجود الحسّ القرآنيّ والذّوق القرآنيّ عنده .

والعالم الّذي يبحث في الرّوايات حينما يقال له إنّ هذه رواية يقول لا إنّ هذه ليست رواية ، وهذا الكلام غير صادر من المعصوم عليه

السّلام ، وهذا يحدث بسبب كثرة الممارسة في الرّوايات ، فيستطيع أن يميّز بين الرّوايات على أساس الحسّ الرّوائيّ والذّوق الرّوائيّ ، ويستطيع أن يميّز بين الرّوايات حتّى لو لم يعرف السّند ، يقول إنّ هذا الكلام لا يمكن أن يصدر من المعصوم عليه السّلام ، ولا يتناسب مع باقي الرّوايات ، مثلما إذا جاءت آية من القرآن فسّرت بطريقة فالعالم يقول إنّ هذا التّفسير لا يتناسب مع السّياق القرآنيّ لهذه الآية ، فلا بدّ أن يوجد تفسير آخر لهذه الآية ، كذلك في الرّوايات هذا العالم يقول بأنّ هذا الكلام لا يمكن أن يصدر من المعصوم عليه السّلام لأنّه لا يتناسب مع كلام المعصومين عليهم السّلام .

إذن :

نحتاج إلى العقل في جميع الأحكام الدّينيّة ، وهو ما يطلق عليه "العقلانيّة في الأحكام الدّينيّة" ، فلا يمكن أن يأتي حكم على خلاف العقل ، وهم يقولون "العقلانيّة في الأحكام" ويقصدون منها شيئًا ، ولكن قصدنا هنا من العقلانيّة في الأحكام المعنى الّذي بيّنّاه قبل قليل ، هم يقصدون أنّ العقل هو الحاكم على جميع الأحكام ، نقول نعم بعض الأحكام تكون تحت دائرة العقل ، ولكن بعض الأحكام الأخرى تكون تعبّدية ، ولكنّ العقل هو الّذي يصنّف الأحكام ويميّز بين الأحكام المختلفة .

إنّ الله عزّ وجلّ أعطى العقل للإنسان لكي يفكّر ، فعن طريق العقل نرتبط بالله ونتكامل ونختار الأفضل ، وحتّى في القضايا الدّنيويّة

يستعمل الإنسان عقله ، ولكنه قد يخطئ الطريق ، وهذا الّذي يريد أن يكون غنيًّا عقله يقول له اختلس الأموال وأنت ستزداد غنًى من هذا الطّريق ، فيقوم ببعض الأعمال لكي يكسب الأموال عن طريق التّزوير أو الشّركات الوهميّة ، ولكن هذا لا يسمّى عقلًا ، هذه هي الشّيطنة ، فالعقل هو ما يعطيك الأمر الصّحيح ، والشّيطنة هي استعمال العقل في القضايا الشّيطانيّة ، نعم هو استعمل عقله في الطريق الخاطئ ، ودور العقل هو أن يدلّك على الحقّ ويبعدك عن الباطل .

والعقل له دور أيضًا في النّظر في الأدلّة ، فحينما تقيم دليلًا فلا بدّ أن يكون دليلًا قائمًا على أساس العقل لكي تناقش الأطراف الأخرى ، ولا تناقشهم بالآية والرّواية ، وحينما تريد أن تناقش أيّ دين من الأديان فلا بدّ أن تناقشهم عن طريق العقل ، لأنّهم لا يقبلون الآية والرّواية ، فهم لا يعتقدون بالقرآن ، وتقول قال النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، فيقول لك أنا لا أعتقد بنبيّك ، فلا بدّ أن تأتي إليه عن طريق العقل ، وهذا معناه أنّك تحتاج إلى الأدلّة العقليّة في إثبات الأحكام الدّينيّة ، وهذا هو دور العقل في توفير الأدلّة العقليّة الّتي تكون مقنعة وقائمة على أساس قضايا منطقيّة ثابتة بحيث إنّ الأطراف الأخرى لا يمكنهم رفض هذه الأدلّة .

إذن :

توجد ثلاثة ادّعاءات : إثبات وجود الإله ، ونفي وجود الإله ،

واللّاأدريّة الإيجابيّة ، والمدّعي المثبت لوجود الإله أوّلًا عليه أن يقيم الأدلّة على وجود الإله ، تقول أنا أعتقد بوجود الإله ، فنسألك عن الأدلّة ، وثانيًا يبطل أدلّة النّافين لوجود الإله ، وثالثًا يبطل أدلّة اللّاأدريّين الإيجابيّين ، وكلّ صاحب دعوى لا بدّ أن يثبت دعواه بالأدلّة ويردّ على الإشكالات ويناقش أدلّة الأطراف الأخرى ، والنّقاش لا بدّ أن يكون نقاشًا علميًّا بين جميع الأطراف ، ولا يكفي أن يقال عن النّافين واللّاأدريّين إنّهم ملحدون مرتدّون كفّار زنادقة فسقة خارجون عن الدّين ، بل لا بدّ من الرّدّ على أدلّتهم وإثبات بطلانها عن طريق البحث العلميّ .

والبعض يقول بأنّ هذا كافر فلا تناقشه ولا شأن لك به ، فنقول هو يطرح أدلّته وأفكاره تنتشر في العالم .

يقول لا شغل لي به فهو كافر أو مشرك أو مرتدّ أو فاسق ، وهذا القول يصدر ممّن لا يفكّر ولا يستعمل عقله ، فهو يقول هذا القول لكي يقطع النّقاش ، كما هو الملاحظ في بعض المناظرات على القنوات الفضائيّة ، مجرّد تبادل اتّهامات ، نقول بأنّه لا بدّ أن نردّ على أدلّة كلّ فرقة وكلّ طائفة عن طريق الدّليل العقليّ والبحث العلميّ ، والبحث العلميّ تحتاجه في النّقاش والحوار ، وكذلك أصحاب الدّعاوى الأخرى عليهم أن يبيّنوا أدلّتهم ويثبتوا بطلان أدلّة المخالفين لهم ، دون الطّعن بأشخاصهم ؛ لكي يكون النّقاش نقاشًا علميًّا بين جميع الأطراف ، وبذلك ينفتح باب النّقاش بين جميع

الأديان ، والبحث بحث علميّ لا تبادل اتّهامات وتحويل الموضوع إلى قضايا شخصيّة ، والنّقاش نحتاجه وخاصّة نحن المسلمين ، فعلينا أن نراجع جميع الأديان الموجودة في العالم ونردّ على أدلّتهم .

والبحوث في الأديان لا توجد عند المسلمين ، ودور علماء المسلمين هو القيام بهذه البحوث ، فكلّ من يدّعي دعوى أو دين نذهب إلى كتبه لنستخرج منها الأدلّة ونردّ عليها .

مثلًا الإنسان البوذيّ نذهب إلى كتبه ونرى أدلّته الّتي تثبت صحّة الدّين البوذيّ ، ولا نأخذ الأقوال من المناوئين لهم ، بل نأخذ من الكتب الّتي يعترفون بها ، والكتب الثّابتة عندهم ، فنأخذ هذه الكتب نراجعها ونستخرج الأدلّة الّتي يقولون بها ونردّ على هذه الأدلّة .

وهذا هو المطلوب من علماء المسلمين ، ولكنّ هذه البحوث غير موجودة خلال القرون الماضية ، وأقلّ شيء الرّدّ على اليهود والمسيحيّين ، والرّدود عليهم غير موجودة ، ومثل هذه البحوث لا توجد في مكتبات المسلمين ، فلا بدّ أن ننفتح على الأديان الأخرى لكي نناقشهم ونثبت أحقّيّة الإسلام بين جميع الأديان عن طريق الدّليل والرّدّ على أدلّة الآخرين ، وأمّا الآن فنحن نعتقد بوجود الله ونكتفي بذلك بدون أدلّة .

نسأل : ماذا نعرف عن اليهوديّة والمسيحيّة ؟

شيء قليل ، فلا بدّ أن يكون عندنا اطّلاع على التّوراة وعلى الأناجيل الّتي يعتمدون عليها ؛ لكي نأخذ هذه الكتب ونناقش

الأدلّة الّتي يطرحونها ، وهذا يجري في جميع الأديان بأن يكون عندنا اطّلاع كافٍ عليها ، كما هو الحال في النّقاشات الّتي تجري في المسائل الخلافيّة بين السّنّة والشّيعة ، ولا بدّ أن ينفتح الباب مع الأديان والفرق الأخرى ، لا فقط التّركيز على النّقاش بين السّنّة والشّيعة .

والآن صراعنا مع العالم صراع إسلاميّ لا صراع سنّيّ شيعيّ ، نعم نعتقد بأحقّيّة مدرسة أهل البيت عليهم السّلام ، ونريد أن نثبت هذه الأحقّيّة ، ولكن نناقش السّنّيّ بدون تكفير وبدون طعن ، وكذلك بالنّسبة للسّنّة لا بدّ أن يناقشوا الأدلّة الّتي يطرحها الشّيعة ، وذكرنا في منهج البحث أنّنا نعتمد على القرآن الكريم والنّبيّ صلّى الله عليه وآله وعترته الطّاهرة ، فنرجع إلى الرّوايات الثّابتة الصّادرة عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام ، ونضيف إلى المنهج الاعتماد على العقل ، فمصادر استنباط الأحكام الدّينيّة هي القرآن الكريم والنّبيّ وعترته الطّاهرة والعقل .

ونرى بأنّ محور الإنسان عبر التّاريخ هو وجود الإله إثباتًا أو نفيًا أو شكًّا ، وكلّ إنسان إمّا أنّه يعتقد بوجود الإله وإما أنّه يعتقد بعدم وجود الإله وإمّا أن يقول بأنّني لا أدري بأنّه يوجد إله أو لا يوجد إله خالق لهذا الكون .

والمثبتون لوجود الإله يقولون بفطريّة وجود الإله عند الإنسان ، وأنّ من فطرة الإنسان أن يؤمن بوجود إله خالق للكون ، والمسلم الّذي

يقول بأنّ فطرة الإنسان تدلّ على وجود الله لو نسأله بأن يعطينا تفصيلًا عن هذا الدّليل ، المسلم يقول الفطرة ، والطرف الآخر يقول إنّ الإنسان لا يوجد عنده شيء اسمه فطرة ، وأنت تدّعي أنه توجد فطرة ، فنسألك : ما هي الفطرة ؟

إذا كانت فطرة الإنسان تدلّ على وجود الله ، فتفضّل وفَصِّلْ لنا هذا الدّليل : ما هي الفطرة ؟ وكيف أنّ هذه الفطرة تدلّ على وجود الله ؟

نحتاج إلى بحث عن الأدلّة الفطريّة الّتي تثبت وجود الإله ، وإذا قال شخص بأنّه لا يستطيع أن يفصّل في موضوع "فطرة الإنسان" فعنده دعوى بلا دليل ، أنت عندك دعوى بأنّ الفطرة تدلّ على وجود الإله ، فلا بدّ أن تشرح وتعطي تفصيلًا عن هذا الموضوع ، ولو سألنا عن الفطرة كم شخص يمكنه أن يجيب ، تقول إنّ الله جعل في الإنسان أشياء تدلّ على وجوده ، نسأل : ما هي هذه الأشياء الموجودة في الإنسان لكي لا يكون عندنا دعاوى بلا أدلّة ؟

وإذا كان عندك دعوى بلا دليل فلا تستطيع أن تثبت شيئا ، وسوف نأتي إلى بحث عن الفطرة : ما هي الفطرة ؟ وما هي الأدلّة الفطريّة الّتي تدلّ على وجود الإله ؟

لا يمكن لأيّ إنسان أن يغضّ الطّرف عن البحث في وجود الإله ، إمّا يثبت وإمّا ينفي وإمّا يكون لاأدريًّا ؛ لأنّ إثبات وجود الإله أو نفيه أو الشّكّ فيه تترتّب عليه منظومة عقائديّة فكريّة نظريّة وأخلاقيّة

قلبيّة باطنيّة وعمليّة سلوكيّة ، فمن يقول بوجود الإله تكون عنده سلسلة من النّظم العقائديّة الّتي يؤمن بها مع أعمال باطنيّة وأعمال خارجية تترتّب عليها ، والّذي ينفي وجود الإله تنشأ عنده مجموعة من العقائد والأعمال الباطنيّة والخارجيّة ، وكذلك اللّاأدريّ ، فنظرةُ الإنسان إلى الكونِ ومتبنّياتُه النّظريّةُ وأخلاقُهُ وسلوكُهُ العمليّ تختلف باختلاف ما يتبنّاه في مسألة وجود الإله ، فنظرة الإنسان إلى الكون تعتمد على إيمانه بوجود الإله أو عدم وجود الإله أو كونه لاأدريًّا .

إنّ من يتبنّى وجود الإله فإنّه تترتّب على ذلك مسائل عقائديّة نظريّة وسلوك عمليّ ، والملتزم بالنّظريّة عليه أن يلتزم بالسّلوك العمليّ المترتّب على هذه النّظريّة ، وإذا لم يلتزم بالسّلوك العمليّ فمعنى ذلك أنّه نظريًّا يعتقد بشيء ، وعمليًّا يعتقد بشيء آخر ، وإذا قال بأنّه يعتقد بشيء من ناحية نظريّة ، ولكن عمله الخارجيّ لا يتطابق مع هذه العقيدة فمعنى ذلك أنّه يعتقد بشيء ، ولكن عمله الخارجيّ مبنيّ على عقيدة أخرى ، والمطلوب هو حالة التّطابق بين النّظريّة والسّلوك ، بين العلم والعمل ، وهذا هو الإنسان المعتقِد الحقيقيّ .

والاعتقاد بالله عزّ وجلّ تترتّب عليه اعتقادات أخرى وعمل قلبيّ باطني وعمل خارجي ظاهريّ لا عمل خارجيّ فقط ، فإذا اعتقدت بالله فتنشأ منه اعتقادات أخرى كالاعتقاد بالنّبوّة والإمامة والمعاد ، وغير ذلك من الاعتقادات ، والاعتقاد بالله والاعتقادات الأخرى تمثّل الفقه العقائديّ ، والعمل القلبيّ الباطنيّ يمثّل الفقه الأخلاقيّ ، والعمل

الخارجيّ يمثّل الفقه العمليّ ، والمؤمن الحقيقيّ هو الّذي يكون ملتزمًا بالأنواع الثّلاثة للفقه لا بالفقه العمليّ فقط ، وفي تصوّر المسلمين أنّ المؤمن الحقيقيّ هو من يلتزم بالفقه العمليّ والرّسالة العمليّة فقط ، والمسلمون غافلون عن الفقه العقائديّ والفقه الأخلاقيّ ، كما هو حال المسلم اليوم الّذي يلتزم بالفقه العمليّ فقط ، ولكنّه فاسد أخلاقيًّا ، هو يصلّي ولكنّه يختلس الأموال ، هو يصوم ولكنه يغتاب الآخرين ، هو يحجّ ولكنّه مستعد لأن يقتل الملايين من البشر ، هو يحفظ القرآن ولكنّه ينشر الإرهاب في العالم ، والإرهابيّون مثل الخوارج يحفظون القرآن ، وهم دائمًا يسترسلون بالآيات القرآنيّة ، ولكنّه مستعد لأن يقتل جميع البشر في العالم حتّى المسلمين الّذين يخالفونه في الرّأي ، هؤلاء لا يوجد عندهم تطابق تامّ بين العلم والعمل ، بين النّظريّة والسّلوك ، وحالة التّطابق حالة مطلوبة ، والتّطابق لا يعني أنّه يصلّي فقط ، الصّلاة عبارة عن عمل خارجيّ ، مع هذا العمل الخارجيّ لا بدّ أن يكون عنده عمل قلبيّ باطنيّ أثناء الصلاة ، ليس المطلوب هو أداء الصّلاة ، وإنّما إقامة الصّلاة ، فيوجد عمل قلبيّ باطنيّ يسير مع العمل الخارجيّ ، والعمل الباطنيّ هو الأساس للعمل الخارجيّ .

شخص يرتكب المعاصي ويصرّ عليها ويريد أن يستمرّ فيها ، يأتي في الصّلاة ويقول : "أستغفر الله ربّي وأتوب إليه" ، هذا القول لسانيّ ظاهريّ ومجرّد كلام ، ولكن في واقعه يريد أن يرتكب المعاصي ، لا

يوجد عنده تطابق بين العمل الخارجيّ والعمل الباطنيّ ، عنده عمل خارجيّ ظاهريّ فقط ، والعمل الباطنيّ عنده مخالف للعمل الخارجيّ ، وأساس العمل الخارجيّ هو العمل الباطنيّ .

مثلًا إذا كان عنده مشكلة من هو أوّل من يخطر في ذهنه لكي يذهب إليه لحلّ هذه المشكلة ؟

يقول : "فلان" ، وهو يقف في الصّلاة ويقول : "الله أكبر" ، فالمفروض أنّه مباشرة يتّجه إلى الله تعالى ، لو كان قلبه مرتبطًا بالله فأوّل من يخطر في ذهنه لا بدّ أن يكون الله ، لأنّ "الله أكبر" حسب ادّعائه في الصّلاة ، يقول في الصّلاة : "الله أكبر" ، ولكن في نفسه فلان أكبر ، فلان هو الّذي يحلّ المشكلة ، لا بدّ أن الله يخطر في الذّهن أوّلًا ، نعم فلان هو وسيلة وواسطة وسبب وطريق ، لا أنّ السّلسلة تقف عند فلان ، هو سبب ، ولكن لا بد أن يتذكّر مُسَبِّبَ الأسباب ، وهو الله تعالى .

إذن :

الفقه ينقسم إلى ثلاثة أقسام ، وهذا أكرّره دائمًا لأهمّيّته وغفلتنا عنه وحاجتنا إلى التّذكير به ، ثلاثة أقسام هي : الفقه العقائديّ والفقه الأخلاقيّ والفقه العمليّ ، ولكنّ المسلمين اقتصروا على الفقه العمليّ ، وسمّوا الفقه العمليّ "الفقه" ، والآن بمجرّد ما أن نقول : "الفقه" – ينتقل ذهنك إلى الفقه العمليّ والرّسالة العمليّة ، فينصرف الذّهن إلى هذا المعنى المخصوص ، مع أنّ الفقه أوسع دائرة .

والقرآن الكريم يقول :

"**لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ**" [1] .

لا بدّ أن يكون عندنا الفقه في الدّين ، والفقه الدّينيّ مكوّن من الأقسام الثّلاثة من الفقه ، والمتديّن الحقيقيّ هو من يلتزم بالأقسام الثّلاثة من الفقه ، لا كما هو تصوّرنا الآن بأنّ المتديّن الحقيقيّ هو الملتزم بالفقه العمليّ فقط ، يلبس خاتمًا ويمسك مسباحًا وعنده لحية ويذهب إلى المسجد ، ولكن باطنه كيف يكون ، هذا أمر غير مهمّ ، يخرج من المسجد ويذهب إلى البيت ويظلم زوجته وأولاده ، ويظلم خادمته ، لا يعطيها أجرها كل آخر شهر ، وفي مقرّ عمله يختلس الأموال ، ويجمع الأموال بأيّ طريقة ، ولا يخرج خمس أمواله وزكاتها ، لأنّ نظر المسلمين إلى الفقه العمليّ فقط ، ودائمًا أسئلة النّاس إلى العلماء هي عن مسائل الفقه العمليّ ، وينتظر من العالم الجواب بأنّه يجوز أو لا يجوز ، ولا أحد يسأل : ما هو تأثير هذا العمل على قلبيّ وباطنيّ ؟

إنّ جميع الأعمال الخارجيّة عبارة عن وسائل للتّكامل والتّقرّب إلى الله تعالى ، لذلك تقول : "أصلّي قربةً إلى الله" ، الصّلاة عبارة عن وسيلة ، تريد أن تتقرّب إلى الله ، والصّلاة ليست هدفًا ، بل هي وسيلة وواسطة ، ولكنّنا ننظر إلى الصّلاة على أنّها هدف وغاية ، صلّيت وانتهيت ، ولكن إلى أيّ حدّ ارْتَبَطَ بالله ؟

---

[1] التّوبة : ١٢٢ .

هذا لا يخطر في ذهن أحد من المسلمين .

هل هذه الصّلاة ساعدتني في التّكامل القلبيّ أو لا ؟

لا أحد يفكّر بهذا الأمر .

لذلك يصلّي الإنسان وهو أثناء الصّلاة يكون قد فكّر في ثلاثين موضوعًا ، وخلال هذه الأقوال والحركات لم يذكر الله قطّ ، فقط اللّسان كان يتحرّك ، ولكنّ القلب كان في أمكنة أخرى .

إذن :

الفقه على ثلاثة أقسام ، ومن يريد أن يكون متديّنًا فيجب أن يلتزم بالأقسام الثّلاثة ، ولكنّ المسلمين يدرسون الرّسالة العمليّة ولا يدرسون العقائد والأخلاق ، حتّى الأخلاق عبارة عن عمل ، ولكنّه عمل قلبيّ باطنيّ ، وإذا قالوا : "الفقه" – فإنّهم يقصدون الفقه العمليّ فقط ، وإذا أردنا أن يتطوّر فهمنا للدّين فلا بدّ أن نطرح هذه الأقسام الثّلاثة من الفقه ، والسّؤال بـ "يجوز أو لا يجوز" سؤال خاطئ ، ولا بدّ أن يكون السّؤال : ما هو تكليفي ؟

والتّكليف يكون مبنيًّا على الأقسام الثّلاثة من الفقه ، قد يكون العمل من ناحية الفقه العمليّ جائزًا ، ولكن من ناحية الفقه العقائديّ والفقه الأخلاقيّ لا ينبغي أن تأتي بهذا العمل ؛ لأنّه لا يتناسب مع الإنسان المؤمن .

مثلًا يجوز أن تمسك الهاتف النّقال مدّة أربع وعشرين ساعة ، ولو تسأل : هل يجوز أو لا يجوز ذلك ؟

يأتي الجواب بأنّه إذا كان ذلك لا يؤثّر على صلاتك فهو جائز ، ولكن نسأل : هل يتناسب مع الإنسان المؤمن أن يفعل هذا وأن يضيّع وقته ؟ هل هذا العمل يعطيه تكاملًا ؟ هل هذا العمل يربطه بالله أكثر ؟

والمسلمون غافلون عن هذين الجانبين : التّكامل والتقرّب إلى الله تعالى ، فما دام أنّه جائز فهو يفعله ، والأسئلة تدور دائمًا حول "يجوز أو لا يجوز" ، ويجعلون العالِم بين أمرين ، والعالم المتمسِّك بالأنواع الثّلاثة من الفقه يعلم أنّه يجوز بحسب الفقه العمليّ ، ولا يريد أن يقول : "يجوز" – بحسب الفقه العقائديّ والفقه الأخلاقي ، ولكن من يتعامل مع الفقه العمليّ فقط سيقول للسّائل : "يجوز" ، وقد يسبّب قوله بالجواز مشاكل بين الزّوج وزوجته ، ففي بعض الأمور يجوز للزّوجة أن تفعل ، ولكن لا ينبغي ؛ لأنّ هذا الفعل سيسبّب مشاكل اجتماعيّة مع الزّوج ، فمن يتعامل مع الفقه العمليّ يقول : "يجوز" ، ولكن من يتعامل مع الأقسام الثّلاثة من الفقه يقول في الجواب : "لا ينبغي لك أن تفعل" ، وإذا الزّوج اعترض عليها فتقول إنّ العالم الفلاني قال يجوز ، ولكنّ الجواب بـ "لا ينبغي" لا يجعل لها مبرِّرًا وعذرًا أمام الزّوج ، فالعالم قال لا ينبغي أن تفعلي ؛ لأنّه يؤدّي إلى مشكلة مع زوجك .

إذن الأجوبة تختلف ، ولا ينبغي أن تفعل هذا ؛ لأنّه لا يساهم في تكاملك ، فلا تفعله حتّى لو كان جائزًا ، فيكون الجواب هو "لا

ينبغي" ، وأحيانًا في بعض الأجوبة يجيب العالم بـ "لا ينبغي" ، ولكن غالبًا العلماء حينما تصلهم الرّسائل يجيبون بـ "يجوز" ؛ لأنّ نظرهم إلى الفقه العمليّ فقط .

وفي جواب العلماء بشكل عامّ يكون النّظر إلى الفقه الفرديّ فقط ، ولا يُرْبَطُ بالنّاحية الاجتماعيّة ، قد يكون أمر يجوز أن تفعله على مستوى الفرد ، ولكنّه يسبّب مشاكل اجتماعيّة أو مشاكل أخرى ، ومع هذه المشاكل ينقلب الجواب إلى "لا يجوز" .

مثلًا إذا كان يملك بحرًا ، وعنده براميل فيها موادّ مشعّة ، البحر ملكه ، وهذه البراميل ملكه أيضًا ، هل يجوز أن يرمي هذه البراميل في هذا البحر أو لا يجوز ؟

يأتي الجواب بأنّه يجوز ؛ لأنّ البحر ملكه والبراميل ملكه ، ولكن لو فكرنا بأنّ هذا البرميل بعد عشر سنوات سوف يتآكل وتخرج هذه الموادّ المشعّة إلى البحر ويسبّب كارثة إنسانيّة ، فحتّى لو كان البحر ملكه فإنّه يحرم عليه أن يفعل ؛ لأنه سيسبّب تلوّثًا للبيئة ، فإذا نظرنا إلى الفقه الفرديّ فقط فإنّ الجواب هن "يجوز" ، ولكن لو نظرنا إلى ارتباط العمل بالبيئة فالجواب هو "يحرم" .

سؤال : هل يجوز أن يقتل الحيوانات بلا سبب كالقطط الموجودة في الحيّ ؟ هل يجوز أن يجعل سمًّا في الطّعام بحيث يؤدّي إلى قتل جميع القطط ؟

الجواب على أساس الفقه العمليّ الفرديّ هو "يجوز" ، ولكن إذا

قتل القطط في الحيّ فلينتظر شهرًا واحدا وسيرى زيادة عدد الفئران في الحيّ ، وذلك بسبب الاختلال البيئيّ ، وللحفاظ على التّوازن البيئيّ لا يجوز قتل القطط في الحيّ .

سؤال : شخص عنده قطيع من الأغنام أو الأبقار وهناك ذئاب تقتل القطيع ، فهل يجوز أن يقتل جميع الذّئاب ؟

الجواب على أساس الفقه العمليّ الفرديّ هو "يجوز" ، ولكن بالنّظر إلى التّوازن البيئيّ هو "لا يجوز" ، لا بدّ أن نحافظ على البيئة ، والحيوانات موجودة ضمن توازن بيئيّ .

وادخل على اليوتيوب وانظر إلى بعض أفلام الفيديو ، مثلًا في الصين توجد طيور كانت تأكل من الحبوب الّتي يزرعونها ، فقاموا بحملة لقتل جميع الطّيور ، وظهرت في المزارع بعض الدّيدان الّتي تأكل الحبوب ، وكانت الطّيور تأكل هذه الدّيدان ، بالإضافة إلى ذلك كانت تأكل قليلًا من المحصول الزّراعيّ ، فبدأوا بفقد جميع المحاصيل ، وهذا الأمر متوقّف على التّوازن البيئيّ ، الحيوانات والطّيور والأسماك في العالم تعيش ضمن توازن بيئيّ ، وبمجرد ما تفقد حيوانًا معيّنا في هذه السّلسلة فإنّه يؤدّي إلى اختلال التّوازن البيئيّ .

مرّة يُنْظَرُ إلى الفقه العمليّ فقط دون الفقه العقائديّ والفقه الأخلاقيّ ، أو يُنْظَرُ إلى الفقه العمليّ الفرديّ فقط ، فيكون الجواب على هذا الأساس هو "يجوز" ، ومرّة يُنْظَرُ إلى الفقه العمليّ والعقائديّ والأخلاقيّ ، أو إلى الفقه الاجتماعيّ ، أو إلى الفقه

البيئيّ ، فيأتي جواب آخر ، وهو "لا ينبغي" أو "يحرم" ، ولا بدّ أن ننظر إلى المشاكل الاجتماعيّة والتّلوّث البيئيّ والتّوازن البيئيّ ، وننظر إلى الآثار الاجتماعيّة والآثار الاقتصاديّة والآثار السّياسيّة والآثار العالميّة لهذه المسألة ، فالفتوى قد تتغيّر ، وتكون عندنا فتاوى أخرى ، والآن الرّسالة العمليّة قائمة على الفقه العمليّ الفرديّ فقط ، أي أنت أيّها المكلّف ماذا تفعل دون النّظر إلى الآخرين ؟

في كلّ مسألة أنت كمكلّف عليك أن تقوم بهذا العمل ، تذهب إلى صلاة الجماعة ، أنت تهتمّ بأن تكون صلاتك صحيحة ، ولا شغل لك بالآخرين ، ولكنك تصلّي ضمن جماعة ، فكما تحرص على صحّة صلاتك لا بدّ أن تحرص على صحّة صلاة الآخرين الّذين يكونون ضمن الجماعة ، لذلك لا ترفع صوتك لكي لا تزعج من حولك من المصلّين ، وتخفّف صوتك لكي لا يسمعك الإمام ولا المأمومون الّذين يكونون حولك ، لذلك يكون رفع الصّوت مكروهًا في صلاة الجماعة ، لا بدّ أن تهتمّ بالمصلّين في المسجد في صلاة الجماعة ، فأنت لا تصلّي صلاة فرديّة ضمن صلاة الجماعة ، وإنّما الصّلاة تكون صلاة جماعيّة ، يعني جميع المصلّين لا بدّ أن يساهموا في تكامل الجماعة ، ولا بدّ أن يتعارف المصلّون على بعضهم البعض لكي يحقّقوا الأهداف المرجوّة من صلاة الجماعة ، فتوجد غايات للأحكام ، وسيأتي بحث مستقلّ تفصيليّ عن موضوع "غايات الأحكام في القرآن" ، وأشرنا إلى هذا الموضوع في إحدى المحاضرات .

إذا نظر الفقيه إلى المسألة بدون النّظر إلى غاية الحكم فيعطيك حكمًا ، ولكن إذا نظر إلى غاية الحكم فإنّه يعطيك حكمًا آخر .

وسنأتي إلى موضوع "غايات الأحكام" ؛ لكي نبيّن كيف أنّ بعض الأحكام تتغيّر حينما ننظر إلى غاية الحكم ، فالله شرّع هذا الحكم لغاية معيّنة ، ولا بدّ أن نحقّق الغاية ، وهذا العمل العباديّ يكون وسيلةً إلى تحقيق الغاية ، والهدف من هذه العبادة هو تحقيق الغاية لا نفس العبادة .

في صلاة الجماعة الغاية هي أنّ المصلّين يترابطون أكثر ، ولا بدّ أن نحقّق هذه الغاية ، تقول : أنا في البيت أركّز في الصّلاة أكثر ، وحينما أكون في المسجد تركيزي وخشوعي يقلّ .

نقول لك : اذهب إلى صلاة الجماعة حتّى لو كان التّركيز والخشوع أقل ؛ لأنّ هناك أهدافًا أهمّ من هذا التّركيز والخشوع الأقلّ ، فعندنا غايات للأحكام ، وهذه الغايات لو نظرنا إليها فإنّ بعض الأحكام الشّرعيّة تتغيّر ، وتكون عندنا أحكام أخرى ، وسنطرح بعض الأمثلة حينما نصل إلى أبحاث الفقه العمليّ .

وأكرّر بأنّ البحوث الّتي أقدّمها هي بحوث نظريّة ، وليست على نحو الفتوى ، وإن كنّا نطرح مسائل شرعيّة ، ولكنّنا نبحثها بحثًا نظريًّا ، ولا نطرح فتاوى ، وأنت ارجع إلى مرجعك لأخذ الفتاوى ، وهنا نريد أن نفتح الأبواب والآفاق للأحكام الشّرعيّة ، ونريد أن ننظر إلى الأحكام الدّينيّة على أنّها أحكام عالميّة .

تارةً ننظر إلى الحكم على أنّه حكم محلّيّ ، وتارةً أخرى ننظر إلى أنّه حكم عالميّ ، فيأتي السّؤال التّالي :

الأحكام الشّرعيّة في الإسلام هل هي أحكام محلّيّة او أحكام عالميّة ؟

المسلمون يدّعون "عالميّة الإسلام" ، فلا بدّ أن يكون الحكم متناسبًا مع العالم ، الصّلاة لا بدّ أن تكون عالميّة ، والصّوم عالميّ ، والحجّ عالميّ ، وكذلك بالنّسبة للأحكام العقائديّة والأحكام الأخلاقيّة ، هي أحكام عالميّة ، ولكنّ المسلمين اليوم يتعاملون مع الإسلام على أنّه دين محلّيّ جاء لجزيرة العرب فقط .

ونسأل : الشّعوب الأخرى حينما تريد أن تدخل الإسلام كيف يمكن للمسلمين أن يقدّموا الإسلام لهم ؟

هذا أمر مهمّ جدًّا .

ومع الأخذ بدخالة الزّمان والمكان في الأحكام فإنّ بعض الأحكام تتغيّر على حسب الزّمان والمكان ، وسنطرح بعض الأمثلة حينما نأتي إلى بحث هذه النّظريّة ، حكم تطبقه هنا ، ولكن في مكان آخر تطبّق حكمًا آخر أو مصداقًا آخر للحكم ، فالحكم ثابت والمصاديق تتغيّر حسب الزّمان والمكان ، كما في مثال زكاة الأموال ، نعم تجب الزّكاة على المال ، ولكن مصاديق المال تتغيّر باختلاف الأزمنة والأمكنة ، ففي بلدنا يوجد مصداق للمال ، وفي الصّين يوجد مصداق آخر ، وفي اليابان يوجد مصداق ثالث ، فمصاديق المال تتغيّر ، ودور الفقيه

يكـون في تحديـد مصـاديق المـال ، ودور الفقيـه لـيس فقـط اسـتنباط الحكم من الكتاب والسّنة ويعطيك الحكم ، وإنّما بالإضافة إلى ذلك لا بدّ أن يكون عنده اطّلاع على الظّروف الزّمانيّة والمكانيّة ؛ لكي يعطيـك الحكـم الّـذي يتناسـب مـع زمانـك ومكانـك ، فـلا بـدّ مـن معرفـة الظّـروف لكـي يعطيـك الحكـم المناسـب لظروفـك الزّمانيّـة والمكانيّة .

والحمـد لله ربّ العـالمين وصـلّى الله علـى سيّدنا أبي القاسـم محمّـد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

عالميّة الإسلام

(٥٢)

العوامل الدّخيلة في الحكم الشّرعيّ [١]

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

في الأسبوع الماضي أشرت إلى "غايات الأحكام" وبعض الأمور المرتبطة بالحكم الشّرعيّ ، ووردت بعض الأسئلة عن الموضوع ، ويريدون تفصيلًا أكثر ، لذلك في هذه اللّيلة أتكلّم عن عوامل الحكم الشّرعيّ .

في البداية نشيد بجهود العلماء السّابقين واللّاحقين ، وجهود العلماء لا يمكن أن نبخسها ، هذا العالم تعب كثيرًا لأجل الوصول إلى الحكم الدّينيّ ، وخاصّة في الزّمان السّابق ، كانوا يقرءون على ضوء شمعة أو على ضوء القمر ، والآن الوسائل متوفّرة ، وفي ذاك الوقت كانوا يرجعون إلى الكتب المخطوطة ، كتب بلا فهارس ،

---

[١] أُلْقِيَتْ هذه المحاضرة في الدّيوانيّة الأسبوعيّة في منطقة بيان ، الجمعة ٣٠ ذو القعدة ١٤٤٠ هـ ، الموافق ٢/٨/٢٠١٩ م .

والأبواب فيها متداخلة ، ويحتاج العالم إلى أسبوع أو أسبوعين أو شهر لكي يجد روايةً واحدةً ، وأمّا الآن فالكتب مرتّبة ومفهرسة ، وفي الوسائل الحديثة يمكن أن تبحث عن أيّ رواية تريدها خلال ثواني معدودة ، فتكتب في البحث جزءًا من الرّواية وتأتي الرّواية مع جميع المصادر الّتي ذكرت هذه الرّواية .

إذن العلماء السّابقون بذلوا جهودًا كبيرةً جدًّا لأجل الوصول إلى الأحكام الشّرعيّة .

وفي محاضراتنا لا نحاول أن نقلّل من شأن العلماء ، وإنّما نطرح الآراء المختلفة بناءً على الرّأي الأوّل وعلى الرّأي الثّاني ، وقد نطرح مسألةً جديدةً ، وهذا لا يعني الطّعن بالعلماء ، فهو مجرّد استعراض الآراء المختلفة .

وقلنا إنّ البحوث هنا بحوث نظريّة لا بحوث فتوائيّة ، فبعض العلماء يتبنّون نظريّة دخالة الزّمان والمكان في الأحكام فيصلون إلى حكم معيّن ، ومن لا يتبنّى هذه النّظريّة يصل إلى حكم آخر ، والعالم الّذي يتبنّى النّظريّة لا يقلّل من شأن العالم الّذي لا يتبنّى النّظريّة ، وكذلك من لا يتبنّى لا يقلّل من شأن الّذي يتبنّى ، والعلماء يحترمون بعضهم البعض حتّى حينما يشكلون عليهم ، تجد أنّ العالم الأوّل يشكل على العالم الثّاني ، وفي الواقع هذا ليس إشكالًا على العالم ، وإنّما هو إشكال على رأي العالم ، وأحيانًا يقال إنّ هذا إشكال يَرِدُ على العالم ، ولكنّ المقصود أنّه إشكال على رأي العالم ، فمكانة

العلماء محفوظة عند بعضهم البعض .

إنّ العلماء يستنبطون الأحكام الشّرعيّة بناءً على النّظريّات الّتي يتبنّونها ، فكلّ عالم من البداية يحدّد المباني الّتي يبني عليها ، فيحدّد المباني والنّظريّات والقواعد التي يعتمد عليها ، وبعد ذلك يبدأ بالبناء ، فيتبنّى نظريّات معيّنة ، ويعطي الحكم الشّرعيّ بناءً على هذه النّظريّة ، ويصل العلماء إلى أحكام مختلفة ، تجد أنّ العالم الأوّل يقول بالوجوب ، والثّاني يقول بالاحتياط الوجوبيّ ، والثّالث يقول بالاستحباب ، والرّابع يقول بالاحتياط الاستحبابيّ ، والآراء تتناول نفس الموضوع ، وتجد عالمًا يقول بالحرمة ، والثّاني يقول بالكراهة ، والاختلاف في الآراء مبنّي على نظريات وأفهام مختلفة ، فالعالم يعطي الحكم بناءً على نظريّته وفهمه للدّليل .

وفي محاضراتنا نحاول أن نصل إلى الأحكام الّتي تتناسب مع عالميّة الإسلام ، فحينما نُقَدِّمُ الحكم فهذا الحكم يتناسب مع عالميّة الإسلام ، وقد نطرح رأيًا آخر ؛ لأنّ الحكم المطروح لا يتناسب مع عالميّة الإسلام ، والمسلمون يدّعون أنّ الإسلام دين عالميّ ، فلا بدّ أن تكون الأحكام الدّينيّة أحكامًا عالميّةً ، وأمّا إذا كانت الأحكام أحكامًا محلّيّةً فيكون الإسلام دينًا محلّيًّا لمنطقة جغرافيّة معيّنة وليس دينًا عالميًّا .

والمثال الّذي طرحته في الأسبوع الماضي كان مسألة قتل الحيوانات بلا سبب ، قد تجد رأيًا يقول بأنّه يجوز قتل القطط في الحيّ الّذي

تعيش فيه ، فتضع السّمّ في طعام وتقدّمه للقطط ، وقلنا بناءً على التّوازن البيئيّ يكون الحكم هو حرمة قتل الحيوانات بلا سبب إلّا الحيوان المعيّن الّذي يضرّ .

لنفرض مكانًا فيه ذئاب ، فتضع سمًّا يقتل جميع الذّئاب ، قد تجد رأيًا يقول بجواز ذلك ، ولكن إذا قتلت جميع الذّئاب فهناك حيوانات يزداد عددها ؛ لأنّ الذّئاب كانت تأكل هذه الحيوانات .

لنفرض قتل الضّباع ، الضّبع دوره أن ينظّف الغابة من الجيف ، فإذا قتلت جميع الضّباع فإنّ الجيف تزداد في الغابة ، وعندك توازن بيئيّ ، وهذه الجيف ستؤدّي إلى التّلوّث وانتشار الأمراض ، فبناءً على التّوازن البيئيّ وبناءً على التّلوّث البيئيّ نصل إلى حكم آخر ، فيحرم قتل الحيوانات إلّا الحيوان المعيّن الّذي يكون مضرًّا .

مثلًا ذئب يأتي ويقتل حيوانًا من القطيع الموجود عندك ، هذا الذّئب المعيّن تقتله ، ولكن لا تقتل جميع الذّئاب الّتي تعيش على الجبال أو في مكان آخر .

لو قلنا بأنّه يوجد حكم بحرمة قتل الحيوانات بلا سبب ، وهو حكم مبنيّ على عامل التّوازن البيئيّ وعامل التّلوّث البيئي – فهل هذا الحكم يتناسب مع عالميّة الإسلام أو الحكم الّذي يقول بجواز قتل الحيوانات بلا سبب ، وهذا حكم بدون النّظر إلى عامل التّوازن البيئيّ وعامل التّلوّث البيئيّ ؟

ترى أنّ حكم الحرمة يتناسب مع عالميّة الإسلام ، والعالم اليوم يأخذ

بعين الاعتبار عامل التّوازن البيئيّ وعامل التّلوّث البيئيّ ، فمثل هذه الأمور تدخل ضمن عوامل استنباط الحكم الشّرعيّ ، ويصل الفقيه إلى حكم آخر .

مرّة يتعامل الفقيه مع النّصّ الدّينيّ فقط ، توجد آية أو رواية ، فيعطيك حكمًا ، ومرّة ينظر الفقيه إلى الظّروف المحيطة بالآية والرواية ، فيعطيك حكمًا آخر ، وفي كلّ آية وكلّ رواية توجد ظروف محيطة بهما ، فإذا أخذ الفقيه هذه الظّروف بنظر الاعتبار فإنّه يصل إلى حكم آخر .

نفرض آية قرآنيّة موجودة ضمن سياق معيّن ، فإذا استقطع هذه الآية بدون النّظر إلى السّياق فيصل إلى حكم ، وإذا نظر إلى هذه الآية ضمن السّياق وضمن الظّروف الّتي أتت فيها الآية يصل إلى حكم آخر ؛ لأنّ هذه الظّروف من عوامل الحكم الشّرعيّ ، فالفقيه الثّاني يصل إلى أحكام تختلف عن أحكام الفقيه الأوّل .

إذن الفقيه لا بدّ أن يحدّد العوامل الّتي تدخل في الحكم الشّرعيّ ، الفقيه الأوّل يحدّد عاملًا واحدًا ، والفقيه الثّاني ينظر إلى عاملين ، والفقيه الثّالث ينظر إلى ثلاثة عوامل أو أربعة أو خمسة ، فيختلف استنباط الحكم الشّرعيّ عند هؤلاء الفقهاء ، فالفقيه الثّالث دائرة نظره أوسع من دائرة نظر الفقيهين الأوّل والثّاني ؛ لأنّه نظر إلى العوامل الدّخيلة في هذا الحكم ، فيصل إلى نتائج أخرى ، وفقيه عنده نظريّات تختلف عن نظريّات الفقيه الآخر ، فيصل إلى نتائج أخرى .

نريد أن نطرح أحكامًا تتناسب مع عالميّة الإسلام ، والفقيه يحدّد العوامل الّتي لها الدّخالة في هذا الحكم ، وهذا الحكم لا بدّ أن يتناسب مع العالميّة ؛ لأنّ ادعاءنا أنّ الأحكام الدّينيّة أحكام عالميّة ، ولا نستطيع أن نقتصر على حكم محلّي ، لا بدّ أن نصل إلى حكم عالميّ .

إذن :

نريد أن نصل إلى الأحكام العالميّة في الدّين ؛ لكي نعرض هذا الدّين على العالم ، نقول انظروا إلى هذا الحكم فهو حكم عالميّ ، وهذا الحكم يتناسب مع عالميّة الدين ، وإذا بيّنّا أنّ أحكام الإسلام أحكام عالميّة فالإسلام يكون مقبولًا في العالم ، لا مثل الآن ، الآن في نظر العالم أنّ الإسلام هو الإرهاب ، والإرهابيّون يستدلّون بآيات وروايات ، ولكن يستقطعون الآية والرّواية من ظروفها الموضوعيّة ، فيعطون حكمًا معيّنًا .

"وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً" [1] .

"فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ" [2] .

يعني قاتلوهم واقتلوهم كافّة حيث تجدونهم ، وهذا في القرآن .

وتأتي إلى الروايات المشرك تعرض عليه الإسلام ، إمّا يقبل الإسلام وإمّا يُقْتَلُ ، واليهوديّ أو المسيحيّ تعرض عليه الإسلام ، إمّا يدفع

---

[1] التّوبة : ٣٦ .

[2] السّورة السّابقة : ٥ .

الجزية وإما يُسْلِمُ وإمّا يُقْتَلُ ، وهي المسائل المعروفة ، والآن لو طرحنا هذه المسائل على العالم فالعالم لا يمكن أن يقبل الإسلام ، يرون أنّ الإسلام دين القتل والإرهاب .

سؤال : هل آية الجزية وردت في سياق معيّن أو هي آية مطلقة عامّة ؟

"قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ" [1] .

حينما نصل إلى بحث الجزية في مباحث الفقه العمليّ سنأتي إلى الآية الّتي فيها ذكر الجزية ، سنأتي إلى سياق الآيات لنرى أنّ الآيات هل تتحدّث عن حكم عام في كلّ زمان أو تتحدّث عن واقعة معيّنة وعن ظرف معيّن .

إذن :

هناك بعض العوامل تدخل في الحكم فتغيّر هذا الحكم إلى حكم آخر .

المثال الأوّل :

في قصّة أنّ شخصًا أتى إلى النّبيّ صلّى الله عليه وآله وقال بأنّه محتاج ، فأعطاه النّبيّ صلّى الله عليه وآله فأسًا ، وقال له بأن يذهب إلى الغابة ويحتطب ، والحطب الّذي يحوزه يبيعه في السّوق .

---

[1] التّوبة : ٢٩ .

وتوجد قاعدة فقهيّة تقول : "مَنْ حَازَ مَلَكَ" ، فيذهب إلى الغابة ويحتطب ، وما يحتطبه يُعْتَبَرُ مُلْكًا له ، يذهب إلى البحر ويصطاد السّمك ، ما يصطاده مُلْكٌ له ، ولا يجوز لأحد أن يأخذ هذه الأخشاب وهذه الأسماك منهما ، فيكون عندنا حكم شرعيّ بأنّه يجوز لأيّ إنسان أن يذهب إلى الغابة ويحتطب ، ويجوز أن يذهب إلى البحر ويصطاد السّمك ، وما يحوزه يملكه .

وفي زماننا شخص عنده شركة وآلات حديثة وعشرات العمّال ، ويذهب إلى الغابة ، وخلال يوم واحد يستطيع أن يحتطب آلاف الأشجار ، فيأتي السّؤال : **هل يجوز ذلك في زماننا ؟**

الجواب :

بناءً على قاعدة "مَنْ حَازَ مَلَكَ" يكون الجواب هو الجواز ، ولكن نلاحظ الآن أنّ الدّول تشرّع قانونًا بأنّه لا يجوز ذلك ، فهل الحكم يكون الجواز أو الحرمة ؟

نعرف أنّ الغابات لها دور في إنتاج الأوكسجين وحفظ توازن الهواء ، فتصوّر أنّ كلّ شخص عنده آلات حديثة يطبّق قاعدة "مَنْ حَازَ مَلَكَ" ، فيستطيع أن يزيل جميع أشجار الغابة خلال أيام معدودة ، وهكذا سيتمّ القضاء على جميع الغابات في العالم .

ويوجد هنا رأيان :

الرّأي الأوّل :

بناءً على عدم دخالة الزّمان والمكان في الأحكام يكون الحكم هو

الجواز ؛ لأنّ قاعدة "مَنْ حَازَ مَلَكَ" مطلقة غير مقيّدة بأيّ قيد زمانيّ أو مكانيّ .

الرّأي الثّاني :

بناءً على دخالة الظّروف الزّمانية والمكانيّة في الأحكام يكون الحكم هو الحرمة ، لذلك في الدّول في زماننا لا بدّ أن يأخذ إذنًا من الجهة المسئولة عن الغابات ، ويحدّدون له مساحة معيّنة ، ويدفع للدّولة أموالًا في مقابل ذلك ، حتّى لو كانت الدّولة إسلاميّة فيأتي نفس الحكم ، يطلب إذنًا من الحكومة ويدفع أموالًا في االمقابل .

إذن :

يتغيّر الحكم من الجواز إلى الحرمة بسبب دخالة الظّروف الزّمانيّة والمكانيّة في موضوعات الأحكام .

المثال الثّاني :

شخص يحفر تحت بيته ويجد نفطا ، ما فوق الأرض وما تحت الأرض يعتبر ملكه ؛ لأنّه يملك الأرض وما تحتها ، فيأتي السؤال : هل هذا النّفط ملكه أو لا ؟

المفروض أن يكون ملكه حسب القاعدة ، ولكنّ الدّول في زماننا عندها قانون يقول بأنّ النّفط تحت الأرض يكون ملكًا للدّولة ، فما فوق الأرض ملك لصاحب الأرض ، وما تحت الأرض من معادن ملك للدّولة ، لذلك إذا وجد نفطًا تحت أرضه تأتي الدّولة وتثمّن الأرض والبيت وتعطي القيمة لصاحب البيت فتصير الأرض وما تحتها

ملكًا للدّولة ، ولا يمكنه أن يرفض طلب الدّولة ، ولو وجدت دولة إسلاميّة فإنّها تطبّق نفس القانون وتقول إنّ هذا النّفط ملك للدّولة .

فبناءً على أنّ ما فوق الأرض وما تحتها ملك لصاحب الأرض يكون الحكم هو الجواز ، ولكنّ الدّول لها قوانين بحيث يكون النّفط ملكا للدّولة لا ملكًا للأفراد .

فيوجد هنا رأيان :

الرّأي الأوّل :

بناءً على عدم دخالة الزّمان والمكان في الأحكام يكون الحكم هو الجواز .

الرّأي الثّاني :

بناءً على دخالة الزّمان والمكان في الأحكام يكون الحكم هو الحرمة .

إذن :

يتغيّر الحكم من الجواز إلى الحرمة بسبب دخالة الظّروف الزّمانيّة والمكانيّة في موضوعات الأحكام .

المثال الثّالث :

نكثر من الأمثلة لتتّضح الفكرة أكثر ، وأكرّر بأنّ بحوثنا بحوث نظريّة ، وليست بحوثًا فتوائيّة .

سؤال : الزّكاة على ماذا تجب ؟

الجواب :

تجب الزّكاة على أصناف تسعة معيّنة : الغلّات الأربعة من القمح والشّعير والتّمر والزّبيب ، والأنعام الثّلاثة من الإبل والغنم والبقر ، والذّهب والفضّة المسكوكين فقط ، والمسكوك بمعنى أنّ الذّهب والفضّة كانتا العملة الّتي يتعامل بها النّاس في البيع والشّراء ، ولذلك يقال : المسكوكين بسكّة المعاملة .

سؤال : هل تجب الزّكاة على الأموال النّقديّة ؟

الجواب :

عند الفقهاء لا تجب عليها الزّكاة ، فغير هذه الأصناف المذكورة لا تجب عليها الزّكاة .

أشرنا في بعض المحاضرات إلى غايات الأحكام ، وسيكون عندنا بحث مستقلّ عن موضوع "غايات الأحكام" ، وأشير هنا إلى الموضوع إشارةً عابرةً ، وهذه البحوث تحتاج إلى تفاصيل أكثر .

وقلنا بأنّه إذا نظرنا إلى غاية الحكم فمن الممكن أنّ الحكم يتغيّر إلى حكم آخر .

سؤال : الإسلام حينما شرّع حكم الزّكاة ما هي الغاية الّتي يريد أن يصل إليها الدّين ؟

الجواب :

القرآن الكريم يجيب على هذا السّؤال :

"إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالمَسَاكِينِ وَالعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ" [1] .

غاية الزّكاة هي القضاء على الفقر ، فتوجد غاية مهمّة ، وعلى الأقلّ الفقراء والمساكين موجودون في كلّ زمان ، وكذلك **"وَفِي سَبِيلِ اللهِ"** عنوان عامّ موجود في كلّ زمان ، **"وَابْنِ السَّبِيلِ"** هو المسافر الّذي لا يملك مالًا ، ولكن في زماننا من يسافر عنده بطاقة البنك ويستطيع أن يصرف في أيّ دولة يذهب إليها ، **"وَالغَارِمِينَ"** موجودون في كلّ زمان ، وهم الّذين يقترضون ولا يمكنهم التّسديد .

بعض مصارف الزّكاة موجودة في كلّ زمان ، فيأتي السّؤال التالي :

ما هو الحلّ الّذي يقدّمه الإسلام في زماننا الحاليّ مع انتشار الفقر في العالم ؟ وهل حكم الزّكاة حكم محلّيّ أو حكم عالميّ ؟

الجواب :

المفروض أن يكون حكم الزّكاة حكمًا عالميًّا للقضاء على مشكلة الفقر في العالم بحيث لا يبقى أيّ فقير محتاج في جميع دول العالم ، فَيُقْضَى على الفقر تمامًا ، ولكن إذا جعلنا الزّكاة ضمن هذه الأصناف الّتي وردت من الغلّات والأنعام والذّهب والفضّة المسكوكين فإنّه بهذه العناوين لا يمكن القضاء على الفقر ، وبالنّظر إلى غاية الحكم فلا بدّ أن تكون أصناف الزّكاة أصنافًا أخرى أيضًا ؛ لأنّ

---

[1] التّوبة : ٦٠ .

العنوان الموجود في القرآن والرّوايات هو "زكاة المال" ، وهو العنوان الموجود في الرّسائل العمليّة أيضًا ، ولكنّ الفقهاء يجعلون هذا العنوان العامّ ضمن الأصناف المخصوصة .

يقول القرآن الكريم :

"خُذْ مِنْ أَمَوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا" [١] .

عن عبدالله بن سنان قال : قال أبو عبدالله عليه السّلام : لمّا أنزلت آية الزّكاة **"خُذْ مِنْ أَمَوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا"** ، وأنزلت في شهر رمضان فأمر رسول الله صلّى الله عليه وآله مناديه ، فنادى في النّاس إنّ الله فرض عليكم الزّكاة كما فرض عليكم الصّلاة ، ففرض الله عزّ وجلّ عليهم من الذّهب والفضّة ، وفرض الصّدقة من الإبل والبقر والغنم ، ومن الحِنْطَة والشّعير والتّمر والزّبيب ، فنادى فيهم بذلك في شهر رمضان ، وعَفَا لهم عمّا سوى ذلك . . . [٢] .

عن محمّد بن مسلم وزرارة عنهما جميعًا عليهما السّلام قالا : وضع أمير المؤمنين صلوات الله عليه على الخيل العِتَاق الرّاعية في كلّ فرس في كلّ عام دينارين ، وجعل على البَرَاذِين دينارًا [٣] .

---

[١] التّوبة : ١٠٢ .

[٢] الكافي ج٣ ص٤٩٦ ح٢ . الحِنْطَة : القَمْح .

[٣] المصدر السّابق ج٣ ص٥٣٠ ح١ . الخيل العِتَاق : الخيل العربيّة الأصيلة ، والعِتَاق جمع العَتِيق . البَرَاذِين : الخيل غير العربيّة ، والبَرَاذِين جمع بِرْذَوْن .

عن محمّد بن مسلم قال : سألته عليه السّلام عن الحبوب ، ما يُزَكَّى منها ؟ قال : البُرُّ والشَّعير والذُّرَة والدُّخْن والأُرْز (الأَرُزّ) والسُّلْت والعَدَس والسِّمْسِم ، كلّ هذا يُزَكَّى وأشباهه [1] .

وفي الآية السّابقة : "**إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالمَسَاكِينِ وَالعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**" .

الآية تقول : "**فَرِيضَةً مِّنَ اللهِ**" ، فريضة أي واجب ، والعنوان العامّ هو "زكاة المال" ، وهذه الأصناف المذكورة من الغلّات والأنعام والذّهب والفضّة هي مصاديق المال الّتي كانت موجودة في زمان النّبيّ صلّى الله عليه وآله .

وإذا نظرنا إلى غاية الحكم – وهي القضاء على الفقر – نقول إنّ هذه المصاديق المذكورة لا يمكن أن تقضي على الفقر في زماننا ؛ لأنّه لا بدّ من تحقيق غاية الحكم ، وحكم الزّكاة عبارة عن وسيلة لا غاية ، ومن يعطي الزّكاة لا بدّ أن يكون تحت نظره القضاء على الفقر ، فحينما يوزّع الزّكاة أو أنّ الفقهاء أو الدّولة يجمعون الزّكاة لأجل توزيعها على الفقراء – لا بدّ أن نصل إلى هذه الطّبقات ، وبالنّظر إلى غاية الحكم فإنّ المصاديق تتغيّر عبر الزّمان ، والزّكاة عنوانه

---

[1] الكافي ج٣ ص٥١٠ ح١ . البُرّ : القمح . الدُّخْن : نبات عشبيّ ، حبّه صغير أملس يشبه حبّ السّمسم . السُّلْت : نوع من الشّعير ليس له قشر يشبه القمح .

"زكاة المال" لا زكاة الأصناف التّسعة فقط ، فالمصاديق تتغيّر عبر الزّمان بناءً على غاية الحكم .

نسأل :

ما هي مصاديق المال في زماننا ؟

الجواب :

توجد مصاديق للمال تختلف من بلد إلى آخر ، مثلًا اليابان عندهم الأسماك والصّناعة ، فتصير الزّكاة على السّمك والبضائع ، وفي أفريقيا مجوهرات ومعادن ، فتصير الزّكاة على المعادن ، وفي الهند الأرزّ ، وفي العراق النّخيل ، وفي لبنان الفواكه ، ومصر سابقًا كانوا ينتجون القطن ، وفي السّودان عندهم الثّروة الحيوانيّة ، فغاية الحكم هي القضاء على الفقر ، والمصاديق تتغيّر في كلّ زمان وفي كلّ مكان ، وفي المكان الواحد قد تتغيّر المصاديق من زمان إلى آخر ، وهنا لم يتغيّر الحكم إلى حكم آخر ، وهو حكم زكاة المال ، فالحكم ثابت ، ولكنّ المصاديق تتغيّر بناءً على غاية الحكم ، لا عند الإنسان المسلم فقط ، بل حتّى غير المسلم ؛ لأنّ الغاية هي القضاء على الفقر ، والآية لم تقيّد الفقراء بالمسلمين أو المؤمنين ، فحكم الزّكاة حكم عالميّ .

وفي بعض الدّول توجد عندهم ضرائب على الأموال ، وفي الإسلام هذه الضّرائب تسمّى زكاة ، والمصانع الموجودة في الشّرق والغرب عليها ضرائب يدفعونها للدّولة ، وهذا عند غير المسلمين .

ونقول بأنّه يوجد في الإسلام حكم عالميّ غير مختصّ بالمسلمين ، بل هو شامل لجميع النّاس من المسلمين وغير المسلمين ، وإذا كان يوجد عندك مصنع ، وفي البلد الّذي تملك فيه هذا المصنع يوجد فقراء ، أنت كصاحب هذا المصنع سواء كنت مسلمًا أم غير مسلم تخرج نسبة من الأرباح ، والفقيه يحدّد هذه النسبة بين اثنين ونصف بالمائة أو نصف هذه القيمة ، ولنفرض أنّ النسبة هي اثنان ونصف بالمائة ، فصاحب المصنع يخرج هذه النّسبة سنويًّا على أرباحه ، وبنفسه يوزّع هذا المبلغ على فقراء بلده أو منطقته أو دولته ، ونفس الحكم يأتي في بلدان المسلمين وفي بلدان غير المسلمين في الشّرق والغرب ؛ لأنّ حكم الزّكاة حكم عالميّ ، وبهذه الطّريقة يمكن القضاء على الفقر في العالم ، وهنا طرحنا مسألة عالميّة ، وهذا الحكم غير مختصّ بالمسلمين ، ويكون الحكم عامًّا وهو أنّه يجب على كلّ إنسان إخراج زكاة ماله ، لا أنّه يجب على المسلمين فقط .

فيأتي السّؤال :

هل الأحكام الشّرعيّة واجبة على المسلمين فقط أو شاملة لغير المسلمين أيضًا ؟

الجواب :

بناءً على أنّ أحكام الإسلام أحكام عالميّة فيكون الجواب أنّ الأحكام الشّرعيّة واجبة على غير المسلمين أيضًا .

والمسألة المطروحة الآن هي أنّ أصول الدّين مطلوبة من جميع النّاس

من المسلمين وغير المسلمين ، وأنّ فروع الدّين مطلوبة من المسلمين فقط ولا تشمل غير المسلمين ، نقول حتّى فروع الدّين مطلوبة من جميع النّاس .

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ" [1] .

العبادة مطلوبة من جميع النّاس ، لذلك فالأحكام الشّرعيّة مطلوبة منهم جميعًا وخاصّة في مجال المعاملات والأحكام التّنظيميّة ، وليس كلامنا عن العبادات فقط ، وإذا أسلم غير المسلم فالعبادات السّابقة تسقط عنه ، فالصّلوات السّابقة والصيام السّابق تسقط عنه ، ويبدأ بالصّلاة والصّيام من أوّل ما يسلم ، والحجّ لا يسقط عنه ، وليس من المعقول أنّه إذا أسلم وعمره خمسون سنة أن يقال له يجب أن تصلّي الصّلوات السّابقة المطلوبة منك منذ أربعين سنة ، إذا قيل له هذا القول فإنّه لن يدخل الإسلام ، فبالنّسبة للعبادات المخصوصة يسقط عنه ما مضى منها ، ولكن بالنّسبة للأمر المعامليّ في باب المعاملات فهذا الأمر مطلوب من جميع النّاس لا المسلمين فقط ، والزّكاة مطلوبة من غير المسلم أيضًا ؛ لأنّ القضاء على الفقر غير مقتصر على المسلم ، وحتّى غير المسلم يريد القضاء على الفقر ، فالقضاء على الفقر حاجة إنسانيّة ، وفي الغرب يعطون مبالغ من التّأمينات الاجتماعيّة للفقراء والعاطلين عن العمل ، ولكن أحيانًا يكون المبلغ

---

[1] البقرة : ٢١ .

أقلّ من حاجتهم ، وترى في الغرب أناسًا ينامون في الشّوارع ، حتّى في أيّام البرد الشّديد ، لذلك يموت بعضهم بسبب البرد .

والآن لو نطرح حكم الزّكاة على العالم ونقول بأنّه من الواجب على كلّ إنسان يملك أيّ مصداق من مصاديق المال أن يخرج اثنين ونصف بالمائة سنويًّا ويعطي الفقراء الّذين يعيشون في محيطه – فإنّ الإسلام يكون مقبولًا ، وبتطبيق حكم الزّكاة العالميّ يُقْضَى على الفقر في العالم ، بل ويوجد فائض يمكن أن تقام به المشاريع الّتي يعمل فيها الفقراء ، وبهذه الطّريقة يكون عند الفقراء مورد ماليّ شهريّ .

إذن :

بالنّظر إلى غاية الحكم تتغيّر مصاديق المال عبر الزّمان والمكان ، ويتغيّر الحكم من اختصاصه بالمسلم إلى حكم عامّ يشمل جميع النّاس مسلمًا كان أو غير مسلم ، فيكون حكما إنسانيًّا عالميا ، والإسلام طرح الحلّ العالميّ لمشكلة الفقر في العالم .

الرّسائل العقائديّة والأخلاقيّة والعمليّة :

قلنا بأنّ الفقه ينقسم إلى ثلاثة أقسام : الفقه العقائديّ والفقه الأخلاقيّ والفقه العمليّ ، والآن عندنا الرّسالة العمليّة فقط ، والمؤمنون يسألون دائمًا عن المسائل العمليّة ، ونقول بالإضافة إلى ذلك نحتاج إلى رسالة عقائديّة ورسالة أخلاقيّة ، والمكلف لا يقلّد فقط في الفقه العمليّ ، بل يقلّد أيضًا في الفقه العقائديّ والفقه الأخلاقيّ ، نعم أصول الأحكام العقائديّة لا يوجد فيها تقليد ،

والمقصود من التّقليد رجوع الجاهل إلى العالم ، ففي مسألة وجود الله لا تقلّد أي لا ترجع إلى العالم ، لا تقول لأنّ العالم الفلانيّ يقول بوجود الله فأنا أعتقد أنّ الله موجود ، ولكن ترجع إلى العالم في مثل :

هل البداء يأتي ضمن صفات الله أو لا ؟ وما معنى البداء ؟

هل يجب أن نعتقد بالرّجعة أو لا ؟

والّذي يجيب عن مثل هذه الأسئلة هو العالم بالدّين ، عالم يقول بأنّ الرّجعة ليست من العقائد الضّروريّة ، فيمكن لك أن لا تعتقد بالرّجعة ، وعالم آخر يقول إنّ الأدلّة ثابتة وتدلّ على الرجعة ، فترجع إلى الرّسالة العقائديّة لهذا العالم وتقلّده في فروع الفقه العقائديّ ؛ لأنّ العقائد من الأحكام الدّينيّة ، والقرآن الكريم يقول : "**لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ**" [1] .

فيوجد فقهاء في جميع الأحكام الدّينيّة ، فكما يوجد فقيه في الأحكام العمليّة يوجد فقيه في الأحكام العقائديّة ، وفقيه في الأحكام الأخلاقيّة ، والتّقليد لا يكون في الفقه العمليّ فقط ، فتوجد عندك ثلاث رسائل : الرّسالة العقائديّة ، والرّسالة الأخلاقيّة ، والرّسالة العمليّة .

وفي الأخلاق تريد أن تتكامل فترجع إلى العالم وتسأله : كيف يمكن لي أن أتكامل ؟

والعالم يبيّن لك طريقة الحصول على التّكامل ، ففي الرّسالة

---

[1] التّوبة : ١٢٢ .

الأخلاقيّة يبين الفقيه ما هو تعريف الأخلاق ؟ وما هي الأعمال الأخلاقيّة ؟

مثلًا هل يجب على الإنسان أن يكون متّقيًا أو لا ؟ وما معنى التّقوى ؟

هل يجب على الإنسان أن يكون صابرًا أو لا ؟ وما معنى الصّبر ؟

نعم يجب على الإنسان أن يكون صابرًا ، فإذا أصيب ببلاء يجب عليه أن يصبر ، ليس مستحبًّا فقط ، بل تكليفه أن يصبر عند المصيبة .

هل يجب على الإنسان أن يكون حليمًا أو لا ؟ وما معنى الحلم ؟

نعم المطلوب من الإنسان أن يكون حليمًا .

هل يجب على الإنسان أن يكفّ نفسه عند الغضب ؟

نعم يجب عليه ذلك .

فالرّسالة الأخلاقيّة تتكفّل ببيان هذه الأمور الأخلاقيّة ، وتبيّن كيفيّة التكامل ، وما هي الأعمال الّتي تؤدّي إلى التّكامل ؟ وما هي الأعمال الّتي تؤدّي إلى التّسافل ؟

وكما ترجع إلى العالم الأعلم في الفقه العمليّ ، كذلك ترجع إلى العالم الأعلم في الفقه العقائديّ ، والعالم الأعلم في الفقه الأخلاقيّ ، فإذا كان الأعلم في الأقسام الثّلاثة فقيهًا واحدا فترجع إليه في أخذ جميع الأحكام منه ، وإذا كان يوجد أعلم في كلّ قسم فتقلّده وترجع إلى ثلاثة علماء ، وكلّ عالم في مجال تخصّصه .

والآن لا يوجد عندنا تقليد في العقائد ، ولا تقليد في الأخلاق ، وإنّما يوجد تقليد في الفقه العمليّ فقط ، والتّقليد هو رجوع الجاهل في الأحكام إلى الأعلم في مجال تخصّصه ، وهذا التّقليد موجود في العلوم الدّنيويّة والعلوم الدّينيّة على حدّ سواء ، مثلًا في المسألة الفيزيائيّة مع اختلاف الآراء بين الفيزيائيّين ترجع إلى الأعلم في علم الفيزياء .

والعقائد والأخلاق من العلوم المهملة مع أنّ الأساس للفقه الأخلاقيّ والفقه العمليّ هو الفقه العقائديّ ، فالفقه العقائديّ هو الّذي يحرك المكلَّف ، والمكلّف يتقرب إلى الله بأعماله ، فلا بدّ أن يعرف الله أوّلًا ، ومن صفات الله التّوحيد .

هل صفات الله زائدة عليه أو لا ؟

هذا السّؤال يجيب عليه العالم في الفقه العقائديّ .

ما معنى صفات الله عين ذاته ؟

ترجع إلى الأعلم في الفقه العقائديّ لتأخذ منه المعنى .

إذن :

نحتاج إلى التّقليد في الفقه العقائديّ وفي الفقه الأخلاقيّ وفي الفقه العمليّ ، لا أن نهتمّ بالعمل الخارجيّ فقط بدون الاهتمام بالعقائد والصّفات القلبيّة .

والآن تركيزنا على الفقه العمليّ فقط ، ويقال عن الشّخص إنّه متديّن إذا التزم بالفقه العمليّ فقط ، ولكنّ المتديّن الحقيقيّ هو من

يلتزم بالأقسام الثّلاثة من الفقه .

والفقه العملي هو أدنى أقسام الفقه لأنّه يتحدّث عن العمل الخارجيّ فقط ، فيأتي السؤال :

كيف نستفيد من العمل الخارجيّ ؟

عالم الفقه العمليّ لا يجيب على هذا السّؤال ، وإنّما عالم الأخلاق هو الّذي يستطيع الإجابة عليه .

شخص يذهب إلى الحجّ ويهتمّ بالأعمال الخارجيّة فقط ، ويرجع إلى بلده ولم يتغيّر ؛ لأنّه لم يَسْتَفِدْ من مناسك الحجّ ، فهناك جوانب أخلاقيّة مرتبطة بالحجّ لا بدّ أن يعرفها قبل الذّهاب إلى الحجّ لكي يستفيد من المناسك .

كيف نستفيد من الصّلاة ؟

الرّسالة العمليّة لا تعطيك الجواب لأنّها تتحدّث عن الأعمال الظّاهرية فقط ، تأتي بهذه الأفعال وهذه الأقوال ، فإذا انتهى من الصّلاة فالرّسالة العمليّة تقول له إنّ صلاتك صحيحة أو باطلة ، ولكنها لا تجيب عن السؤال :

هل الصلاة مقبولة من الله تعالى ؟

الرّسالة العمليّة لا تجيب لأنّها تتحدّث عن الظّاهر والعمل الخارجيّ ، وإنّما الرّسالة الأخلاقيّة تجيب عن هذا السّؤال ، تقول لك إنّه إذا التزمت بهذه الشّروط في صلاتك فصلاتك مقبولة ، وإذا لم تلتزم بها فصلاتك غير مقبولة .

تسأل : ما هي شروط قبول الصّلاة ؟

من الشّروط أن تُقْبِلَ بقلبك على الصّلاة ، وهذا أمر قلبيّ من تخصّص الفقه الأخلاقيّ لا من تخصّص الفقه العمليّ ، لا بدّ أن يكون منتبهًا وملتفتًا إلى الصّلاة أثناء أدائها .

عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله : "إِنَّ مِنَ الصَّلاةِ لَمَا يُقْبَلُ نِصْفُهَا وَثُلُثُهَا وَرُبُعُهَا وَخُمُسُهَا إِلَى العُشْرِ ، وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يُلَفُّ كَمَا يُلَفُّ الثَّوْبُ الخَلِقُ ، فَيُضْرَبُ بِهَا وَجْهُ صَاحِبِهَا ، وَإِنَّمَا لَكَ مِنْ صَلاتِكَ مَا أَقْبَلْتَ عَلَيْهِ بِقَلْبِكَ" [1] .

وعن الإمام الصّادق عليه السّلام : "من أحبّ أن يعلم أَقُبِلَتْ صلاتُه أم لم تُقْبَلْ فَلْيَنْظُرْ هل منعته صلاته عن الفحشاء والمنكر ، فبقدر ما منعته قُبِلَتْ منه" [2] .

إذا لم يقبل بقلبه على الصّلاة فإنّها تلفّ كالخرقة البالية وتلقى في وجهه ، بمعنى أنّ صلاته غير مقبولة حتّى لو كانت صحيحةً من ناحية الفقه العمليّ ، فقد تكون الصّلاة صحيحة من ناحية العمل ، ولكنّها غير مقبولة من ناحية الأخلاق ؛ لأنّ شروط الصّحّة في الفقه العمليّ تختلف عن شروط القبول في الفقه الأخلاقيّ ، فليس كلّ عمل صحيح يكون مقبولًا من الله تعالى ؛ لأنّ الصّحّة مرتبطة بالعمل الخارجيّ الظّاهري ، والقبول مرتبط بالعمل القلبي ، والعمل القلبيّ

---

[1] بحار الأنوار ج٨١ ص٢٦٠ ح٥٩ .

[2] المصدر السّابق ج٧٩ ص١٩٨ .

مرتبط بالعقائد والأخلاق .

البعض يقولون بأنّنا قرأنا الكثير من الأدعية ، ولكنّ الله لم يَسْتَجِبْ لنا ، نحن نظنّ بأنّنا إذا قرأنا الدّعاء من ناحية الألفاظ فلا بدّ أن يستجيب الله لنا ؛ كأنّ الألفاظ لها جانب سحريّ ، ولا بدّ أنّ الله يستجيب حتّى لو قرأ الدّعاء بقلب ساهٍ ، نحن نظنّ بأنّ الألفاظ لها أثر ، نقول بأنّ الألفاظ ليس لها أثر ، بل تأثّرك القلبيّ له أثر .

ونسأل :

حينما تقرأ الدّعاء ما هي صفاتك القلبيّة ؟ وهل أنت صادق في كلامك حينما تقرأ كلمات الدّعاء ؟

حينما تبدأ بـ "الله أكبر" هل أنت صادق في كلامك أو أنّه يوجد عندك شيء أكبر من الله وتُقَدِّم ذلك الشّيء ؟

إذا تعارضت المصلحة الدّنيويّة مع الحكم الشّرعيّ أيّهما تقدّم ؟ هل تقدّم الحكم الشّرعيّ بناءً على اعتقادك بالله أو تقدّم المصلحة الدّنيويّة ؟

من يقدّم مصلحته الدّنيويّة فمصلحته أكبر من الله ، وهو يقول في الصّلاة أو في الدّعاء : "الله أكبر" .

يقول في دعاء كميل :

"اللّهم إنّي أسألك برحمتك الّتي وسعت كلّ شيء" .

نسأل :

هل أنت فعلًا تسأل الله سؤالًا حقيقيًّا أو تقرأ ألفاظًا ؟

قبل أن يقرأ الألفاظ لا بدّ أن يكون قلبه معتقدًا بمعاني هذه الألفاظ اعتقادًا حقيقيًّا ؛ لكي يتوجّه إلى الله ، ولا يقرأ هذه الألفاظ وقلبه ساهٍ ، وذهنه في مكان آخر ، وحينما ينتهي من دعاء كميل يكون قد قرأ الألفاظ فقط ، ولم يكن ملتفتًا إلى المعاني ، ولم يتفاعل مع الدّعاء .

إذن في الأدعية أوّلًا قلبك لا بدّ أن يدعو ، ثمّ هذا الدّعاء القلبيّ يتحوّل إلى ألفاظ ، فإذا تحوّل الدّعاء القلبيّ إلى ألفاظ فالإنسان يكون صادقًا في دعائه ، والله يستجيب لهذا الدّعاء بلا شك ، ويحصل على مراده ، واستجابة الله مختلفة ، نعم الله قد يعطيك ما طلبته ، وقد يؤجّل هذا الطّلب إلى يوم القيامة ، فدعاؤك حتمًا مستجاب إذا كان مع شروط الاستجابة ، والله مجيب الدّعوات ، والله لا يرفض دعوة أيّ إنسان حتّى لو لم يكن مسلمًا ، ولكن لا بدّ أن يكون الإنسان صادقًا في دعائه ، ولا يكذب أثناء دعائه ، والله يعلم أنّ هذا الإنسان ليس صادقًا .

مثلًا يقول : "يا ربّي جميع أموري بيدك فقط" ، وهو كاذب ، فهو لا يعتقد أنّ جميع الأمور بيد الله ، يعتقد أنّ هذا الطّبيب هو الشّافي المعافي ، ولا يعتقد أنّ الله هو الشّافي المعافي ، ولو سألته : من الّذي شفاك ؟

يقول : "الطّبيب الفلانيّ" ، فحينما يتوجّه إلى الله ويقول يا شافي يا معافي – يكون كاذبًا في دعائه ، يعتقد أنّ هذا الدّواء هو الشّافي .

هـذا الـدّواء حينمـا يتناولـه المـريض فـإنّ تأثـير الـدّواء داخـل الجسـم ليس شغل الطّبيب بل هو عمل الله ، فالله هو الّذي يجعل لهذا الدّواء تأثيرًا في الجسم أو لا يجعل لـه تأثيرًا ، وعمـل الطّبيـب هـو تشـخيص المرض وكتابة الدّواء المناسب ، وقد يخطئ في التّشخيص ، ولكن تأثير الدّواء في الجسم من اختصاص الله لا من اختصاص الطّبيب ، لذلك ترى مريضين بنفس المرض يأخذان نفس الدّواء ، أحدهما يُشْفَى ، والآخـر ينتقـل إلى رحمـة الله ، فالـدّواء أثّـر علـى الأوّل بإذن الله ، ولم يؤثّر على الآخر بإذن الله ؛ لأنّ الله هو الشّافي المعافي ، فتأثير الدّواء بيد الله ، ودور المريض أن يأخذ الدّواء وفي نفس الوقت يدعو الله أن يجعل للدّواء تأثيرًا إيجابيًّا عليه ، وأثناء الدّعاء يكون الإنسان متّجهًا إلى الله بصدق ، ويعتقد اعتقادًا حقيقيًّا بأنّ الله هو الشّافي المعافي ، لا أن يعتقد بأنّ الدّواء بذاته له التّأثير المستقلّ عن الله تعالى .

إذن :

الإنسـان حينمـا يـدعو ، فعلـى أسـاس الفقـه العمليّ يأتي بالعمـل الظّاهريّ وهو التّلفّظ بالكلمات ، فيقرأ كلمات الدعاء ، والإمام عليه السّلام حينما يعطي الدّعاء فقد يعطيه لإنسان خاصّ ، مثلًا يعطي دعاءً لزرارة ، فإذا دعا زرارة بهذا الدّعاء فالدّعاء له تأثير ، وقد يقرأه شخص آخر ولا يؤثّر ؛ لأنّ زرارة يعتقد بمعاني ألفاظ هذا الدّعاء ، وشخص آخر يقرأ ، ولكن لا يعتقد بمعاني كلمات هذا الدّعاء ، فحينما يقرأه لا يكون له تأثير ؛ لأنّ الحركة لسانيّة فقط ، واستجابة

الدّعاء مرتبطة بالقلب ، والمهمّ هو من يدعو لا ما هو الدّعاء ، فهذا الإنسان حينما يدعو ما هو قلبه ، وهذا القلب مبنيّ على الفقه العقائديّ والفقه الأخلاقيّ ، لا فقط يأتي بأعمال خارجيّة لا تأثير لها على قلبه ، وإذا تأثّر قلبه فإن حياته تتأثّر .

قد تعرف شخصًا مدّة ثلاثين سنة ، ولكنّه ما زال على وضعه ، لم يتغيّر فيه شيء ، تلتقي به بعد ثلاثين سنة وترى الشّيب في شعر رأسه ولحيته ، ولكن وضعه النّفسي القلبيّ نفس الشّيء ، فأحاديثه هي نفسها كما كانت قبل ثلاثين سنة ، وتوجّهاته هي نفسها ، واهتماماته هي نفسها ، لم يتغيّر فيه شيء .

وشخص تراه يذهب إلى الحجّ في كلّ سنة ، ولكن لا تلاحظ فيه أيّ أثر للتّغيّر ؛ لأنّه يأتي بعمل خارجيّ ظاهريّ فقط .

يذهب في كلّ أسبوع إلى زيارة مراقد الأئمّة عليهم السّلام ، وتراه نفس الشّخص لم يتغيّر فيه شيء ؛ لأنّ نظره إلى الفقه العمليّ فقط أي الإتيان بالعمل الخارجيّ الظّاهريّ ، ولا ينظر إلى التّأثّر القلبيّ بهذا العمل ، فلا يتأثّر قلبيًّا بالأعمال لأنّه غير ملتفت إلى قلبه .

إنّ الجانب العقائديّ والجانب الأخلاقيّ جانبان مُهْمَلان ، وعندنا تركيز على الفقه العمليّ فقط ، ولكن لا يوجد تركيز على الفقه العقائديّ والفقه الأخلاقيّ ، ونجد آلاف الكتب في الفقه وأصوله ، ولكن لا نجد عشرات الكتب في العقائد والأخلاق ، بل الكتب معدودة في العقائد والأخلاق .

وإذا طرحنا أنّه يجب التّقليد في العقائد والأخلاق فسنجد اهتمامًا بهذين القسمين المهمَلين من الفقه ، وهذا الاهتمام سيكون من العوامّ ومن العلماء أيضًا .

وكما أنّ العالم يحاول الوصول إلى الاجتهاد في الفقه العمليّ ، كذلك يحاول أن يصل إلى الاجتهاد في العقائد والأخلاق ، وكما أنّه توجد مرجعيّة في الفقه العمليّ ، كذلك سيكون عندنا مراجع في الفقه العقائديّ والفقه الأخلاقيّ ، والعلماء سيثرون هذه الجانبين بالبحث والتّحقيق ، وحينذاك ستكون عندنا آلاف الكتب في العقائد والأخلاق كما هو عدد الكتب في الفقه العمليّ .

وتكون الأقسام الثّلاثة في كتاب واحد : أوّلًا الرّسالة العقائديّة ، وثانيًا الرّسالة الأخلاقيّة ، وثالثًا الرّسالة العمليّة .

وبهذه الطّريقة يقرأ المكلف الأقسام الثّلاثة من الفقه ، فيطّلع على العمل القلبيّ المرتبط بالعقائد والأخلاق ، وعلى العمل الخارجيّ ، وبهذه الطّريقة تتطوّر الأحكام الدّينيّة أكثر وأكثر بسبب البحث والتّحقيق في العلوم الثّلاثة .

خلاصة الموضوع :

لا بدّ أن ينظر الفقيه إلى العوامل الدّخيلة في الحكم الشّرعيّ ويحدّد هذه العوامل بدقّة ، تارةً يتعامل مع النّصوص الدّينيّة بدون النّظر إلى الظّروف المحيطة بالنّص الشّرعيّ ، وتارةً ينظر إلى النّصوص الدّينيّة مع النّظر إلى الظروف المحيطة بها .

بالإضافة إلى ذلك فإنّ الحكم الشّرعيّ مرتبط بمنظومة كاملة من المعارف ، فتوجد منظومة دينيّة متكاملة ، وهذه المنظومة الدّينيّة لا بدّ أن يعرفها العالم الباحث ؛ لأنّه في بعض الأحيان هذا الحكم الدّينيّ لا يتناسب مع المنظومة ، ومعنى ذلك أنّ هذا الحكم الّذي وصل إليه العالم ليس الحكم الدّينيّ المطلوب .

وتوجد بعض القواعد في الفقه العقائديّ تُطَبَّقُ في الفقه الأخلاقيّ وفي الفقه العمليّ ، وذكرت مثالًا في محاضرات "التّقليد والأعلميّة" ، فحينما نأتي إلى الفقه العمليّ نسأل :

هل يجب تقليد الأعلم أو لا يجب ؟

نرى أنّ الفتاوى مختلفة ، فالبعض يقول بوجوب تقليد الأعلم ، والبعض يقول بالاحتياط الوجوبي في تقليد الأعلم ، والبعض يقول بجواز تقليد غير الأعلم ، نسأل :

ما هي القاعدة الّتي طبّقها الفقيه للوصول إلى هذه النّتيجة ؟

لنذهب إلى العقائد ونسأل :

هل يجب أن يكون الإمام المعصوم هو الأعلم في زمانه أو لا ؟

الجواب :

نعم بلا شك ، فالإمام لا بدّ أن يكون أعلم أهل زمانه ، فعندنا قاعدة في باب العقائد وهي وجوب الرّجوع إلى الأعلم ، والأعلم معناه الأفضل ، ونفس القاعدة تأتي في علم الأخلاق ، فنسأل :

هل تبحث عن الفضل أو الأفضل في الأخلاق ؟

يعني هل تبحث عن الكمال أو الأكمل في الأخلاق والصّفات القلبيّة ؟

الجواب :

نبحث عن الأكمل في الصّفات القلبيّة ، وهنا طبّقنا نفس القاعدة الّتي طبّقناها في الفقه العقائديّ ، والعنوان المطروح في علم الأخلاق هو "البحث عن الكمال" ، ولكنّ العنوان الصّحيح هو "البحث عن الأكمل" ، أنت دائمًا في حركة وتبحث عن الأفضل والأكمل ، فتبحث عن الصّفات القلبيّة الأكمل ، وتريد أن تصل إلى الدرجات الأعلى ؛ لكي تصل إلى الصّفات القلبيّة الموجودة عند النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، فعند النّبيّ صلّى الله عليه وآله صفة الرّحمة الأكمل ، وتحاول أن تكون الأرحم ، فتبحث عن الأفضل والأكمل ، والقاعدة الموجودة في علم العقائد تأتي في علم الأخلاق .

نذهب إلى الفقه العمليّ فنسأل :

هل يجب تقليد الأعلم ؟

الجواب :

صار الجواب بديهيًّا ، وهو نعم يجب تقليد الأعلم في الفقه العمليّ بتطبيق نفس القاعدة الّتي طبّقناها في العقائد والأخلاق ، وهي البحث عن الأكمل ، وطبّقنا نفس القاعدة لأنّه توجد عندنا منظومة دينيّة كاملة ، والمنظومة الدّينيّة تحتوي على مجموعة من القواعد الّتي يتمّ تطبيقها في كلّ قسم من أقسام المنظومة ، لا أنّه في العقائد تُطَبِّقُ

قاعدة الأفضل ، وفي الأخلاق والفقه العمليّ لا تطبّق هذه القاعدة ، فتوجد قاعدة دينيّة واحدة تطبّق في جميع مجالات المنظومة ، وهي ليست قاعدة عقائديّة فقط ، بل هي قاعدة دينيّة تجري في جميع أقسام المنظومة ، والأحكام موجودة ضمن منظومة واحدة متكاملة .

وحينما ننظر إلى الفقه العمليّ بدون النّظر إلى المنظومة نصل إلى حكم ، ولكن حينما ننظر إلى الفقه العمليّ ضمن المنظومة نصل إلى حكم آخر ؛ لأنّ الأحكام كلّها أحكام دينيّة موجودة ضمن منظومة واحدة .

وتوجد ظروف وعوامل للحكم بالإضافة إلى أنّ هذا الحكم يكون ضمن منظومة واحدة ، وهذه المنظومة تعطينا هذا الحكم ، والفقيه يحتاج إلى سعة الاطّلاع على ظروف وعوامل الحكم بالإضافة إلى المنظومة الدّينيّة ، فالفقيه لا يكون متخصِّصًا في الفقه العمليّ فقط ، بل لا بدّ أن يكون مجتهدًا في المنظومة الدّينيّة ، ولا بدّ أن يكون عنده اجتهاد في الفقه العقائديّ والفقه الأخلاقيّ بالإضافة إلى الفقه العمليّ ؛ لأنّه يحتاج إلى قواعد المنظومة الدّينيّة من قواعد الفقه العقائديّ وقواعد الفقه الأخلاقيّ بالإضافة إلى قواعد الفقه العمليّ .

إذن :

لا نبحث عن الأعلم في الفقه العمليّ فقط ، وإنّما نبحث عن الأعلم في الفقه الدّينيّ .

لذلك يقول القرآن الكريم :

"لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ" [1] .

ويكون البحث عن العالم في الفقه الدّينيّ لا العالم في الفقه العمليّ فقط ؛ لأنّ القرآن الكريم طرح "نظريّة الفقه الدّينيّ" لا "نظريّة الفقه العمليّ" لوحده ، فنحتاج إلى الفقيه الدّينيّ الّذي يستنبط الحكم الدّينيّ بناءً على المنظومة الدّينيّة .

وحينما نسأل :

ما هو التّكليف ؟

لا بدّ أن يكون الجواب بناءً على المنظومة الدّينيّة لا على الفقه العمليّ فقط ؛ لأنّ التّكليف يدخل فيه العقائد والأخلاق والعمل ، ولا يكون الجواب بـ "يجوز أو لا يجوز" ، فالفقيه يعطي التّكليف الّذي يجب أن يأتي به المكلّف ، وهذا التكليف يكون ضمن المنظومة الدينيّة الكاملة لا ضمن الفقه العمليّ فقط .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

---

[1] التّوبة : ١٢٢ .

المصادر

الكتب :

الله في الفلسفة الحديثة God in Modern Philosophy – جيمس كولينز James Collins ، ترجمة : فؤاد كامل .

القرآن الكريم .

الإرشاد – الشّيخ المفيد .

الإلحاد في الغرب – الدّكتور رمسيس عوض .

الأمالي – الشّيخ الصّدوق .

الإمامة في جذورها القرآنيّة – الشّيخ عبدالله دشتي .

الإمامة في صياغتها القرآنيّة – الشيخ عبدالله دشتي .

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل – الشّيخ ناصر مكارم الشّيرازيّ .

التّحقيق في كلمات القرآن — الشّيخ حسن المصطفويّ .

التّوحيد – الشّيخ الصّدوق .

الخصال – الشّيخ الصّدوق .

العلم ووجود الله – هل قَتَلَ العِلْمُ الإيمانَ بوجودِ الله ؟

God's Undertaker: Has Science Buried God? – جون لينوكس John Lennox ، تقديم : د. ماهر صموئيل .

الكافي – الشّيخ الكلينيّ .

المسائل المنتخبة – السّيّد عليّ السّيستانيّ .
المستدرك على الصّحيحين – الحاكم النّيسابوريّ .
الموسوعة الفلسفيّة العربيّة – رئيس التّحرير : معن زيادة .
الميزان في تفسير القرآن – السّيّد محمّد حسين الطّباطبائيّ .
إرواء الغليل – محمّد ناصر الدّين الألبانيّ .
بحار الأنوار – العلّامة المجلسيّ .
تاريخ الإلحاد في الإسلام – الدّكتور عبدالرّحمن بدويّ .
تفسير العيّاشي .
حوارات سيدني Sydney Debates – ريتشارد دوكنز Richard Dawkins .
دروس في علم الأصول – السّيّد الشّهيد محمّد باقر الصّدر .
شرح نهج البلاغة – ابن أبي الحديد المعتزليّ .
غرر الحكم – عبد الواحد بن محمّد الآمديّ .
فتح الباري شرح صحيح البخاريّ – ابن حجر العسقلانيّ .
ملحدون محدَثون ومعاصِرون – الدّكتور رمسيس عوض .
موسوعة الفلسفة – الدّكتور عبدالرّحمن بدويّ .
نبوّة محمّد التّاريخ والصّناعة مدخل لقراءة نقديّة – محمّد محمود .
نهج البلاغة – الشّريف الرّضيّ .
نيل الأوطار – محمّد بن عليّ الشّوكانيّ .
وسائل الشّيعة – الشّيخ محمّد بن الحسن الحرّ العامليّ .

محاضرات على اليوتيوب :

حوار مع الملحدين – السّيّد كمال الحيدريّ .

محاضرات الشّيخ حسن فرحان المالكيّ .

نظريّة التطور – الدّكتور عدنان إبراهيم .

مواقع الإنترنت :

ar.m.wikipedia.org ، مقالة بعنوان : أسماء آلهة الإغريق .

mawdoo3.com – مقالة بعنوان : صفات الباحث العلميّ ، ومقالة بعنوان : الصّعوبات الّتي تواجه الباحث .

mobt3ath.com – مبتعث للدّراسات والاستشارات الأكاديميّة ، مقالة بعنوان : مواصفات الباحث العلميّ الجيّد وأخلاقيّاته .

wefaak.com – أكاديميّة الوفاق للبحثّ العلميّ والتّطوير ، مقالة بعنوان : دليل أخلاقيّات البحث العلميّ وصفات الباحث العلميّ .

محتويات الكتاب

عالميّة الإسلام – الجزء الرّابع

تعليقات على محاضرات "عالميّة الإسلام" ٥

(٤٠) الإله الخالق للكون ١٩

المقدّمة الثّالثة : كمال الإنسان في البحث عن الحقائق . ١٩

(٤١) الإله الخالق للكون ٤٥

المقدّمة الرّابعة : البحث عن الحقيقة المطلقة ٤٥

(٤٢) حاجة المؤمن والملحد إلى الدّليل ٧٢

(٤٣) الموقف من أدلّة المؤمن وأدلّة الملحد ٩٤

(٤٤) الملحدون اللّاأدريّون ١١٣

كثير من الملحدين في واقعهم لاأدريّون ١١٣

أقسام اللّاأدريّين ١٢٥

تنظيم السّلوك على أساس الاعتقادات ١٢٨

(٤٥) الملحدون الرّبوبيّون ١٣٤

هل الإلحاد ظاهرة إنسانيّة ؟ ١٤٢

هل مفهوم الإلحاد واضح أو غامض ؟ ١٤٤

من هو الملحد ؟ ١٤٤

(٤٦) الإلحاد النّظريّ والإلحاد العمليّ ١٥٥
هل الإلحاد دين ؟ ١٦١
ما هو الدّين ؟ ١٦١
نتائج البحث ١٦٦
أقسام العلم النّظريّ ١٦٧
١- العلم النّظريّ المرتبط بالإله ١٦٧
٢- العلم النّظريّ المرتبط بالنّبوّة ١٦٨
اتّجاهات النّافين لوجود الإله ١٧٠
١- وجود الإله حدوثًا لا بقاءً ١٧٠
٢- عدم وجود الإله حدوثًا وبقاءً ١٧١
اتّجاهات منكري النّبوّة ١٧٣
١- إنكار النّبوّة بقاءً لا حدوثًا ١٧٣
٢- إنكار النّبوّة حدوثًا وبقاءً ١٧٣
(٤٧) من هم اللّاأدريّون ؟ ١٧٤
هل داروين كان ملحدًا أو لاأدريًّا ؟ ١٧٨
أهمّ الأدلّة الّتي يتمسّك بها الملحدون ١٧٨
١- نظريّة التّطوّر ١٧٩
٢- وجود الشّرور في العالم ١٩٠
(٤٨) أقسام اللّاأدريّين ١٩٦

(٤٩) تابع أقسام اللّاأدريّين ٢١٥
(٥٠) قل هاتوا برهانكم وخطوات البحث العلميّ ٢٣٤
أخلاقيّات البحث العلميّ ٢٣٨
(٥١) تطبيق خطوات البحث العلميّ على وجود الإله ٢٥٥
(٥٢) العوامل الدّخيلة في الحكم الشّرعيّ ٢٧٩
الرّسائل العقائديّة والأخلاقيّة والعمليّة ٢٩٦
المصادر ٣١١

صدر للمؤلّف :

١- خلاصة الحلقة الأولى والثّانية .

٢- دروس في علم الأصول - توضيح الحلقة الثّانية - ٥ أجزاء .

٣- دروس في علم الأصول - توضيح الحلقة الثّالثة - ١٠ أجزاء .

٤- الرّوضة النّديّة في توضيح اللّمعة الدّمشقيّة - جزءان .

٥- الفقه المبسّط - العبادات .

٦- القطر الشّافي - تجديد كتاب "شرح قطر النّدى" .

٧- الصّراع بين الحقّ والباطل .

٨- مقالات إيمانيّة - ١٠ أجزاء .

٩- عالميّة الإسلام - ٣ أجزاء .

قريبًا :

١- عالميّة الإسلام - الجزء الخامس .

٢- المنطق الوافي - توضيح خلاصة المنطق .